

تركى الحمد فى موزان أهل السنة
والجماعة

تألف الشيخ :
سلىمان بن صالح الخراشى

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }
{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا }
{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } .

أما بعد : فهذه دراسة أخرى من سلسلة (رجال وكتب في الميزان) اخترت أن تكون من نصيب مفكر سعودي بارز ، هو الدكتور تركي الحمد ، الذي عرفه الكثير كاتباً صحفياً سياسياً ، متفرداً باطروحاته وآرائه التي تثير الصخب والضجة من حولها ، حيث تميز بصفة لازمت كتاباته وأقواله ، هي صفة (المعارضة) ، (الصوت النشاز) .

حتى قيل فيه بأنه رجل (لا يعجبه العجب ولا الصيام في رجب) !
لهذا : فقد اخترت أن تكون هذه الدراسة من نصيبه لكي نستبين فكره الذي لم يتضح للجميع من خلال ما خطه بيده في مؤلفاته ، ولكي نعلم ما يريد الدكتور قوله أو إيصاله إلى أفراد مجتمعنا .
وقد اخترت مؤلفين هامين من مؤلفات الدكتور (القليلة) رأيت أنهما يوجزان أفكاره التي يدور حولها في (أغلب) مقالاته لتكون ساحةً لنقاشي معه .
ثم أعقبت ذلك بدراسةٍ لروايته الثلاثية التي صدرت قريباً ، مع مقارنتها برواية نجيب محفوظ الثلاثية .

وقد تعمدت في هذه الدراسة أن تكون كغيرها من دراسات هذه السلسلة تتميز بالوضوح وسهولة العبارة مع الإيجاز غير المخل ، لأن القصد منها هو معرفة مراد الدكتور ثم التعقيب عليه بما يجلي وجه الحق في المسألة المطروحة دون لجوء إلى إطالة مملة أو لغة مغلقة أو نقولات مطولة .
وقد جعلت هذه الدراسة في أربعة مباحث .

أولاً : تعريف بالدكتور ومؤلفاته .

ثانياً : نقد كتابه (الثقافة العربية أمام تحديات التغيير) .

ثالثاً : نقد كتابه (دراسات أيولوجية في الحالة العربية) .

رابعاً : دراسة ثلاثيته .

ثم خاتمة موجزة .

والله أسأل أن ينفع بهذه الدراسة من قرأها ، وأن يكتب لي أجرها ، وأن تكون خالصة في سبيله سبحانه ، تعلي دينه وتكبت أعداءه ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

المؤلف

تعريف بتركي الحمد (1)

- هو : تركي حمد التركي الحمد ، المشهور بـ(تركي الحمد) من أسرة قصيمية انتقلت إلى المنطقة الشرقية ، وسكنت الدمام ، وكان والده يعمل في شركة (أرامكو) .
- من مواليد 10 / 3 / 1952م الأردن ، الكرك " العقيلات " .
- درس الابتدائية والمتوسطة والثانوية بمدينة الدمام .
- حصل على البكالوريوس في الاقتصاد والعلوم السياسية من جامعة الرياض عام 1975م .
- ثم سافر إلى الولايات المتحدة لمدة عشر سنوات كاملة ! حصل منها على الماجستير في العلوم السياسية من جامعة (كلورادو) عام 1979م .
- ثم حصل على الدكتوراه في العلوم السياسية. أيضاً. عام 1985م ، من جامعة جنوب كاليفورنيا .
- عمل أستاذاً للعلوم السياسية بجامعة الملك سعود منذ عام 1985م إلى عام 1995م.
- ثم طلب التقاعد المبكر ليتفرغ للكتابة. (2)

مؤلفاته :

- 1- الحركات الثورية المقارنة عام 1986 م
- 2- دراسات أيديولوجية في الحالة العربية عام 1992م
- 3- الثقافة العربية أمام تحديات التغيير عام 1993م
- 4- عن الإنسان أتحدث 1995م
- 5- رواية ثلاثية بعنوان (أطياف الأزفة المهجورة)

أ . العدامة .

ب . الشميسي .

ج . الكرايب .

سيصدر له قريباً :

. كتاب (الثقافة العربية في عصر العولمة) .

. ورواية بعنوان (شوق الوادي)¹⁽³⁾

(1) نقلاً عن المقابلة التي أجرتها معه قناة اقرأ الفضائية في يوم 1419/8/13هـ ، ومجلة "فواصل" (العدد 50) وقد وصفته هذه المجلة . هدى الله القائمين عليها . بأنه " أحد الذين بنور أفكارهم تستضيء العقول ، وأحد الذين بلمعان جواهرهم تثير الآفاق " !!! ومن كتب هذا الكرم حريز به أن يقرأ هذا الكتاب الذي له حقيقة هذا المفكر المنير للعقول ! لعله يتراجع عن مدحه السابق امتثالاً لقوله تعالى : { لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله } (2) سألت مجلة "فواصل" في مقابلتها تركي الحمد عن سبب طلبه للتقاعد المبكر من الجامعة وتفرغه للكتابة ، فقال : "لأنني شعرت أنني أستطيع أن أنتج فكراً خارج الجامعة أكثر مما لو بقيت داخل الجامعة ، وأنا أقول لكم بصراحة شديدة جداً : إن الجامعات العربية بشكل عام تحولت إلى نوع من القيد على الفكر ... !! فما هو هذا (الفكر) (المنير) الذي يريد تركي التفرغ له ونشره بين الناس ؟! هذا ما ستعرفه عند فراغك من هذا الكتاب . إن شاء الله ..

. له العديد من المشاركات الصحفية عبر المقالات ، كمقالاته الأسبوعية في جريدة الشرق الأوسط ، أو مقالاته في جريدة الحياة ، أو مجلة الاتصال وغيرها من المجالات غير السعودية .

نقد كتاب

¹⁽³⁾ صدرت قريباً وهي رواية رمزية مغرقة في الغموض، ولأجل هذا لم يستطع الدكتور غازي القصيبي نفسه فهمها ! كما صرح بذلك في المجلة العربية .(عدد)

(الثقافة العربية أمام تحديات التغيير)

يقول تركي الحمد في مقدمة كتابه هذا :

(يعيش الإنسان (بصفته فرداً أو جماعة) ضمن محيط طبيعي واجتماعي)⁽¹⁾ .
(إدراك واستيعاب هذا المحيط لا يكون إلا عن طريق وسيط معين ، ألا وهو مجموعة من المفاهيم والتصورات والمصطلحات والكلمات التي من خلالها تنتقل صورة الموضوع إلى الذهن)⁽²⁾ .
(المفهوم ليس إلا تصور ذهني يقوم بنقل الموضوع (المحيط) الذي هو متغير بطبيعته ، وبالتالي لا بد للمفاهيم والتصورات أن تكون متغيرة بدورها ، وإلا فإنها سوف تتحول إلى وسيط مزيف عندما تثبت في محيط متغير)⁽³⁾ .

(الإشكالية تنبع من أن الإنسان (فرداً أو جماعة) ينحو في كثير من الأحيان إلى تقديس الكلمات والمفاهيم والمصطلحات ، وإعطائها بُعداً ثابتاً بحيث تتحول مثل هذه المفاهيم والمصطلحات والتصورات والأحكام إلى قيد على الإدراك ، ومن ثم التمثل ، ومن ثم الحكم على الأشياء والعلاقات)⁽⁴⁾ .

ثم يؤكد تركي هذا حين يزعم (أن الأزمة المعاصرة للثقافة (العربية) إنما تكمن في هذه النقطة المتحدّث عنها آنفاً . مجموعة من المفاهيم والتصورات والقيم اكتسبت صفة الثبات المطلق (بل السكون) وفقدت بالتالي الصلة مع الواقع أو المحيط المتغير فأصبح الإدراك الذي تنقله وبالتالي الأحكام الصادرة عنها إدراكاً وأحكاماً مزيفة أو مشوشة على الأقل ، وهذا ما نتبينه من خلال التعامل العربي المعاصر مع أحداث هذا العالم وتحولاته من حيث عدم القدرة على فهم مجريات الأمور وعدم القدرة على تحقيق الأهداف ، وبالتالي المراوحة في مكانك سر رغم كل دعوات النهضة والثورة والإصلاح وغيرها من اتجاهات ايدولوجية تختلف شكلاً ولكنها ذات بنية واحدة مضموناً ، حيث إنها في نهاية المطاف تتحدّد بذات الثقافة العاملة في إطارها وتنتمي إلى ذات الخطاب وتصدر عن نفس العقل)⁽¹⁾

قلت : فملخص أزمئنا عند تركي الحمد هو أن :

⁽¹⁾ الثقافة العربية أمام تحديات التغيير (ص10) .

⁽²⁾ المصدر السابق (ص10 ، 11) .

⁽³⁾ المصدر السابق (12 ، 13) .

⁽⁴⁾ المصدر السابق : (ص20) .

⁽¹⁾ المصدر السابق (ص22) .

1. العالم (أو المحيط) من حولنا متغير .
 2. إدراكنا لهذا العالم (المحيط) يتم بواسطة (مجموعة من المفاهيم والتصورات والمصطلحات والكلمات) تنقل لنا (المحيط) الذي هو بطبيعته متغير . إذاً :
 3. لا بد أن تكون تلك المفاهيم متغيرة ، وإلا فإنها ستتحول إلى وسيط مزيف إذا (ثبتت) و (سكنت) .
 4. أزمنا أننا ثبتنا المفاهيم وقدسناها لتكون حاکمة على الأشياء والعلاقات . هذا هو ملخص الأزمة في نظر تركي ، ومشكلته أنه يستخدم مصطلحات عامة وليست محددة لتبين مقصده بكل وضوح .
- فهو ما دام قد نصّب نفسه مفكراً يسعى إلى خدمة وطنه وأمته ومشخصاً لأدوائها ومقترحاً حلول مشاكلها كان الأولى به أن يلجأ إلى لغة (صريحة) يفهمها من يوجه لهم هذه النصائح والحلول ، أما اللجوء إلى اللغة حمّالة الأوجه فهو مما يزيد الأزمة تعقيداً ويشغل الأذهان ، يجول بها بين الظنون والاتهامات .
- وجوباً على مقولتك أو (تشخيصك) السابق أقول نقضاً له :
- أولاً : قولك بأن (المحيط من حولنا متغير) ما تقصد بالمحيط أو العالم من حولنا الذي هو متغير في نظرك ؟ وهو ما سيترتب عليه أن تتغير مفاهيمنا لأجله .
- إن كنت تقصد بهذا العالم ظواهره الجغرافية الطبيعية من حولنا فهي لم تتغير مكوناتها منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها فالسما هي السماء ، والشمس هي الشمس ، والقمر هو القمر ، والجبال هي الجبال ، والأرض هي الأرض ، والبحار هي البحار وهكذا: الأنهار والماء والهواء والنار والشجر والحيوانات .
- كل هذا لم يتغير منذ أول مخلوق وهو آدم . عليه السلام . إلى يومنا هذا .
- وإن كنت تقصد بالمحيط المتغير الأعراض الملازمة للأشياء ، من صحة ومرض ، أو سواد وبياض ، وحر وبارد ، وخشن وناعم . . . الخ فهذه أيضاً لم تتغير منذ وُجدت الأرض .
- وأن كنت تقصد بالمحيط المتغير هو الإنسان وطبائعه المختلفة فهذه لم تتغير . فالإنسان هو الإنسان ، يغضب ويرضى ، ويحب ويكره ، ويفرح ويحزن ، ويسعد ويتألم .
- وإن كنت تقصد بالمحيط المتغير هو (الأخلاق) فهذه . أيضاً . لم تتغير ، والناس مجمعون عليها من قديم الزمان ، فالصدق هو غير الكذب ، والكرم غير البخل ، والشرف غير الذل ، والشجاعة غير الجبن ، والمروءة غير الخسة وهكذا .

الناس مجمعون على مدح الأخلاق الشريفة ، من صدق وشرف وشجاعة وكرم ومرورة وشهامة
وأنصرة و . . .

وهم مجمعون . أيضاً . على ذم الأخلاق الدنيئة ، من كذب ومهانة وجبن وبخل وخسة ونذالة
ومكر وخديعة و . . .

فهذه (الأخلاق) لم تتغير . والناس منذ نشأتهم إلى يومنا هذا يحرصون على أشرفها ويجانبون
أرذلها .

وإن كنت تقصد بالمحيط المتغير المحللات والمحرمات ، فهذه الأصل فيها الحل كما قال
العلماء ⁽¹⁾ ، وألا يُنتقل عن هذا الأصل إلا بوحى من الله . فهو المحلل والمحرم سبحانه . وقد نهى
عباده أن يحللوا ويحرموا دون استناد على الوحي ، فقال: { ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا
حلالاً وهذا حراماً لتفتروا على الله الكذب } .

فما أحله الله فهو حلال طيب .

وما حرمه فهو محرم خبيث .

وما كان من الأشياء محرماً ثم حُلَّ فهو حال تحريمه لا نفع للناس فيه ، وحال تحليله أصبح من
الطيبات .

وما كان منها محللاً ثم حُرِّم ، فإنه حال حله نافع للناس ، وحال تحريمه أصبح من الخبائث التي
لا نفع فيها .

إذاً فالمحللات والمحرمات تتبع الوحي ، وهي لا تتغير إلا بتغيير الوحي لها .

فالزنا . مثلاً . محرم في جميع الأحوال ، فلا يأتي يوم يُحلل فيه ، لأن الوحي انقطع بعد محمد
صلى الله عليه وسلم ، الذي أكمل الله به الدين ، فالزنا باقٍ على تحريمه إلى يوم الدين .

أما أكل لحم الحمار الأهلي . مثلاً . فإنه كان محللاً في بداية الإسلام ، ثم تغير حكمه إلى
التحريم ، لأن الوحي جاء بتحريمه بعد تحليله ، بالمرجع الوحي لا تعقب السنين وتغيرات الأحوال .

والوحي قد انقطع بوفاة محمد صلى الله عليه وسلم ، واستقرت الأحكام بعده ، وعُرف الحلال
والحرام ، وهو باقٍ على حكمه . من حل وحرمه . إلى يوم القيامة ، لا يستطيع أحد أن يغير هذا الحكم .

نعم : قد يرتكب انسان أو دولة المحرّم ، بل وتقر القوانين لتحليله ، كمساواة المرأة بالرجل في
الميراث . مثلاً . ولكن حكمه باقٍ عند الله على الحرمة لا يغيره اجترأء الناس على ارتكابه ، وسياقي من
ارتكب هذا المحرم جزاءه ، سواء كان ارتكابه ذلك ينم عن كفر أو معصية .

(1) على القول الراجح . وانظر المسألة مع توثيق أوقالها في " العدة في أصول الفقه " للفاضل أبي يعلى (1238/4 وما بعدها) مع تعليقات المحقق احمد سير المباركي . حفظه الله .

وإن كنت تقصد بالمحيط المتغير هو أمور (العقيدة) وما يتبعها من غيبات ، فهذه . أيضاً . لم تتغير . فالله . سبحانه . لم تتغير أسماؤه الحسنی ولا صفاته العلی .

وهكذا الملائكة ، وهكذا الجن ، وهكذا الشياطين ، وهكذا الجنة وهكذا النار . . الخ . كل هذا لم يتغير .

قد تقول : بل هو متغير ، إن بعض البشر كانوا يعتقدون بالهين اثنين ، وبعضهم بثلاثة ، وبعضهم بأكثر .

وبعض البشر ينكر الملائكة والجن والشياطين ، أو يتأولها ، وبعضهم لا يعتقد وجوب جنة ولا نار بل يكذب بمجمل البعث بعد الموت .

فأقول : كل هذا لم يغير شيئاً من ذلك ولو اعتقده بعض الناس . فالحق واحد لا يتغير سواء عرفه الناس أم لم يعرفوه . وسواء اعتقدوه أم لم يعتقدوه .

مثال ذلك : لو أن شخصاً أبرز لنا رقماً من الأرقام ، هو رقم واحد مثلاً ، ثم قال لنا : كم هذا ؟ فقال بعضنا : اثنان ! ، وقال بعضنا : بل ثلاثة ! ، وقال آخرون بل أربعة ! ، وقال غيرهم : بل خمسة ! ، وهكذا .

هل يُقال بأن الواحد قد تغير ؟! لا أحد يقول بهذا ، فالواحد هو الواحد ، ولو لم يعرفه الناس ، أو لم يصبوه .

وهكذا أمور العقيدة والغيب .

بقي أن يقال للحمد بأن المتغير الذي يجب أن تقصده هو الوسائل أو عادات الناس .

أما الوسائل فهي متغيرة ، ولا يجحد هذا عاقل .

فالناس عندما كانوا يستخدمون أرجلهم أو رواحلهم في السفر أو التنقل أصبحوا يستخدمون السيارة والطيارة .

وبعد أن كانوا يطبخون بواسطة إيقاد النار في الحطب ، أصبحوا يستخدمون الفرن بأنواعه .

وبعد أن كانوا يأكلون في أواني قديمة أصبحوا يأكلون في أواني حديثة .

وبعد أن كانوا يكتبون بالريشة والحبر أصبحوا يكتبون بالقلم .

وبعد أن كانوا يتحدثون مع البعيد بواسطة رفع الصوت ، أصبحوا يتحدثون معه بجهاز يكبر صوتهم أو ينقل صوت الآخر لهم .

وهكذا . . .

وهذه الوسائل هي نعمة من نعم الله على الإنسان الذي وفقه لاختراعها لتسهيل له أمور معيشتة .
وقد امتن الله على السابقين بتيسير الوسائل المريحة لهم . في عهدهم . فقال سبحانه : { وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ } .

وقال : { سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ } .

وقال : { وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ } .

وهكذا أبناء هذا الزمان سخر الله لهم من الوسائل المريحة والميسرة لمعيشتهم الشيء الكثير ، فالواجب عليهم شكرها لتدوم وتزيد . { لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ } .
وحكم هذه الوسائل أنها حلال طيب مالم يلبسها محرم .

مثال ذلك : الساعة للرجل حلال طيب ، مالم تكن مصنوعة من ذهب ، فإنها تكون محرمة لاحتوائها على محرم (أصلي) وهو الذهب . وقس على هذا .

أما عادات الناس فإنها تتبع مجتمعاتهم ، وأذواقهم ، فتختلف باختلاف البلدان ، وهي . أي العادات . قسامان :

1. قسم يخالف الشرع² ، مثال ذلك عادة بعض المجتمعات في التحاكم إلى شيوخهم بدلاً من الكتاب والسنة ، فهذه عادة كفرية والعياذ بالله ، والواجب تغييرها ، وإرجاع الناس إلى التحاكم بالشرع ، وهكذا .

2. قسم لا يخالف الشرع : فهذا يترك أمره لأهل ذاك المجتمع أو البلد ، فإن رأوا فيه نفعاً أو معيناً على منفعة أبقوه ، وإن رأوا فيه ضرراً ، أو كان معيقاً لهم عن المنافع أزالوه باحسن منه .

مثال ذلك : عادة رجال بعض المجتمعات أو البلدان بعدم تغطية رؤسهم . أو عاداتهم في تأخير جزء من المهر وهكذا غيرها من العادات التي لم يحرمها الشرع ، فهذه ترجع إلى حال الناس .

إذن : اتضح لنا أن المتغير أمور يسيره تتبع وسائل الناس وعاداتهم ، ولكن الحمد قد ضحّم الأمر وهوّله على القارئ ليجعله متهيئاً لكل تغيير يريد (المفسدون) ، ولو كان تغييراً إلى الأسوأ والأحط والأسفل .

وهذه (النعمة) التي استخدمها الحمد قد استخدمها قبله آخرون من أبالسة هذا الزمن وكبراء رهط المفسدين الذين قال الله عنهم : { وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ } . ولكنهم فشلوا في تحقيق ما يريدون .

² . قد تكون المخالفة: كفراً أو تحريماً أو كراهية، باختلاف طبيعة هذه العادة .

ثم جاء الحمد متأخراً ليردد نغمتهم ويُرجع صداهم في بلاد لا تتأقلم مع أي تغيير مفسد ، لكي يجعل لهذا التغيير (المأمول !) قاعدة (عقلية) أو (ثقافية) .

وإلا فإنه لو كان مخلصاً لدينه ، أو صادقاً مع مجتمعه لطالبهم بالالتزام بالإسلام التزاماً جاداً ، لأنه يدعو إلى كل فضيلة ، ويُبعد أبناءه عن كل رذيلة ، وطالبهم (بتغيير) عاداتهم المخالفة للإسلام ، أو الضارة بالمجتمع .

ثم طالبهم وحثهم على الارتقاء في سلم الحضارة (الدنيوية) التي تزدهر بها البلاد ، وترفع بها عن الاتكال على الآخرين ، من انشاء المصانع النافعة المتنوعة وتطوير لأساليبها وتسهيل لمرتادياتها وتشجيعهم على خوض غمارها وجلب كل نافع لها من خبراء أو معدات متطورة ، وتوسع في مجالات الزراعة ، وتنويع انتاجها ، واهتمام بكل عقل نابه من ابنائنا ومساعدتهم على تطوير موهبتهم والتفرغ لها وجلب لهم ما يحتاجونه ، وتأمين وسائل المعيشة لهم ليُنتجوا وينافسوا غيرهم دون (خوف) أو (حذر) .

وهكذا مطالبتهم بالاهتمام بأمر المرأة المسلمة وأن تنال حقها من العلم الذي ينفعها والمناسب لطبيعتها ، كمعرفة أمور دينها ، ومعرفة الطرق السليمة للتعامل مع الطفل منذ ولادته ، ومعرفة أساسيات الصحة ، والأجهزة المتنوعة التي تتعامل معها في البيت . ومعرفتها كل جديد مفيد لها $\bar{\Gamma}$ كتعلم الحاسب الآلي أو الاقتصاد المنزلي ، أو فن التنسيق أو الديكور . الخ .

والمطالبة بأن تعمل المرأة (المضطرة لذلك) في ما يتوافق مع الإسلام ، ويتلاءم مع تكوينها وطبيعتها لكي تسهم في شغل وقتها بما ينفعها ويفيد مجتمعا دون أن تضطر لارتكاب محظور .

كان الأولى بالحمد . وهو المفكر الذي يدعي النصح لمجتمعه . أن يطالب بهذا ليكون من (المصلحين) الذين ينفع الله بهم ويبارك في آثارهم ، ويُصلح في الآخرة بالهم .

أما ترديد كلمة (التغيير) بأسلوب مجمل لا ينقل معنى محدداً ، فهو من تضييع الجهود ، وتعميق جراح الأمة ، والتمهيد لها أن تتكبد سبيل الحق والفلاح في الدنيا والآخرة . وهذا ما لا نرضى للحمد أن (يقدم) قومه فيه . فإن (التقدم) أحياناً قد يقود إلى النار! قال سبحانه عن فرعون : { يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ } .

أما دعوة (نسبية) الحقيقة وهو ما يُلمح من وراء أسطر الحمد في كتاباته فيقال في رده بأن " نسبية الحقيقة " إحدى الركائز التي تقوم عليها الثقافة الغربية منذ نهضة أوروبا الحديثة ، ويربط المفكرون الغربيون بين تلك الركيزة وتغير الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المحيطة بالمجتمع ، ويعتقدون أن تغير الحقائق الحياتية يقتضي نسبية الحقيقة ، غير أن تكون تلك الركيزة في الثقافة الغربية يعود إلى فترة أبعد من العصور الحديثة ويرتبط بالعصور الوسطى .

فمن المعروف أن الكنيسة كانت تنطلق آنذاك في حكمها لأوروبا من نص " الإنجيل المقدس " والذي كان ثابتاً والذي كانت تحتكر الكنيسة تفسيره ، وعندما قامت حقائق علمية وكونية متعددة تناقض النص الثابت ، وتناقض تفسير رجال الكنيسة له وقع التصادم المريع بين الدين والعلم ، وكانت النتيجة اضطهاد رجال العلم بحجة مخالفة النص المقدس الثابت ، ولكن الكنيسة انهزمت أمام الثورة عليها وأمام حقائق العلم ، واعتبرت الثورة رجال الدين عقبة في طريق العلم والتقدم ، وصار الربط عندئذ بين النص المقدس وثبات الحقيقة ، وكذا بين العلم ونسبية الحقيقة.

ومنذ أن بدأ التفاعل بين الثقافتين : الغربية والإسلامية ، كان أبرز صور التصادم بين نسبية الحقيقة في الثقافة الغربية وبين النص "القطعي الثبوت القطعي الدلالة " في الثقافة الإسلامية .

من أول صور التصادم ما أثاره طه حسين في كتابه " في الشعر الجاهلي " عام 1926م ، فقد تعرض لنصوص قطعية الثبوت قطعية الدلالة ، تحدثت عن ابراهيم وإسماعيل عليهما السلام للكعبة ، وتشكك في تلك الحقيقة ، وحتى في وجودهما التاريخي ، وفي هجرتها ، ورأي أن قريشاً اختلقت تلك القصة لأسباب سياسية واقتصادية ، ورأي فيها نوعاً من الحيلة لأثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة ، وبين الإسلام واليهودية ، والقرآن والتوراة من جهة أخرى .

ومن صور التصادم أيضاً حديث الدكتور حسين أحمد أمين في كتابه ((حول الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية)) عن حد السرقة الذي ورد فيه نص قطعي الثبوت قطعي الدلالة في قوله سبحانه وتعالى : { وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } ، فقد ربط الدكتور بين ذلك الحد وبين الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية آنذاك ، وبين أن العربي كان ينقل كل متاعه على راحلته ، وإن سرقته تعني كل ما يملك من جهة ، وتعني هلاكه من جهة ثانية ، لذلك جاء الحكم بتلك الصورة ، لأنه مرتبط بالأموال المنقولة ، وآلان أصبحت الأموال غير المنقولة أئمن وأغلى من الأموال المنقولة ، لذلك فهو يقترح تغيير الحكم انطلاقاً من تغير الوضع الاقتصادي .

أما نصر حامد أبو زيد ، فقد تحدث في كتابه ((نقد الخطاب الديني)) عن النصوص القطعية الثبوت القطعية الدلالة في مجالات عدة منها : صفات الله ، وفي الحسد والسحر والجن والشياطين ، وقد اعتبر أن الألفاظ الأخيرة مرتبطة بواقع ثقافي معين ، ويجب أن نفهمها في ضوء واقعها الثقافي ، وإن وجودها الذهني السابق لا يعني وجودها العيني ، وقد أصبحت الآن ذات دلالة تاريخية ، وهذا ينطلق في أحكامه السابقة من أن النصوص الدينية نصوص لغوية تنتمي إلى بنية ثقافية محدودة ، تم إنتاجها طبقاً لنواميس تلك الثقافة التي تعد اللغة نظامها الدلالي المركزي ، وهو يعتمد على نظرية عالم اللغة ((دي سوسير)) في التفرقة بين اللغة والكلام ، وينتهي أبو زيد إلى ضرورة إخضاع النصوص الدينية للمناهج اللغوية المشار إليها سابقاً .

أما الدكتور محمد شحرور في كتابه ((الكتاب والقرآن : قراءة معاصرة)) ، فقد اعتبر أن جميع النصوص القطعية الثبوت القطعية الدلالة في مجال الحياة الاجتماعية: كالنكاح ، والطعام ، وفي مجال الحدود : كحد السرقة ، والزنى ، والحراية ، والقتل العمد ... إلخ وفي مجال الأحكام : كتوزيع الميراث ، وأخذ الربا ... إلخ ، جميع تلك النصوص خاضعة لاجتهاد رسم له حدين : أدنى وأعلى ، وقد اعتبر أن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم هي اجتهاد محمد صلى الله عليه وسلم لتطبيق حدود الإسلام ضمن بيئة الجزيرة العربية ، وبالتالي ، فإن تطبيقه لها ليس ملزماً لنا في شيء !

لاشك في أن نسبية الحقيقة هي النظام الذي يشمل كل تلك الطروحات بدءاً من تشكك طه حسين في الوجود التاريخي لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، وفي واقعة بنائهما الكعبة ، ومروراً بربط حسين أحمد أمين لحد السرقة بظاهرة الأملاك المنقولة ، وباعتبار نصر حامد أبو زيد السحر والحسد والجن والشياطين ألفاظاً ذات دلالة تاريخية ، وانتهاءً باعتبار محمد شحرور جواز تأرجح الحد بين اجتهادين أعلى وأدنى .. ولا أريد أن أكرر الحديث عن الخصوصية التاريخية التي جعلت ثقافة الغرب تقوم على نسبية الحقيقة ، ولا أريد أن أفصل مناقشة رأي كل كاتب فيما يتعلق بالنصوص القطعية الثبوت ، القطعية الدلالة التي تعرض لها ، ولكنني أرد موجزاً مختصراً فأتساءل : هل يجوز لطه حسين أن يرد نصوصاً قطعية الثبوت قطعية الدلالة في شأن وجود إبراهيم وإسماعيل . عليهما السلام . وفي شأن بنائهما الكعبة لا لشيء سوى لوجود أساطير مشابهة قبلها الرومان عن بناء روما من باينياس بن بريام صاحب طرواده اليونان ؟ لماذا يربط حسين أحمد أمين بين حد السرقة والأموال المنقولة ولا يربط ذلك بفعل السرقة الشنيع ، وما يشتمل عليه من ترويع وتخويف واعتداء على المسروق ، وما يصوره من طمع السارق ودناءته وتطلعه إلى ما في يد الغير بغير حق مشروع ؟ لماذا يعتبر نصر حامد أبو زيد الكلمات : السحر والحسد والجن والشياطين ألفاظاً ذات دلالات تاريخية ؟ فهل نفى العلم بشكل قطعي وجود حقائق عينية لتلك الألفاظ حتى نعفي عليها ونعتبرها ألفاظاً لا حقائق لها وذات دلالات تاريخية ؟ لماذا يخضع محمد شحرور الألفاظ القرآنية للتحليل اللغوي المعجمي ، مع أن الإسلام أخرج كثيراً من الألفاظ من معناها اللغوي وجعلها مصطلحات أعطاهها معاني أخرى أمثال : الصلاة ، الزكاة ، الأيمان ، الكفر ، الحد... □ إلخ ، وعليه أن يحترم هذه المصطلحات عند أي بحث علمي ؟

والآن أعود إلي نسبية الحقيقة التي تتصادم مع النص القطعي الثبوت القطعي الدلالة الذي يؤدي إلى ثبات الحقيقة ، وأتجاوز الظروف التاريخية التي جعلت نسبية الحقيقة جزءاً أساسياً من ثقافة الغرب ، والتي تختلف عن ظروفنا التاريخية وأتساءل : هل حقاً ليس هناك ثبات في الحقيقة ؟ ومن أين جاء النص القطعي الثبوت القطعي الدلالة في ثقافتنا الإسلامية ؟ وما سنده الواقعي في صيرورة الكون ؟

إن الإجابة عن الأسئلة السابقة تقتضي أن نقرر أن هناك ثباتاً في الحقيقة ، وإلا لما سميت حقيقة ، وبشكل أدق جاء الثبات في الحقيقة من ثبات بعض النواميس التي تحكم الكون ، ومن الفطرة التي قال الله عنها : {فَطَرَهُ اللَّهُ الَّذِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} .

ومن مظاهر الفطرة الثابتة إلى مدار التاريخ : التبعيد ، وحب التملك ، والتجاذب بين الذكر والأنثى ، وإعلاء قيم الصدق والأمانة ، وإسفال قيم الكذب والخيانة ... إلخ لذلك جاء النص القطعي الثبوت القطعي الدلالة في الشريعة ليعبر عن تلك الحقائق الثابتة المنغرس في الفطرة ، فكانت أحكام العقيدة أحكام العبادات ثابتة ، لأنها تتعلق بفطرة التبعيد ، وكانت أحكام فرضية الزكاة وتحريم الربا ، وتشريع حد السرقة ثابتة ، لأنها تتعلق بفطرة حب التملك ، وكانت أحكام الخطبة والزواج والطلاق ثابتة لأنها تتعلق بفطرة التجاذب بين الذكر والأنثى ، وكانت أحكام مدح الصادقين وإجزال مشوبتهم ثابتة لأنها تتعلق ببعض الأخلاق الفطرية .

في النهاية نقول : طالما أن هناك فطرة ثابتة لا تتغير فهناك حقائق ثابت لا تتغير، وهذا ما قادت الظروف التاريخية أوروبا لإنكاره ، وليس بالضرورة أن يكون الصواب مع أوروبا))³ .

ثم قال الحمد تحت عنوان (الخصائص العامة للثقافة العربية) بأن (هناك ثقافة عربية واحدة ، وهناك ثقافة عربية فرعية)⁴ كما أن هناك (ثقافة إنسانية شاملة)⁵ وهناك (ثقافات قومية مختلفة ذات تباين وتمايز واضح)⁶ وهناك (الثقافات الوطنية (القطرية) والمختلفة والمتباينة)⁷ وهناك (ثقافات فرعية متباينة في ذات الإطار الوطني)⁸ .

ثم يقول تركي : (ما نريد قوله إن المسألة ليست قطعية ومطلقة أو آحادية الجانب بحيث يمكن القول مثلاً إن هنالك ثقافة عربية واحدة ولا شيء عداها (التيارات القومية) أو إن هنالك تراث إنساني وحسب (التيارات الأممية) أو إن هناك تراث ديني وحسب (التيارات الدينية) أو إن هناك ثقافة وطنية وحسب (التيارات القطرية) ، بل إن المسألة متشابكة ذات أبعاد تعددية وليست آحادية . نعم هناك ثقافة عربية واحدة ذات خصائص محددة ومعينة مشتركة ولكن إلى جانبها ، أو في إطارها ، هناك ثقافات فرعية لا يمكن حصرها . فعلى المستوى الأفقي هنالك ثقافات وطنية (قطرية) متميزة ، وفي ذات الأقطار هنالك ثقافات إقليمية متميزة هي الأخرى ، وعلى مستوى الإقليم هنالك تمايز أيضاً وهكذا .

³ . مقال للأستاذ غازي التوبة بعنوان : (بين نسبة الحقيقة والنص القطعي الثبوت والدلالة) في مجلة المجتمع (العدد 1337).

⁴ . الثقافة العربية (ص25)

⁵ . المصدر السابق (ص26)

⁶ . المصدر السابق (ص26)

⁷ . المصدر السابق (ص26)

⁸ . المصدر السابق (ص26)

وعلى المستوى الرأسي (سواء على مستوى الجامعة القومية أو الجماعية الوطنية وما هو أقل من ذلك) هنالك ثقافات متميزة أيضاً: ثقافية قبلية، مدنية، جماهيرية نخبوية، فلاحية، عمالية، طلابية، أكاديمية... الخ. موطن الداء والعلة ليس في التمايز والاختلاف بين الثقافات على اختلاف أنواعها، إذ أن ذلك من طبيعة الوجود البشري على هذه الأرض، ولكن الداء والعلة يكمنان في الموقف "الصفري" أو الآحادي من هذه الثقافات وتمايزها. وبذلك نعني أنه عندما توضع المسألة على أن الاعتراف بإحدى هذه الثقافات لا بد وأن يكون على حساب الثقافات الأخرى.

ولتوضيح المسألة نقول: عندما يقول الأممي بثقافة إنسانية معينة شاملة: (إسلامية، مسيحية، بروليتارية،... الخ) فإن ذلك لا عيب فيه ولا تشريب ولكن عندما يقول بآحادية هذه الثقافة وإطلاقها ونفي ما عداها فإننا والحالة هذه بصدد موقف دوغماتي شوفيني مناقض لواقع الأمور وطبيعتها ونفس الشيء يمكن أن يقال عن الموقف القومي أو الوطني القطري أو نحو ذلك عندما ينحو منحى آحادياً صفرياً. هذه هي العلة وهذا هو الداء.⁽¹⁾

ثم يقول: (خاتمة القول: هنالك ثقافة عربية مشتركة، كما أن هنالك ثقافة وإراثاً إنسانياً مشتركاً، ولكن في ظل هذه الثقافة المشتركة هنالك ثقافات فرعية أخرى (أفقية ورأسية) متميزة ومتعددة. ويجب الاعتراف بمثل هذه التعددية الثقافية إذا كان المراد الانطلاق من أرض الواقع وآليات هذا الواقع للتحكم في تحديد مسار هذا الواقع من أجل تحقيق الأهداف والغايات المرجوة. أما إذا بقيت الآحادية هي المنهج والدوغمات هي المعتقد والشوفينية هي منطق الايديولوجيا فإننا في هذه الحالة لن ندرك الواقع ولن نستوعبه ونفهمه وبالتالي لن نستطيع التحكم فيه وفي مساره ومن ثم لا أهداف تتحقق ولا غايات تتجسد بل تبقى طواحين الهواء ودون كيشوت⁽²⁾.)⁽³⁾

قلت: لم يأت تركي بجديد في هذا الموضوع، فالجميع كباراً وصغاراً! - يعلمون أن هناك أدياناً وثقافات متباينة تعيش على هذه الأرض، في زماننا هذا، وفي الأزمان الماضية منذ أن تفرق الناس أشتاتاً بعد أن كانوا مجتمعين على دين واحد، وهو التوحيد الذي بعث الله به الرسل.

يقول الله تعالى {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ}.⁽¹⁾

قال ابن عباس رضي الله عنه _ : (كان بين نوح و آدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق، فاختلَفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين)⁽²⁾.

(2) المصدر السابق، (ص 26. 28).

(2) دون كيشوت الذي يشير إليه تركي رجل موسوس، مغرم بالفروسية والبطولة، حارب طواحين الهواء يعتقد أنها الأعداء فقدفته هو وحصانه ورحمه بعيداً!

(3) المصدر السابق، (ص 28. 29).

(1) سورة البقرة، الآية: 213

(2) تفسير ابن كثير (257/1)

فالناس قد كانوا مجتمعين على دين وثقافةٍ واحدة قبل أن يسلك بهم الشيطان ذات اليمين وذات الشمال ويغويهم عن دينهم .

مما ترتب عليه أن كانت الرسل تُبعث فيهم لتدعوهم إلى ما كانوا عليه من توحيد ربهم ، وتردهم إلى الصراط المستقيم ، وتبشر المتقين ، وتنذر الضالين .

ثم كان خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم الذي أرسله الله رسولاً إلى الإنس والجن _ جميعاً _ ، وختم به الوحي ، فلا يُقبل من أحدٍ ديناً بعده سوى دين الإسلام.

قال تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }⁽¹⁾ ، { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا }⁽²⁾ ، وقال : { مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا }⁽³⁾ ، وقال : { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا }⁽⁴⁾ ، وقال : { وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } .

أما قول الحمد بأنه (يجب الاعتراف بمثل هذه التعددية الثقافية) .

فماذا يعني بهذا الاعتراف ؟

إن كان يعني الاعتراف (بوجود) هذه التعددية ، فهذا لم ولن يعارضه فيه عاقل ، لأنه واقع بلا ريب ، يراه الجميع .

وإن يعني الاعتراف (بصحة) هذه التعددية ، فهذا يحتاج إلى تفضيل :

1 . إذا كان يعني بصحة تلك التعددية ، أي صحة مايعتقده أهل الأرض من ثقافات وأديان مخالفة لدين الإسلام ، فهذا . والعياذ بالله . كفر صريح ، لأنه رضي واعتراف بصحة (الكفر) وما عليه أهله ، وهذا مناقض للمعلوم من دين الله بالضرورة : وهو صحة الإسلام وبطلان ما عداه من أديان ، سواء كانت أديان المشركين على مختلف أصنافهم ، أم أديان أهل الكتاب (اليهود والنصارى) التي حرّفوها ثم جاء الإسلام بنسخها⁽¹⁾ .

وهذه □ - والله - من أعظم المصائب أن يقع فيها كاتب مسلم تربى في بلاد التوحيد ، ودرس وتعلم الكتاب والسنة ، ثم بعد هذا يدعونا إلى الاعتراف (بصحة) ما عليه أهل الكفر من عقائد وثقافات ، وهو . كما سبق . كفر صريح تجب التوبة منه .

(1) سورة الأنبياء ، الآية : 107 .

(2) سورة الأعراف ، الآية : 158 .

(3) سورة الأحزاب ، الآية : 40 .

(4) سورة المائدة ، الآية : 3 .

(1) انظر : " الابطال النظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان "

للشيخ بكر أبو زيد .

2- أما إن كان يعني (بصحة التعددية) أي صحة ما عليه (بعض) تلك الأمم من تطور مادي لا دخل له بأمور الدين ، فقد أخطأ في العبارة ، وكان الأولى به أن يُطالب أمته . كما سبق . بالاستفادة مما عليه الآخرون من تطور مادي ، وهو مبذل للجميع يستطيع أن يناله من أتخذ له الأسباب الموصلة إليه ، دون رضئ بأديان الكفار وثقافتهم ! .

والذي أظنه أن الحمد لا يعني هذا وإنما يعني الاعتراف بما عند الآخرين من أديان وثقافات وأن لا نحاول أن نكون آحادي النظرة فنُدعوهم إلى ديننا (الإسلام)!! .

وهذا واضح من عبارته ، لأنه عمم التعددية الثقافية ، ولو كان يعني التطور المادي . مثلاً . لخصص ذلك بالدول المتقدمة (دنيوياً) أو استخدم لفظ (الحضارة) بدلاً من (الثقافة) على أقل تقدير .

إذاً : فتركي الحمد يدعو إلى الاعتراف بوجود أديان الكفار على مختلف أجناسهم ، ويدعو المسلمين إلى عدم تغيير هذا الواقع بدعوتهم إلى الدين الحق .

وأيضاً : يدعوهم إلى عدم الاعتزاز بالإسلام وأنه الدين الصحيح ، وإنما هو مجرد دين من الأديان ، لا ينبغي لأهله الفخر به !!!

كما سيأتي في كلام هذا (الضال) .

بعد هذا قام الحمد بوصف ثقافتنا العربية المعاصرة بعدة خصائص عبر نقاط متتالية .

يقول تركي : (إذا نظرنا إلى الثقافة العربية وما يتفرع عنها من ثقافات فرعية رأسية وأفقية ، نجد

أنها كلها ورغم تمايزها وعند مستوى معين من التجريد تتَّصف بالخصائص التالية :

أولاً : ماضوية في مقابل المستقلة)⁽¹⁾

ومعنى هذا عند تركي : (أن المستقبل في حالة الثقافة العربية وآلية إدراكها يقع هناك في الماضي

وليس هناك في المستقبل التاريخي المحسوس والمحكوم بآليات الواقع وديناميكية التحول والتغير .

والعقل العربي المنبثق عن هذه الثقافة القياسية والمنبث في مختلف أوجه الفعل الإنساني (العقل

السياسي ، الاجتماعي ، الاقتصادي ، والتاريخي . . . الخ) ينقل هذه الآلية إلى كافة تفصيلات الحياة

العربية بحيث إنك قد تجد أحدهم يرفض استخدام الملعقة في الطعام مثلاً لأن الأوائل (النموذج

المتسامي) لم يفعلوا ذلك بكل بساطة . نعم إن هذا مثال موغل في المبالغة ولكنك تجد أمثلة مشابهة

تؤكد القياسية والمدرسية في الثقافة العربية بشكل عام ، وما بعض التيارات الإسلامية المغالية في

(1) الثقافة العربية . . . (ص29) .

إسلاميتها ، حسب فهمها وزعمها ، إلا التعبير الأشد تطرفاً لهذه الخصيصة من خصائص الثقافة العربية ،
وإلا فإن المسألة عامة وشاملة وإن اختلفت درجة الاقتراب أو الابتعاد⁽²⁾ .

قلت : هذه هي الخصيصة الأولى من خصائص ثقافتنا عند تركي الحمد ، وهي أنها ماضوية) ، أي أنها
تعيش في الماضي ، وتقيس أحداث الحاضر والمستقبل على الماضي ، وهو (النموذج المتسامي) ،
ويعني به عصر النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام ، رضوان الله عليهم . !!
تعليقاً على هذه الخصيصة أقول :

أولاً : إن هذه (الماضوية) التي جعلتها وصمة عار في جبين ثقافتنا هي ما يدعوننا الله إليه في كتابه الكريم
! وذلك في قوله تعالى : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر)⁽¹⁾
فهو تعالى يطلب منا أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوتنا واسوتنا في أقوالنا وأعمالنا ، يحذرنا
سبحانه من مخالفة أمره صلى الله عليه وسلم { وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا
وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ }⁽²⁾ .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد عاش في هذا الماضي الذي تزدره ، وهكذا خلفاؤه الكرام
الذين أمرنا صلى الله عليه وسلم باتباع سنتهم ، وبقية الصحابة والسلف الصالح الذين أمرنا باللاحق
بركبتهم .

فإن كنت يا تركي تزدر ثقافتنا بأنها (ماضوية) أي أنها تتخذ من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو الذي عاش في (الماضي) أسوة وقدوة لها في أقوالها وأعمالها فقد هويت بنفسك في مكانٍ سحيق
عندما اجترأت على القول (الكفري) المزدرى لشريعة الإسلام .

وإن زعمت أن (بعض) المعاصرين قد يجتهد في أمور يزعم أنها غير جائزة لأن السلف لم
يعملوها كالأكل بالملعقة ، وهو المثل الذي ذكرته ، وهو مثال في غاية الندرة لا يكاد أحد يفعله . فلا
أدري لماذا قمت بتضخيمه وإبرازه ؟!!

فهو اجتهاد فردي يُطالب صاحبه بالدليل الشرعي عليه ، وهل هو من الابتداع في الدين أم أنه
من العوائد التي لا تخالف الشرع وتتبع عرف الناس، وهذا مبحث طويل ليس هذا موضوع التعرض له .
وإنما الاعتراض هو على تعميمك هذا المسلك النادر حتى وصمت به ثقافتنا كلها .

ثانياً : أنك أزدريت ثقافتنا (الإسلامية) بأنها (ماضوية) أي تعتز بالاسلام وبنبيها صلى الله عليه
وسلم وبصحابته وبالسلف الصالح ، ونسيت أن الثقافات الأخرى التي تقدمت دنيوياً ، والتي قد اشتراب

(2) المصدر السابق (ص 31 . 32) .

(1) سورة الأحزاب ، الآية : 21 .

(2) سورة النساء ، الآية 14 .

عنقك إليها هي أيضاً ثقافات ماضوية ، فهام اليهود يفخرون بدينهم وبعاداتهم في زيهم وماكلهم ومشربهم ، وهي تسبق الإسلام بمئات من السنين ، ولم تتخذ من هذه الماضوية مطعناً فيهم أو ازدراءً بثقافتهم ، ومثلهم النصاري الذين درست عندهم ، وهم أيضاً ماضويون باتخاذهم (النصرانية) ديناً لهم ، وإقامتهم كنائسها (وتبشيرهم) بها ، والاعتزاز بمبادئها وأعيادها ، ولم ينلهم منك ما نال أمة الإسلام من الازدراء بثقافتهم .

بل هذه الثقافات (الماركسية) و (البعثية) و (القومية) وهي ما تنددن حوله ! لاتزال تفخر بروادها الذين أبلى التراب أجسادهم وتردد مقولات (ماركس)⁽¹⁾ ، و (عفلق)⁽²⁾ و (ساطع الحصري)⁽³⁾ وكأنها قرآن منزل من عند الله ! ولم ينلهم منك أي ازدراء لهذا التمجيد والدعوة لاحتذاء أفكار (الماضين) .

أما نحن المسلمون فيغيظك . يا تركي . أننا نتبع أفضل رسول بعثه الله إلى الناس ، بخير رسالة نزلت فيهم ، فتزعم أن هذا مما يعيننا ويعيب ثقافتنا .
فلا حول ولا قوة إلا بالله .

أما إن زعمت بأن ثقافتنا (الماضوية) قد دخلتها البدع والخرافات ، فليس الحل بأن ننسخ من جميع هذه الثقافة ونلغي ارتباطنا . والعياذ بالله . وإنما الحل يكون بتطهير هذه الثقافة من البدع والزيادات فيها ، والدعوة إليها صافية نقية كما أنزلت على محمد صلى الله عليه وسلم .

ثالثاً : نقول لك بأن الماضي . سواء كان زماناً أو أفعالاً أو أقوالاً . لا يذم لأجل أنه (ماضي) فهذا لا يقوله عاقل ، وإلا لدممنا كل مامر من حياتنا ولو للحظات . فحياتنا الماضية مدمومة ، وحياة آبائنا مدمومة ، وحياة آبائهم مدمومة . . . وهكذا ، وهذا . كما سبق . لا يقوله عاقل .

فالذي يوصف بالذم هو ما وقع في هذا الماضي من أقوال أو أفعال ذميمة ، أما الأقوال والأفعال النافعة فهي مما يمدح أينما وقعت ، سواءً في الماضي أم الحاضر ، والله سبحانه قد آثنى على أمم قد

(1) المنظر الأول للماركسية ، يهودى الديانة ! وإن ادعى التنصل من ذلك، فهل يعي الحمد هذ؟

(2) نصراني مكر ، استطاع الترويج لمبادئ حزب البعث حتى تسلط على رقاب المسلمين في سوريا والعراق، ثم ادعى صدام _ وهو أحد حسناته ! _ أن شيخه قد مات على الإسلام ولكنه كان يخفى إسلامه !!

(3) المنظر الأول للقومية العربية التي اتخذها ديناً ، أصله من حلب وعاش في اليمن ثم تنقل في بلاد الشام والعراق ، ولا يزال القوميون يخضعون له .

عاشوا في الماضي لأنهم آمنوا وعملوا الصالحات فقال : { فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ ءَعَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ } (1).

وعاب أمماً عاشوا في (الماضي) لأنهم كفروا وعملوا السيئات ، فأهلكهم ، وقال عنهم : { فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } (1).

الحاصل : أن صفة (الماضوية) ليست صفة ذم مطلقاً وليست . أيضاً . صفة مدح مطلقاً ، وإنما الذم والمدح يتبع الأقوال والأعمال ، فما كان من الأقوال والأعمال نافعاً يرضاه الله فهو ممدوح في أي زمان كان ، وما كان منها ضاراً لا يرضاه الله فهو مذموم في أي زمان كان .

أما إن قال تركي : أنا لا أذم الماضي لمجرد كونه ماضياً ، وإنما أذم ثقافتنا لأنها اتخذت الماضي مثلاً ومقياساً تقيس به حياتها .

فأقول : هذه أشد وأدهى لأنك عبتنا لأننا نتخذ من ديننا ميزاناً لأقوالنا وأعمالنا ، ومعنى هذا أنك تطالبنا بأن نتنكر للإسلام ولا نؤمن به ولا نلتزم بأوامره وننتهي عن نواهيه ، وهذا كفر مخرج من الملة . ولا حول ولا قوة إلا بالله . .

ثم أخبرك أنت وأمثالك ممن يدعي أن الالتزام بالإسلام مما يعوق الأمة عن التقدم ، وهو ما تلمحون إليه ولا تصرحون ، أخبرك بأن هذه شبهة باطلة ، لأن دين الإسلام يدعو إلى اتخاذ كافة الوسائل المشروعة للارتقاء بأهله في سلم الحضارة المادية فالله يقول : { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ } (1) . وهذه القوة تشمل كل أمر دنيوي يرقى الأمة ، ويجعل أعداءها يهابونها ويقدرونها ولا يستهينون بها ، من اعتناء بالتقنية الحديثة ، والصناعات المتنوعة . . الخ الأمور المادية التي ترهب العدو وتُعز الأمة .

فهل عارض الإسلام (الصحيح) يوماً ما مثل هذا ؟ هل عارض الإسلام مثلاً انشاء المصانع وتشبيد الآت الحرب أو النقل وتطوير وسائل الاتصال المتنوعة ؟ لا . . لم يعارض هذا ، وإنما عارض أن ينتشر الفساد الفكري والأخلاقي في ديار الإسلام تحت دعاوي (التقدم) و (التطور) ، وهو ماتسعى إليه أنت وأضرابك ! .

ثم قال تركي واصفاً ثقافتنا بالصفة الثانية : وهي أنها (اسطورية في مقابل الواقعية) (2) ! ومعنى هذا عنده (أن ما يميز الثقافة العربية في هذا المجال هو ميلها إلى " أسطرة " الوقائع التاريخية إن صح التعبير بشكل أكبر ، وخاصة في أعقاب ما يُسمى بعصور الانحطاط وحتى هذه اللحظة

(1) سورة يونس ، الآية : 98 .

(1) سورة النحل ، الآية : 52 .

(1) سورة الأنفال ، الآية : 60 .

(2) الثقافة العربية . . (ص32) .

تقريباً ، إذ أن " الثبات " هو أيضاً من خصائص الثقافة العربية على اختلاف وجوهها ومستوياتها وتفرعاتها وذلك في ما يتعلق بينيتها الأساسية . فالعقل العربي (من ثم الثقافة العربية) يميل إلى أن يصيغ أحداثاً تاريخية معينة بـ " الفردية " والتفرد ورفعها إلى مصاحف الرمز المتسامي الذي لا يتكرر ، فتتحول هذه الأحداث وأبطالها إلى " أساطير " (بعد الاختزال والإضافة) لا يمكن أن تتكرر في التاريخ المعلوم ولكنها تبقى أملاً وحلماً مانحاً قيمةً معينة يُهتدى بها ولكن لا يمكن الوصول إليها بشكل مطلق⁽¹⁾ .

قلت : يقصد تركي بالأحداث التاريخية المعينة التي جعلتها الأمة كالأساطير هي أحداث الفتوحات الإسلامية منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وعهد أصحابه . رضي الله عنهم . مروراً بالفاتحين من أمثال قتيبة بن مسلم ، وموسى بن نصير ، وطارق بن زياد ، ومحمود بن سبكتكين ، ونور الدين زنكي ، وصلاح الدين وغيرهم من الأبطال .

والأمة . كما يعلم كل أحد . لم تجعل بطولات هؤلاء العظماء أساطيراً ! إنما افتخرت بها ، وتغنت بتلك لأمجاد الماضية التي اعتز فيها الإسلام ، وذل فيها أهل الكفر و (النفاق !) .

والأمة لم تقل بأن تلك الأحداث لا يمكن الوصول إليها ولا إلى مثلها ، فإن هذا من اختراعات تركي الحمد ، بل الأمة تحاول استعادة تلك الأمجاد والبطولات في كل زمان ومكان ؛ لأن الجهاد " ماضٍ إلى يوم القيامة " فلا مانع من أن تكون تلك البطولات مثلاً يحتذى في واقع المسلمين ، ولا مانع أن يتكرر مثلها . ولو رغم أنف تركي ! . .

فلا أدري بعد هذا ماذا يعني تركي بقوله بأن ثقافتنا (أسطورية وليست واقعية) ؟ أم أنها كذبة من كذباته يتكثر بها في كتابه⁽¹⁾ .

ثم قال تركي مبيناً الصفة الثالثة من صفات ثقافتنا بأنها : (أحادية في مقابل التعددية)⁽²⁾ .

أي : (إنها ثقافة تنظر إلى نفسها على أنها تتمتع بـ "فردية" معينة تميزها عن غيرها من الثقافات . مثل هذا الموقف لا غبار ولا تشريب إذ أن التمايز صفة من صفات الثقافات في تعددها واختلافها . غير أن الثقافة العربية ، كما تطرح نفسها من خلال الخطاب والممارسة ، تتجاوز مسألة التمايز لتقول بالفردية ومن ثم ، كنتيجة منطقية ، القول بعلوية الثقافة العربية على ما عداها من ثقافات)⁽¹⁾ .

(1) المصدر السابق (ص 32-33)

(1) وقد يقال بأنه يقصد بالنموذج المتسامي الذي لا يمكن الوصول إليه هم " الصحابة . رضي الله عنهم . " الذين هم أفضل الأمة بشهادة القرآن والسنة ، وهذا مما يغيب تركي ! وقد يقال هذا ، ولكن (الرجل) كما قلتُ في المقدمة مُظلم العبارة ، لا يُصَحِّح بما يريد !

(2) الثقافة العربية . . . (ص 34) .

(1) المصدر السابق (ص 34-35) .

ثم يقول : (إن ما يُميّز الثقافة العربية وانعكاساتها السياسية والاجتماعية على وجه الخصوص ، هو أن الشمولية العربية تطرح نفسها (من خلال الخطاب والممارسة) على أنها أبداع ما بالإمكان مقارنة بالآخرين وترتبط هذه الأحادية والشمولية بالمرجعية " الرمزية الماضوية " فتمنحها بالتالي نوعاً من القداسة والفردية والعلوية) (2) .

ثم يقول : (إن كل ثقافة تلجأ إلى آلية الدفاع عن الذات بشكل من الأشكال ، وهذا حق مشروع ، ولكن الملاحظ أن الثقافة العربية في دفاعها عن ذاتها تلجأ إلى عمليات النكوص والارتداد إلى الماضوية البحتة (انظر الخاصية الأولى) والرفض المرضي لكل وافد أو ما يعتقد أنه وافد لا يتواءم مع النموذج . المرجع (انظر الخاصية الثانية) المحدد ايدولوجياً بشكل دوغماتي مغلق . والحقيقة أن الثقافة العربية في تعاملها مع " الآخر " تقع في نوع من " الشيزوفرانيا " والازدواجية القلقة من حيث انها تعرف في داخلها أن هذا الآخر متفوق عليها ولكنها ، وفق آليات الدفاع ، ترفض هذا التفوق وتحاول أن تبرز ضعفها (المرحلي) بكافة التبريرات الايدولوجية والقول بأن تفوق " الآخر " هذا هو مسألة مرحلية لا تلبث أن تنتهي وتعود الأمور إلى مجراها الطبيعي الذي هو علوية الثقافة العربية في نهاية المطاف . ومن ناحية أخرى ، فإن الثقافة العربية (الذهنية العربية) تنظر إلى الآخر على أنه " نموذج " يمكن الاستفادة منه ، ولكنها في ذات الوقت ترفضه وتحاول التمسك بأصالتها التي هي في حقيقة الأمر تلك النزعة الماضوية (النكوصية) المتحدث عنها سابقاً . بمعنى أنها ، أي الثقافة العربية ، تريد ولا تريد في نفس الوقت ، وهذا يُدخلنا في إشكالية ليس من السهل حلها وإن لجأ البعض إلى محاولات التلفيق والتوفيق التي ، وكما يقول الواقع المعاش ، لم تنجح كثيراً في مسعاها) (1) .

قلت : خلاصة هذا الكلام الطويل أن تركي الحمد يخبرنا بأن لا ننظر إلى ثقافتنا (وهي الإسلام !) على أنها أفضل الثقافات ! أو أنها متفردة على غيرها !! والدليل أن الغرب قد تفوق علينا !! ولا زلنا . كما يقول تركي . نبرر هذا التفوق بأنه مرحلي ، وسرعان ماتعود الأمور إلى وضعها الطبيعي وهو أن تعلق ثقافتنا عليه .

وقد احتوى هذا القول السابق من تركي الحمد على خلط وجهل ، و (كفريات) لا يشك فيها مسلم ، حيث زعم هذا الجهول بأن علينا أن لا ننظر إلى ثقافتنا بأنها متفردة وأنها أعلى من غيرها ، فبقارن بين الكفر والإسلام ، ثم فضّل الكفر وأهله عليه ، لأنهم تقدموا (مادياً) ونحن لم نتقدم بعد ، فلهذا هم

(2) المصدر السابق (ص36) .

(1) المصدر السابق (ص37) .

أفضل منا ، وثقافتهم (ومن ضمنها دينهم !) أفضل من ثقافتنا (ومن ضمنها الإسلام !) والعياذ بالله من هذا الكفر البين .

ونسي هذا (الأحمق) بأن تقدم الغرب (مادياً) لا يعني صحة ثقافته وأديانه ، كما أن تخلف بلاد المسلمين (مادياً) لا يعني بطلان ثقافته ودينه (الإسلام) ، لأن هذا التقدم أو التخلف (المادي) لا دخل له بالأديان والثقافات ، فهو مبذول للجميع ، من اخذ بأسبابه وجدّ وثابر فقد حاز السبق فيه ومن تكاسل عن اسبابه ، وركن واعتمد على غيره فقد باء بالتخلف .

ولهذا نجد أن بعض البلاد غير الغربية كاليابان مثلاً قد وصلت إلى قمة التقدم (المادي) وتفوقت على الغرب فيه ، لأنها اتخذت الأسباب الموصلة إليه من استثمار أمثل للطاقات التي أودعها الله في الأرض ، ودعم لكل صاحب عقل مبدع في مجال التقنية دون وضع معوقات أو تثبيط كما يحصل في بلاد المسلمين ، ولهذا فقد وصلت إلى ما تريد .

وهكذا غيرها من الدول التي تخالف (الغرب) في ثقافته، ككوريا أو الصين.

الحاصل : أن ربط التقدم (المادي) بالأديان هو جهل عن حقيقة الواقع .

ثم يقال : بأن من تقدم (دنيوياً) وكان غارقاً في الكفر فهو مذموم عند الله . وقد عاب سبحانه على أقوام مضوا كانوا متقدمين (دنيوياً) وعمروا الأرض مالم نعرها ، وكانوا أشد منا قوة وبطشاً ومع هذا فقد عابهم الله ، ولم يعبأ بتقدمهم ولا بحضارتهم ، لأن المعول عليه عنده سبحانه هو اتباع أمره واجتناب نهيه ، أما الحضارة والتقدم فهي موهبة لمن أدرك اسبابها وتمثل بقول الشاعر :

وقلّ من جدّ في أمرٍ يحاوله

واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

قال سبحانه : { أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ }⁽¹⁾ ، وقال تعالى : (أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق)⁽¹⁾ .

(1) سورة الروم ، الآية 9 .

(1) سورة غافر ، الآية : 21 .

وهؤلاء الكفار المعاصرون هم كأسلافهم الماضين مذمومون عند الله تعالى لكفرهم وإعراضهم عن دين الإسلام ، ولن تنفعهم حضارتهم المادية عند الله شيئاً ، قال تعالى : { أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ } (2) .

فلا يجوز شرعاً وصفهم بعلو أو رفعة أو عزة لأن الله يقول { وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ } (3) .

فالعلو والعزة هو للمؤمنين ، وأن كانوا غير متقدمين دنيوياً ، قال تعالى : { وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } (4) .

فوصف الله عباده المؤمنين بالعلو والعزة ، ووصف الكافرين بالدلة ، وأخبر بأنهم : (شر البرية) (5) ؛ لأن المقياس عنده تعالى هو الأمر والنهي .

وأما أمور (الدنيا) فهي حاصلة لمن أراد الله تحصيله إياها بفعله أسبابها .

قال سبحانه : { كَلَّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا } (1) .

وليس معنى هذا أن نرضى بواقعنا (المادي) غير المتطور فنكون كالأعلى الناس من شرق وغرب ، وإنما نجد ونسعى في سبل الفلاح الدنيوي وننافس القوم في تحصيل أسباب القوة .

الحاصل : أن تركي الحمد قد خلط بجهل بين أمور الدين وأمور الدنيا ، فجعل التخلف الدنيوي دليلاً على التخلف الديني ! وجعل التقدم الدنيوي دليلاً على التقدم الديني ! ففضل الكافرين على المسلمين ، ولم يرتض للمسلمين أن ينظروا لإسلامهم على أنه المهيمن على سائر الأديان ، وهذا . كما سبق . كفر ، لا يمحوه إلا التوبة النصوح إلى الله ، والانتهاه عنه .

ثم قال تركي مواصلاً حديثه عن ثقافتنا بأنها : (رغبوية في مقابل التاريخية) (2) .

ويعني بهذا (اسقاط رغبات الذات على أحداث التاريخ الفعلي لا المفترض ، والنظر إلى أي حدث وكل حدث على أنه يسير في صالح هذه الذات ، وهذا ما نراه واضحاً بشكل خاص في الخطاب العربي المعاصر بشكل أخص الذي يرى ، مثلاً ، في كل حادثة وأي حادثة دليلاً أو مؤشراً على سقوط الغرب أو انتصار قيم الثقافة العربية وغير ذلك) (1) .

(2) سورة القمر . الآية 43 .

(2) سورة المنافقون ، الآية : 8 .

(4) سورة آل عمران ، الآية : 139 .

(5) سورة البينة ، الآية : 6 .

(1) سورة الإسراء ، الآية : 20 .

(2) الثقافة العربية . . . (ص 38) .

(1) المصدر السابق (ص 39)

ثم يقول : (مسألة الرغبةوية في الثقافة العربية المعاصرة خاصة ، تقودنا إلى آلية أخرى من آليات دفاع هذه الثقافة عن ذاتها في وجه الآخر المتفوق والعدو بالضرورة ، ألا وهي ما نسميه النزعة التبريرية في هذه الثقافة . فعندما تبدو معالم ضعف معين وانكسار محدد فإن السبب في ذلك ، مثلاً ، ليس ذات الثقافة وبعض محدداتها ولكن أمور طارئة شكلية إذا ما استبعدت فإنه لا ريب أن ذلك العقل والثقافة راجعان إلى موقعهما الذي يجب أن يكونا فيه من علوية مفترضة . وإذا لم يحدث ذلك فإن الخلل أيضاً لا يمكن في بنية العقل والثقافة ولا يعني ذلك ضرورة مراجعة هذه البنية . بقدر ما أن أصابع الاتهام تشير دوماً إلى " الآخر " العدو دائماً والذي يمنع معالجة هذه الأمور الطارئة والشكلية . بمعنى آخر ، تتحول العملية في نهاية المطاف إلى قناعة دوغماتية بأن شرط العلاج الأول هو اختفاء " الآخر " (غائية رغبةوية) وبدون ذلك فإن كل محاولة للعلاج لا بد وأن تبوء بالفشل (فعل تبريري) . أما ذات العقل ومكوناته وذات الثقافة المفترزة لمثل هذه التطورات ومحدداتها فإنها تبقى بعيدة عن أي اتهام وبمنأى عن أي تحليل وتعليل ونقد⁽¹⁾ .

قلت : أما مسألة سقوط الغرب (أو الكفار عموماً) فهي بأمر الله تعالى الذي لو شاء اسقاطهم لأسقطهم ، ولكنه يقيهم لحكمة . وجميع أفعاله تعالى ذات حكمة فهو سبحانه يقول عن الكفار في كل زمان ومكان { وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيُنَظَّرَ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ }⁽²⁾ .

فحكم بقائهم كثيرة إليك شيئاً منها :

- 1- أن يبلو المؤمنين بهم . كما سبق . فيعلم الصابرين والمجاهدين ، ويشبههم على جهاد الكفار والانتصار لدينه ، كما في الآية السابقة .
- 2- أن الدنيا ليست دار جزاء ، وإنما هي دار ابتلاء ، ولو كانت دار جزاء لأهلك الله جميع الكافرين في طرفة عين . قال سبحانه { وَرَبُّكَ الْعَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَّ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا }⁽²⁾ . وقال : { وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا }⁽¹⁾ .

فالدنيا يموج فيها المؤمن والكافر ، ويسعى كل منهم سعيه الذي سيلاقيه يوم الحساب .

(1) المصدر السابق (ص 40 - 41) .

(2) سورة محمد ، الآية : 4 .

(2) سورة الكهف ، الآية : 58 .

(1) سورة فاطر ، الآية : 45 .

3- أن لا يبقى لهم نصيب ولا حظ في الآخرة ، حيث وافاهم الموت وقد أخذوا نصيبهم من الاستمتاع في الدنيا ، فلم يعد لهم عنده تعالى إلا النار مثوى لهم خالدين فيها .

يقول سبحانه : { وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ } (2) .

ويقول : { فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ } (3)

ويقول : { لَا يَعْزُبُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (196) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ } (4) .

قال ابن القيم . رحمه الله . (إن ابتلاء المؤمنين بغلبة عدوهم لهم ، وقهرهم ، وكسرهم لهم أحياناً فيه حكمة عظيمة ، لا يعلمها على التفصيل إلا الله عز وجل .

فمنها: استخراج عبوديتهم وذلمهم لله . وانكسارهم له ، وافتقارهم إليه ، وسؤاله نصرهم على أعدائهم ، ولو كانوا دائماً منصورين قاهرين غالبين لبطروا وأشروا . ولو كانوا دائماً مقهورين مغلوبين منصوراً عليهم عدوهم لما قامت للدين قائمة ، ولا كانت للحق دولة فاقتضت حكمة أحكم الحاكمين أن صرّفهم بين غلبهم تارة ، وكونهم مغلوبين تارة ، فإذا غلبوا تضرعوا إلى ربهم ، وأنابوا إليه ، وخضعوا له ، وانكسروا له ، وتابوا إليه ، وإذا غلبوا أقاموا دينه وشعائره ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، وجاهدوا عدوه ، ونصروا أوليائه .

ومنها : أنهم لو كانوا دائماً منصورين ، غالبين ، قاهرين ، لدخل معهم من ليس قصده الدين ، ومتابعة الرسول . فإنه إنما ينضاف إلى من له الغلبة والعزة ، ولو كانوا مقهورين مغلوبين دائماً لم يدخل معهم أحد . فاقتضت الحكمة الإلهية أن كانت لهم الدولة تارة ، وعليهم تارة . فيتميز بذلك بين من يريد الله ورسوله ، ومن ليس له مراد إلا الدنيا والجاه .

ومنها : أنه سبحانه يحب من عباده تكميل عبوديتهم على السراء والضراء ، وفي حال العافية والبلاء ، وفي حال إدالتهم والإدالة عليهم . فله سبحانه على العباد في كلتا الحالين عبودية بمقتضى تلك الحال . لا تحصل إلا بها ، ولا يستقيم القلب بدونها كمالات تستقيم الأبدان إلا بالحر والبرد ، والجوع والعطش ، والتعب والنصب ، وأضدادها ، فتلك المحن والبلايا شرط في حصول الكمال الإنساني والاستقامة المطلوبة منه ، ووجود الملزوم بدون لازمه ممتنع .

(2) سورة آل عمران ، الآية 178 .

(3) سورة التوبة ، الآية 85 .

(4) سورة آل عمران ، الآية : 196 ، 197 .

ومنها : أن امتحانهم بإدالة عدوهم عليهم يمحصهم ، ويخلصهم ، ويهذبهم . كما قال تعالى في حكمة إدالة الكفار على المؤمنين يوم أحد { وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ(139) إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ(140) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ(141) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ(142) وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ } .

فذكر سبحانه أنواعاً من الحكم التي لأجلها أديل عليهم الكفار ، بعد أن ثبتهم وقواهم وبشرهم بأنهم الأعلون بما أعطوا من الإيمان ، وسلاهم بأنهم وإن مسهم القرع في طاعته وطاعة رسوله ، فقد مس أعداءهم القرع في عداوته وعداوة رسوله .

ثم أخبرهم أنه سبحانه بحكمته يجعل الأيام دولاً بين الناس فيصيب كلاً منهم نصيبه منها . كالأرزاق والآجال .

ثم أخبرهم أنه فعل ذلك ليعلم المؤمنين منهم ، وهو سبحانه بكل شيء عليم قبل كونه وبعد كونه ، ولكنه أراد أن يعلمهم موجودين مشاهدين ، فيعلم واقعاً .

ثم أخبر أنه يحب أن يتخذ منهم شهداء ، فإن الشهادة درجة عالية عنده ، ومنزلة رفيعة لاتنال إلا بالقتل في سبيله ، فلولا إدالة العدو لم تحصل درجة الشهادة التي هي من أحب الأشياء إليه ، وأنفعها للبعد .

ثم أخبر سبحانه أنه يريد تمحيص المؤمنين ، أي تخليصهم من ذنوبهم بالتوبة والرجوع إليه واستغفاره من الذنوب التي أديل بها عليهم العدو ، وأنه مع ذلك يريد أن يمحق الكافرين بغيهم وطغيانهم ، وعدوانهم إذا انتصروا .

ثم أنكر عليهم حسابانهم وظنهم دخول الجنة بغير جهاد ولا صبر . وأن حكمته تأبى ذلك . فلا يدخلونها إلا بالجهاد والصبر ، ولو كانوا دائماً منصورين غالبين لما جاهدتهم أحد ولما ابتلوا بما يصبرون عليه من أذى أعدائهم .

فهذا بعض حكمه في نصره عدوهم عليهم ، وإدالته في بعض الأحيان) .

هذا عن مسألة انتفاش الكفار . والغرب منهم . في هذه المرحلة من الزمان ، أما المستقبل فإن كل مؤمن يحزم ويؤمن بأن دين الإسلام سيهيمن على كل الأديان ، لقوله تعالى : { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ } .

وسيكون هذا . والله أعلم . في زمن عيسى . عليه السلام . عندما يأذن الله بنزوله من السماء فينزل ويكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام .

قال صلى الله عليه وسلم : ((والذي نفسي بيده ، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ، ويضع الحرب ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها)) .

قلت : أما (تلميح) تركي الحمد بأن الخلل قد يكون في ثقافتنا ، فهو لم يوضح كعادته ما يعني بهذه الثقافة التي هي سبب تخلفنا ؟

إن كان يعني بالثقافة (الإسلام) فقد سبق توضيح أن الإسلام يحث أبناءه ويحرضهم على الأخذ بأسباب التقدم الديني ، وهذا لا يخفى إلا على جاهل يريد أن لا يفهم ! وإن كان يعني بالثقافة شيئاً آخر في سلوكياتنا ومفاهيمنا فارجو من هذا المفكر الألمعي ! أن يوضحه لنا .

بعد هذا عقد تركي الحمد فصلاً بعنوان (الثقافة العربية والثقافة العالمية) ملخصه أن العالم بعدها تحول إلى قرية صغيرة بفضل الاتصالات نشأ عن ذلك ثقافة (عالمية) يتفق عليها كل البشر ، ومثل لهذا بـ (العقلانية ، والعلم التجريبي ، وضرورة التحول الدائم (الحدثة إن شئت) ، والتقنية وما يقف وراءها من عقل وذهن، ونحو ذلك) وهذه الثقافة قد (علت وسادت حتى أصبحت ثقافة عالمية بغض النظر عن المصدر والجذور ، وبغض النظر عن مشاعر الحب أو الكره ، القبول أو الرفض لمثل هذه الثقافة).

ثم بين أن اليابان قد استفادت من أسس هذه الثقافة العالمية دون أن تفقد شخصيتها الخاصة .
ثم قال : (أما إذا جئنا إلى المنطقة العربية والثقافة العربية السائدة فإننا نجد أن العلاقة مع هذه الثقافة العالمية أو الثقافة الغربية إن شئت فالمسألة سيان ، أقول : إذا جئت إلى المنطقة العربية والثقافية فإنك ستجد مثل هذه العلاقة تشكل إشكالية معينة بل ومعضلة عويصة منذ أول احتكاك للعرب مع الغرب الحديث وحتى هذه اللحظة . ما الخطب هنا وما الذي جعل هذه " الفرادة " للثقافة العربية في تعاملها مع ثقافة هذا العالم المعاصر (الثقافة الغربية) بشكل لا يوجد تقريباً في الثقافة الأخرى عند تعاملها مع مثل هذه الثقافة ؟ في اعتقادي فإنه وبالنظر إلى خصائص الثقافة العربية والعقل العربي المتحدث عنها سابقاً فإنه يمكن الوصول إلى جواب معين اعتقد أنه مرضٍ وكافٍ . من خلال هذه الخصائص السابقة يتبين لنا أن الثقافة العربية تعتقد " العلوية " في ذاتها كانت تدرك حسياً أنها ليست كذلك في هذه المرحلة من التاريخ على الأقل . الإحساس بالعلوية هذا يجعل الثقافة العربية تتوقع على ذاتها وعلى أصولها المُدعاة "الثابتة" خشية الاحتراف ومن ثم الذوبان في الثقافة العالمية الجديدة مما يفقدها "أصالتها" وبالتالي أحقيتها في العلوية وقدرتها على السيادة والصدارة . إنه هاجس العلوية والصدارة والسيادة العالمية للثقافة العربية هو ما يعيقها عن الاندماج في العصر والاستفادة من منجزات الثقافة الحديثة)⁹ .

⁹ الثقافة العربية (ص 47 .

(وقد يقول قائل : (وما العيب في أن تطلب الثقافة العربية الصدارة ؟ أليست اليابان المعاصرة في طريقها إلى السيادة العالمية في ظل النظام الدولي الجديد الآخذ في التكوين ؟) وهذا سؤال مبرر ومشروع ، ولكننا نقول إن النهضة اليابانية والتي ابتدأت في عصر الميحي انطلقت دون أن تكون أسيرة مفاهيم ثقافية كالتي رأيناها عند الحديث عن خصائص الثقافة العربية . وهي ذات المفاهيم التي عرقلت حركة النهضة العربية الحديثة . هذا لا يعني القول بالانفصال المطلق في التجربة اليابانية بين القيم الثقافية الوطنية ومحاولات النهضة ، ولكن المعنى منصرف هنا إلى القول إن النهضة اليابانية لم تكن أسيرة هذه المفاهيم بمعنى النظر إليها نظرة ثبوت وسكون وقديسية وإلا فإن إعادة تشكيل هذه المفاهيم كان أحد الحوافز التي أدت إلى النهضة اليابانية الحديثة . هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية فإن الثقافة اليابانية لم تكن أسيرة مفهوم الصدارة والعلوية والسيادة الواجبة كمضمون للنهضة (الموقف الايديولوجي) بل إنها اتجهت اتجاهاً براغماتياً شبه صرف أدى في النهاية إلى سيادة يابانية من نوع معين وبشكل معين)¹⁰ .

قلت : عجيب أمرك يا تركي ! تطالب المسلمين بأن لا يعتزوا بإسلامهم ، وأن لا يروه خاتمة الأديان الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه وتطالبهم بأن يساوا أنفسهم مع الكافرين ، إن لم يكونوا أقل منهم . عندك .

ثم تقترح عليهم أن يتخلوا عن دينهم وينساقوا مع الثقافة العالمية (المزعومة) لكي يتقدموا ويتحضروا ! هذا هو ملخص فلسفتك السابقة .

والذي يعجب المرء منه أنك لا زلت تخلط بين مسألة التقدم (الدنيوي) وبين مسألة الأديان ، فمن كان عندك متقدماً في أمور الدنيا فهو خير من غيره . ولو كان يدين بدين (الإسلام) ! .

ومن كان مسلماً متأخراً في أمور الدنيا فهو شر من الكافرين . والعياذ بالله . .

وأجهل من هذا أنك ربطت التقدم (الدنيوي) بالتخلي عن الإسلام ، والأخذ بهذه الثقافة العالمية التي اخترعتها . والعقلاء جميعاً يعلمون أن التقدم (الدنيوي) لا دخل له بالثقافات ، وإنما هو مبدول للجميع ، فمن أخذ بأسبابه حصل عليه ومن آثر الدعة والكسل حُرِمه . كما سبق . .

ودليل هذا أننا نجد بلاداً (غير عربية) قد نالت من هذا التقدم (الدنيوي) حظاً لا بأس به ، بالرغم من تباين ثقافتها كاليابان ، والهند ، وكوريا وغيرها .

بل نجد بلاداً إسلامية . والله الحمد . بدأت تفيق من غفوتها وتسعى حثيثاً إلى حجز مكانها في هذا التقدم . كالباكستان مثلاً .

¹⁰ . الثقافة العربية (ص 50-51)

ودليل هذا . أيضاً . أننا نجد كثيراً من الخبراء الذين ساهموا في تطور أرقى بلاد الغرب (مادياً) وهي أمريكا ، هم ممن يدينون بثقافات غير ثقافتها ، وإنما وهبهم الله مواهب عقلية استطاعوا بها استثمار طاقات الأرض وكنوزها ، ولما لم يجدوا من يعينهم في ديارهم لجؤوا إلى بلاد الكفر فكانوا عوناً لها على تقدمها .

الحاصل : أن التقدم (الدنيوي) لا علاقة له ألبته بالأديان والثقافات ، وإنما هو حاصل لمن استثمر مابثه الله في هذا الكون من طاقات ومخزونات .

والإسلام . كما سبق . يدعو إلى هذا الاستثمار ويحث أبناءه عليه ، فما على بلاد المسلمين وقد حباها الله الكنوز المدفونه في الأرض إلا أن تستثمر هذا كله ، وتتوكل على الله وحده ، وتشجع النابغين من أبنائها ، وتفتح لهم مجال الانطلاق في هذا التقدم ، دون أن تحذر منهم ! أو تشبطهم ، أو تضع في دربهم العراقيل . فإنها بهذا كله واصلة . بلا شك . إلى ماوصل إليه الآخرون ، وجامعة بين سعادة الدنيا والآخرة ، وغيرها من الكفار وإن وصلوا إلى هذا التقدم فمشواهم النار وبئس المصير ولو رغمت أنوف (المنبهرين) !

فليت الدكتور الحمد يفهم هذا ولا يربط التقدم الدنيوي لنا بالتخلي عن (الإسلام) والأخذ بالثقافة العالمية التي اخترعها من عند نفسه . والله المستعان .

بعد هذا عقد الحمد فصلاً بعنوان (الثقافة العربية والسلوك السياسي العربي) ملخصة أن السلوك السياسي هو عبارة عن ترجمة للثقافة التي يحملها المجتمع . ولتوضيح ذلك ضرب الحمد مثالين لهذا .

أولهما : قضية حرب الخليج الأخيرة ، وحيث استخدم صدام في شعاراته أثناء الحرب ، لغة (ماضوية) تتحدث عن الدين وعن الصراع بين الإسلام والصليبية ... الخ . في لغة لا تعبر عن الواقع .

المثال الثاني : هو تعامل العرب مع قضية فلسطين حيث الرفض والتعالي على الواقع حتى خسرتنا كل شيء .

ثم قال الحمد (الماضوية والرمزية . الأسطورية . خلقت بالنسبة لقضية فلسطين انطباعاً ، بل اعتقاداً ميتافيزيقياً هلامياً معيناً من أن فلسطين لا بد وأن تتحرر في يوم ما ، وينتهي الوجود الإسرائيلي برمته كيف ، اين ، ومتى ؟ هذه أسئلة عقلانية لا تجد إجابة لها لدى النخب فما بالك بالجماهير . هنالك مجرد حلم " رغبوي " بذلك يسقط على واقع الحال فتنبثق عنه ثلة من الرموز والأساطير . عندما يُقبل ذلك "المنقذ" من الغيب تتحرر فلسطين كما أقبل صلاح الدين وطرد الصليبيين من فلسطين ، وكما جاء قطر والظاهر بيبرس وهزموا أبناء التتار . هنالك بعد ميتافيزيقي غيبي بالنسبة لهذا المنقذ المفترض تعبر

عنه الثقافة العربية عموماً والشعبية خصوصاً أفضل تعبير حين تربط الأشياء بالزعامة الفردية وقدرتها على الانقاذ الخارق) ¹¹ .

قلت : أما أن صدام حسين استخدم شعارات (ماضوية) فيعني بها تركي أن صداماً قد استغل الشعارات الإسلامية عند مواجهته للغرب ، وهذا أمر واقع ، والذي دعاه لهذا هو محاولته كسب تعاطف الجماهير الإسلامية المتعطشة لجهاد أعداء الله ، لاسيما مع تنامي المد الإسلامي في كل البلاد . والله الحمد .

فلهذا لجأ صدام إلى دغدغة الشعوب باستخدام اللغة التي يؤمنون بها ، ويتمنون دعوتها ، ولكنه لم يفلح كثيراً في هذا لأن الشعوب الإسلامية قد انتشر بينها الوعي الإسلامي فلم تعد تخدعها الشعارات دون الأفعال ، والكثير يعلم أن صداماً وحزبه (البعث) هم أكفر وأضر على الأمة من اليهود والنصارى لأنه حزب علماني النشأة وخصم لدود للإسلام ، ولولا مصلحة صدام ومن معه من أعضاء حزب البعث في استخدام الشعارات الإسلامية لكانوا قد داسوا تلكم الشعارات . والعياذ بالله . تحت أقدامهم ، ولكنهم أناس يدورون مع مصلحتهم ، فهم قد أيقنوا أن الشعوب الإسلامية لم تعد كما كانت بالأمس تحركها الشعارات القومية ، وإنما آمنت وأيقنت بعد أن جربت تلكم الحلول (القومية) المنابذة للإسلام بأن الحل الوحيد لمشاكلنا جميعاً هو الالتزام بالإسلام وعودة الحكم الإسلامي إلى ديار المسلمين بعد أن غُطِّل وأبعد عن الواجهة . إلا مارحم الله .

وأما من تعاطف مع صدام وأيده وانساق مع شعارته ، ففي ظني أنه إنما فعل ذلك ليس حباً في صدام وحزبه ، وإنما بغضاً لأهل الصليب .

أما سخريتك باعتقاد المسلمين بأن فلسطين سوف تتحرر يوماً ما ، ووصمك هذا الاعتقاد بأنه غير واقعي ، وإنما أسطوري غيبي أو ميتافيزيقي كما تقول ، فهذا دليل جهلك بدينك وبأحاديث نبيك □ ، أو إعراضك عنها وعدم تصديقها .

فقد قال □ مبشراً بهذا : " لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ، فيقتلهم المسلمون ، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر . فيقول الحجر أو الشجر : يا مسلم ! يا عبد الله ! هذا يهودي خلفي فتعال فاقته . إلا الغرقد ، فإنه من شجر اليهود " ¹²

¹¹ الثقافة العربية (ص 65) .

¹² أخرجه مسلم (2922) . وقد بدأت الأحداث تؤكد كلام الصادق المصدق □ من حيث تجمع اليهود من جميع بلاد العالم في فلسطين ، وتعظيم (المد) الإسلامي الذي سيجعل من فلسطين مقبرة لأحفاد القردة . نسأل الله أن يعجل بمذا وأن يرزقنا شرف المشاركة فيه ! وأن يخذل المنافقين الذين يكذبون محمداً □ ، والذين يقولون كما قال أسلافهم (ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً) .

هذا هو الذي جعل الشعوب الإسلامية تؤمن بأن يوم تحرير فلسطين آت لا ريب فيه ، لأنها تصدق بقول نبيها □ الذي قال الله فيه: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ) ¹³ .
وليس معنى هذا أن تترك الأمة إلى أن يأتي هذا اليوم الموعود ، وإنما الواجب عليها أن تحرص على الالتزام بدين نبيها □ كما أنزل دون بدع أو تحريف ثم تجاهد أحفاد القردة إلى أن يأتي وعد الله .
قلت : وما سبق من سخريتك بهذا الحديث وما جاء فيه هو دليل على عدم إيمانك بالغيب الذي أخبر به الله وأخبر به رسول الله □ ، والله الهادي .

ثم عقد الدكتور فصلاً بعنوان (الحالة الثقافية العربية : خلاصات ونتائج) قال فيه :
(نحن أمة لا تعرف ماذا تريد ، وإن عرفت فعن طريق الأسطورة والحلم البحث المجرد) ¹⁴ .
(نحن أمة لا تعرف ماذا تريد ، لأنها أمة محكومة بمفاهيم ثقافية ذات خصائص تُقيد من حرية الفعل والحركة لديها بمفاهيم وتصورات لا تعبر عن الحركة في التاريخ بقدر ماتعبر عن السكون واللاتاريخية) ¹⁵ .

(العالم يتحدث عن المستقبل ويغير من الحاضر ، ونحن لا نتحدث إلا عن الماضي ، ونقسم حول هذا الماضي المتصور شيعاً وأحزاباً متناحرة في قضية لا وجود لها أصلاً ، وإن وجدت فلا أثر لها في تحولات المستقبل في هذا العالم ، وإذا أردنا أن ندرك حقائق الأمور في هذا العصر حاولنا ذلك من خلال تصورات ومسميات لا علاقة لها بالعصر وثقافته ، أي أننا نسبل الماضي على الحاضر فنخسر المستقبل) ¹⁶ .

قلت : لا زال الدكتور يتحدث بلغة رمزية عائمة ، فلم يبين الدكتور ماهي الاسطورة التي لا زلنا نعيش فيها ؟ وما هو الماضي الذي يعيب علينا اتباعه ؟ وما هي المفاهيم الثقافية التي تقيدنا ؟
إن كان يعني بذلك : الإسلام (الصحيح) الذي أنزل على محمد □ ، فبئس ما سولت له نفسه ، حيث زعم أن اتباع الإسلام يورث الأمة التخلف ويعيقها عن الحركة .
وإن كان يعني بذلك شيئاً آخر فليبينه (بوضوح) لا رمز فيه ، لأنه في مقام النصح للأمة ، فلماذا الخوف ؟ والمماذا التعتة ؟ والمماذا التخفي خلف العبارات (المطاطة) ؟
أما تلميحه إلى أننا نختلف حول الماضي ، فهو يعني بذلك اختلاف أهل السنة مع أهل البدع وعلى رأسهم الرافضة ، حول قضية الصحابة والخلافة ، وهي قضية قد مضت ، وهدى الله فيها أهل

¹³ سورة النجم ، الآية : 3 .

¹⁴ الثقافة العربية (ص 17) .

¹⁵ الثقافة العربية (27) .

¹⁶ الثقافة العربية (ص 72-73) .

السنة إلى القول الوسط ، والذي يحفظ للصحابة . رضي الله عنهم . مكانتهم مع ترديد قوله الله تعالى {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} 17 .

أما وقد خاض أهل البدع في هذه القضية وتجروا على أعراض خير الخلق بعد الرسل ، فكان من واجب أهل السنة توضيح الحق في هذه المسألة ، وإعادة الأمور إلى نصابها الصحيح ليهلك من هلك عن بينه ويحيى من حي عن بينه ، وتبيين الحق في هذه القضية (الماضية) ليس مما يعيب أهل السنة الذين هم أهل الإسلام ، فاللوم ليس عليهم وإنما على أهل البدع الذين آثروا تفريق الأمة وتحزبها بالخوض في أحداث قد مضت وانتهت ولم يقولوا : (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون) 18 .

فاللوم منصب على المبتدعة . وعلى رأسهم الرافضة . فهم الأحق بتقريع الدكتور حتى يرفعوا عن بدعتهم ويعودوا إلى الإسلام ، ليكونوا عوناً لإخوانهم أهل السنة في نشر دعوة الحق ، والترقي في مراقبي التطور والتقدم .

ثم عقد الدكتور خاتمة لكتابه أسماها (نحو ثقافة عربية جديدة) ومن يطلع على هذه الخاتمة يتوقع أن يسعفنا الدكتور فيها بخلاصة ما يريد قوله للأمة بعد أن أنهكته اللغة (الرمزية) طوال بحثه ! ولكن القارئ لخاتمته يفاجأ بأن الدكتور لا زال يتخبط ويتعثر في سبيل التوضيح عن مراده ويستخدم نفس اللغة السابقة التي سار بها طوال بحثه .

يقول الدكتور ما ملخصه بأن (لكل النهضات الإنسانية المعروفة تاريخياً ابتدأت بنوع من الثورة الاستمولوجية¹⁹ ! التي غيرت من نظرة الإنسان إلى نفسه ، وإلى مجتمعه ، وإلى العالم من حوله)²⁰ فكانت النهضة ، وكان الابداع ، وكان الفعل الحضاري)²¹ .

(وعندما نقول مثل هذا الكلام ، فإن ذلك لا يعني الانفصال التام أو القطيعة المطلقة بين الثقافة السائدة والثقافة اللاحقة)²² .

¹⁷ سورة الحشر ، الآية : 10 .

¹⁸ سورة البقرة ، الآية : 134 .

¹⁹ قال الأستاذ منذر الأسعد في تعريفها :

" إستمولوجيا : فرع من الفلسفة العامة يبحث في أصل العلوم الإنسانية وطبيعتها ومداتها ومدارسها المختلفة . وبعض المفكرين المعاصرين يذهبون إلى أن

الإستمولوجيا تبحث في ما يتعلق بفلسفة العلوم ومبادئها الأولى .

أما عن طبيعة المعرفة ومداتها فتتناقض آراء المفكرين الغربيين بين الأوهام والتطرف المادي الإلحادي ، وحيث يصل الشك أحياناً إلى الزعم باستحالة الحصول على معرفة يقينية .

ومعظم هؤلاء ينكرون الوحي كمصدر للمعرفة !! ((المغني الوجيز . ص 12) .

²⁰ الثقافة العربية (77) .

²¹ الثقافة العربية (ص 77) .

²² الثقافة العربية (ص 78 - 79) .

ثم يقول تركي (كل الطروحات النهضوية العربية تقريباً (الإسلامية منها والقومي) تدور في فلك التراث ولكنها لا تنطلق منه بمعنى أنها تدور في النسق التراثي ولا تبني أنساقاً جديدة)²³.

(لأجل ذلك ، فإن المفاهيم والتصورات والقيم الماضوية (التراث) تبقى حاملة لمضمونها السابق في الأنساق السابقة وذلك لانعدام النسق الجديد ومن ثم تفقد فاعليتها لأنها تنتمي إلى زمان غير الزمان ومكان يختلف عن المكان . ومهما حاولنا تحديث هذه المفاهيم والتصورات والقيم باعطائها مضامين جديدة عن طريق التوفيق وإعادة التفسير والتأويل فإن ذلك لا يجد إذا كان النسق العام للأشياء (ومنه النسق الاستمولوجي والثقافي عامة) وبنية العقل ذاتها ثابتة لا تتغير وهذا النسق لا يكون إلا بالإطلاق من حيث انتهى الآخرون (وفق ما تقضي به التجارب النهضوية الناجحة) سواء كان هؤلاء الآخرون هم " الآخر " الغربي أو التراث ذاته وليس الفرق في كل ذلك . بمعنى آخر ، إن المطلوب هو سيطرة الحاضر على الماضي وليس سيطرة الماضي على الحاضر)²⁴.

ثم ختم تركي دراسته بقوله : (من أجل الاندماج في العصر الحديث ، ومن أجل أن يكون للعرب دورٌ في هذا العالم وإيجابية معينة لا بد أن تكون البداية على مستوى الثقافة ، مستوى العقل ، مستوى الخطاب ، قبل أي شيء آخر وذلك من خلال نسق جديد للمعرفة يستوعب الحديث ولا يرفض القديم ولكنه لا يغرق فيه أو يسجن نفسه فيه في ذات الوقت . كيف يكون هذا النسق وكيف تكون محدداته وبنائه مسألة لا أجيب عنها وحدي ولا أستطيع الإجابة وليس لي حق الإجابة وحدي إنها مسألة مطروحة ومتروقة لكل قطاعات الانتلجنسيا²⁵ العربية كي تقدم رؤاها ورؤاها وفق إحساس بالمسؤولية معين ووفق نظرة منفتحة متفتحة ليست أسيرة أي نوع من أنواع الدوغما والثقافة المدرسية²⁶ وذات منهج متوازن يوازن ما بين الأمل والألم ، الحلم الواقع ، وهذه هي خصائص الانتلجنسيا الجديدة التي على عاتقها يقع الجزء الأكبر من مسؤولية بناء ثقافة عربية جديدة فهل توجد مثل هذه الانتلجنسيا ؟ وهل ستوجد مثل هذه الثقافة الجديدة وتكون نهضة عربية حقيقية أم أن الانقراض هو المصير ، هذه هي المسألة)²⁷.

قلت : كما هي عادة الدكتور فإنه يستخدم لغةً هي أشبه بالألغاز أو لغة (المجدوبين) من غلاة الصوفية ، وإلا فما معنى قوله (كل الطروحات النهضوية العربية تقريباً . . . تدور في فلك التراث) ثم يوضح هذا بقوله (بمعنى أنها تدور في النسق التراثي ولا تبني أنساقاً جديدة) !!! فما هذا اللغو الكلامي الذي لا طائل تحته ؟ فليس الفهم وادعاء (العقلانية) يكون باستخدام هذه المعميات ، وأن يخبط المرء

²³ الثقافة العربية (ص 82) .

²⁴ الثقافة العربية (ص 82-83) .

²⁵ معناه : الفئة المثقفة (المغني الوجيز) للأستاذ (92) .

²⁶ !!!

²⁷ الثقافة العربية (86-87) .

خبط عشواء ، لا يدري ما يقول فهذا لا يعجز المرءَ صنعه ، فالجميع يجيد مثل هذا التلاعب بالألفاظ وتعمية المعاني تحت دعاوى التحليل والتفكير العقلاني !

وإنما الفهم والذكاء يكونان باستخدام لغة واضحة يتم من خلالها تشريح المشكلة القائمة ثم طرح الحلول التي يرى الكاتب أنها مناسبة لها ، لكي يستفيد من كلامه الناس الذين يخاطبهم هذا المفكر ، بدلاً من تصديق رؤسهم بمثل هذا اللغو غير المثمر .

ثم أقول : ما يقصد الدكتور بأن كل الطروحات العربية والإسلامية تدور في فلك التراث ؟ هل يعني أنه يطالب بأن يُبذ التراث !؟ والتراث كما نعلم يدخل في مسماه عند الإطلاق : الكتاب والسنة . فهل يقصد الدكتور هذا ؟ وما هي الأنساق الجديدة التي يريد الدكتور أن نبنيها لتتقدم وتتحضر بزعمه ؟ هلاً وضح ذلك .

الذي يعلمه العقلاء أننا نحتاج . لتطور وتقدم دنيوياً . إلى أن نتمسك بما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة في أحكامنا وسلوكنا ، وعبادتنا ، ثم نفتح آفاق المعرفة (الدنيوية) لأفراد الأمة لكي يساهموا فيها بما يستطيعون ، مع دعمهم ، وتسهيل مهمتهم ، ورفع العوائق عن دربهم ، فبهذا نحصل على سعادة الدارين :

الدنيا: بترقينا فيها مع التزامنا بديننا وعدم التفريط فيه .

والآخرة : بديننا الذي استقمنا عليه ، فأوصلنا . بعد رحمة الله . إلى جنة رب العالمين .

نعم ! بهذه البساطة يمكن علاج مشاكلنا التي لبسها علينا الدكتور ، ودعانا إلى نبذ ديننا تحت دعاوى (نقد العقل) أو (الثورة الابستمولوجية) !! إلى آخر هذا الهراء .

وكما قلت . سابقاً . يخلط الدكتور كثيراً بين التقدم (الدنيوي) وبين الدين والتزامه ، فيرى أننا لتتقدم (دنيوياً) لابد أن نتخفف من ديننا . والعياذ بالله . ونسي مدعي العقل أن لا علاقة بين الاثنين . كما سبق .

أما خاتمة دراسة الدكتور فهي أيضاً لغز معمى يضاف إلى قائمة ألغازه السابقة ، فهو يطالبنا بأن تكون (البداية على مستوى الثقافة ، مستوى العقل ، ومستوى الخطاب ، قبل أي شيء آخر ، وذلك من خلال نسق جديد للمعرفة ، يستوعب الحديث ، ولايرفض القديم ، ولكنه لا يغرق فيه أو يسجن نفسه فيه ، في ذات الوقت)²⁸ .

كيف يكون هذا ؟ وما هو هذا النسق الجديد ؟

يقول الدكتور : (لا أستطيع الإجابة ، وليس لي حق الإجابة وحدي)²⁹ !!!

²⁸ الثقافة العربية (ص86) .

²⁹ المصدر السابق (ص 87) .

كيف لا تستطيع الإجابة ، وأنت الذي نظرت ، وحللت ، ودرست حالتنا الثقافية الراهنة ، ثم لما جدَّ الجد ، وجاء وقت تقديم الحل لمشاكلها تسللت لواداً هرباً من الجواب ! كيف تدعي أنك مفكر ، وأنت لا تستطيع تقديم حلٍ لمشكلة أنت أنشأتها ، وهولتها ، وبنيت عليها كتابك ؟ حقيقةً ، هذا من العجائب أن يختم الدكتور كتابه بهذه الخاتمة ، وهذا دليل على أن فكر الدكتور من النوع (الهدمي) لا (البنائي) .

فهو كالأستاذ الذي يخطئ طالبه في أجوبته ، فإذا طالبه الطالب بالحل الصحيح عيَّ وسكت ! فهل يعقل مثل هذا !؟

أم أن المسألة مجرد هدم لبناء هذه الأمة ، ولو لم يُقدم لها البديل ، كما يفعل أبالسة الحداثة عندما يهدمون ولا يبنون ، ويُقيضون ولا يشيدون ، والهدم . كما يعلم الجميع . من أسهل الأشياء ، أما بناء الأمم فهو أمر لا يستطيعه إلا أفاض الرجال ، ولا أظن الدكتور (الهدمي) منهم ! .

نقد كتاب دراسات ايدلوجية في الحالة العربية

هذا الكتاب هو عبارة عن مجموعة من الدراسات والمقالات التي كتبها الحمد في أوقات متفاوتة ، وفي أماكن متفرقة ، ومناسبات مختلفة .

وعند تأملي لها وجدت أنها لا تخرج في محتواها عن الكتاب السابق للدكتور الحمد (الثقافة العربية أمام تحديات التغيير) .

لهذا فقد اخترت التعليق على أبرز ما فيها مما يحتاج إلى مراجعة وتعقيب .

المسلمون ليسوا أفضل البشر عند الحمد

يقول الحمد عن لحظة (التقاء) المسلمين بحملة نابليون على مصر : (إن تلك اللحظة التاريخية تشكل في محيطها العام نوعاً من الحَجَرِ ألقى في بركة ساكنة من الماء محدثاً بذلك دوائر ودوائر ما زالت تتفاعل وتتداخل حتى هذه اللحظة دون أن تهدأ ودون أن يعود إلى البركة هدوؤها واستقرارها . لقد بينت هذه اللحظة الفريدة البسيطة في عرف الزمان لسكان هذه المنطقة من العالم ، أن العالم غير العالم الذي عهدوه وخبروه وأن الكون يحتوي غيرهم من الشعوب وغيرهم من الأمم ليسوا بتلك الدونية التي كانت " مفاهيمهم " ³⁰ المتوارثة تصورها لهم . بمعنى من المعاني ، نستطيع القول أن هذه اللحظة التاريخية قد بينت لهم أنهم ليسوا وحدهم في الكون وأن هذا الكون (العالم) أوسع مما يتصورون أو تصوره لهم المفاهيم السائدة حوله . بل لقد بينت هذه اللحظة أنهم ليسوا أسياد الكون كما كانوا يعتقدون بل ليسوا أفضل من فيه) ³¹

قلت : لازال الحمد مصراً على تفضيل (الكفار) على (المسلمين) ، وتفضيل (ثقافتهم ومن ضمنها أديانهم المحرفة) على (ثقافتنا وهي الإسلام) ولا زال لم يفهم . وأظنه لا يريد أن يفهم . أن التطور (المادي) الذي حظي به الغرب ³² لا يعود إلى أديانهم أو ثقافتهم ، وإنما يعود إلى استغلالهم خزائن الأرض والكون (المبدولة لكل أحد) واندفاعهم في سبيل استثمارها دون معوقات أو مشطبات ، بل بتشجيع العقول (النابغة) عندهم ، وتسهيل مهمتها لتنتج وتثمر . . . إلى أن أدركوا هذا التطور (المادي) المشاهد الذي هو ليس حكراً عليهم .

بل . كما سبق . كل من بذل أسبابه سينال منه ما قدره الله {كُلًّا نُمِدُّ هُوْلَاءِ وَهُوْلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ

{ ³³ .

فلا أدري لماذا يتجاهل تركي هذا ولماذا يضخم الموضوع تضخيماً مبالغاً فيه ، ويصور أن تحقيقه لن يكون إلا بأن تتخلى الأمة عن دينها (وهو يسميها مفاهيمها المتوارثة) .

وقوله بأن المسلمين ليسوا أفضل من في العالم ، هو قول (كفري) والعياذ بالله ، لا يخفى على من عرف مبادئ الإسلام . حيث فضّل (الكافرين) على (المسلمين) . نعوذ بالله من

30

³¹ دراسات ايدلوجية في الحالة العربية (ص 8) ط 1 - 1992 م .

³² وكذا غيرهم ، كاليابان (الشرقية) . فلا أدري لماذا الإصرار على الغرب وحده من الحمد أم أن دراساته الأولى في أحضانهم قد آتت أكلها في عقله فلم يعد يرى سواهم

³³ سورة الإسراء ، الآية : 20 .

الخزي والمهانة ودناءة النفس التي تجعل المرء يستصغر نفسه وأمته أمام أعداء الله ، فينظر إليهم نظر المتسول المستشرف لما عندهم من (مفاهيم) و (ثقافات) .
وليعلم الحمد أن الغرب وإن تطور (مادياً) فهو باقٍ على (نصرانيته) القديمة ، معتر بها .
وهكذا اليهود ، وهكذا غيرهم من (الوثنيين) كأهل الشرق . مثلاً .
فلم يتغير شيء على وجه الأرض منذ ظهر الإسلام ، كما يزعم الحمد ، لأن الكل باقٍ على (ديانته) ومعتر بها ، بل ومنافع عنها .
وإنما الذي تغير أن هذه الأمة تأخذ بأسباب التطور (المادي) فتطور ، وتلك تقصر عنها فتبقى في مكانها .

فلماذا التهويل يا تركي ؟ وكأن العالم قد قلب رأساً على عقب كما تريد أن تصوره لنا .

الحضارة (المادية) مرتبطة بأديان وثقافات الكفار عند الحمد :

لا يرتضي الحمد لنا أن نأخذ بحضارة الغرب (المادية) لأنها مرتبطة (بثقافتهم) ، فإما أن نأخذهما جميعاً ، أو نذرهما جميعاً .

يقول الحمد : (إن التاريخ العربي الحديث والمعاصر يبين أن عملية " التوفيق " هذه هي عملية كمية وليست كيفية . بذلك نعني محاولة دمج ما لا يدمج ومزج ما لا يمزج وذلك وفق مقولة " نأخذ منهم ما يتفق وقيمنا ونترك الباقي " وقد ترجمت هذه العبارة في كثير من الأحيان على أساس " استيراد " المنتجات المادية لحضارة الغرب المعاصر دون التعرض لمسألة القيم والايديولوجيا (وفق الفهم الشمولي) .
(بمعنى آخر فإن هذا الموقف يفصل ما بين منتجات الحضارة المادية وما بين منتجاتها أو إفرازاتها الثقافية والايديولوجية ، ويدعو إلى أخذ الأولى ورفض الثانية .

وهذا الموقف ، في رأينا يشكل استحالة منطقية واجتماعية في آن واحد . فالحضارة أبة حضارة ، هي عبارة عن كل واحد ليست إفرازاتها المادية إلا نتاج لإفرازاتها الثقافية والايديولوجية وهذه بدورها ليست إلا إفرازاً للنتاج المادي وذلك في وحدة جدلية فاعلة ومنفعلة في آن معاً . والاستحالة تنبع ، من الناحية السوسيولوجية ، من استحالة الجمع " الكمي " بين الشق المادي لحضارة ما والشق الثقافي الايديولوجي لحضارة أخرى)³⁴ .

قلت : يحاول الحمد من خلال هذا القول (الكاذب) أن يسد جميع المنافذ على الأمة ، ويحاول أن يقودها إلى ما يريد .

³⁴ دراسات ايديولوجية . . . (ص 76) .

فإن هي التزمت بدينها وصمها بالتخلف والانغلاق ، وفضل غيرها عليها .
وإن هي حاولت أن تستفيد من حضارتهم (المادية) صاح بها بأنها لن تستطيع هذا لأن
حضارتهم (المادية) مرتبطة بثقافتهم ، فإما أن تأخذها جميعاً ، أو تتركها جميعاً
فماذا تفعل الأمة بعد أن سدَّ الحمد عليها المنافذ ؟ سيأتي ما يريد منها .
أما هنا فلنناقش قوله بأننا لا نستطيع أخذ التطور (المادي) دون أخذ الايدلوجيا أو الثقافة .

فأقول : ما المانع من أن نفعل هذا ؟

ثم ما هو هذا التطور (المادي) الذي سيرتبط بالثقافة ؟

الذي يعلمه الجميع أن قمة الحضارة المادية اليوم هي في :

. بلوغ الذروة في مجال الفضاء : صناعة طائرات مدنية أو حربية ، صناعة صواريخ متنوعة ، اطلاق أقمار
صناعية ومركبات فضائية .

. بلوغ الذروة في إنتاج أنواع الأسلحة الحربية المتنوعة .

. انشاء المصانع المختلفة المتطورة : صناعات حربية ، صناعات استهلاكية ، صناعات ثقيلة . . . الخ

. التفوق في عالم الاتصالات والحاسب : إنشاء شبكاته ، صناعة أجهزة الاتصال السلكية واللاسلكية ،

أنظمة وأجهزة الحاسب الآلي ، الإنترنت .

. التفوق في الزراعة : أجهزة زراعية متطورة ، تخطيط نافع لما يُزرع وكميته ونوعيته ..

هذه . في ظني . أبرز ملامح التطور (المادي) المعاصر الذي من حصَّله فقد فاق غيره في القوة ،
وأصبحت له سيادة ومهابة .

فما دخل كل هذه بالايديولوجيا والثقافة !؟

وهل كل ما سبق سوى عقول بشرية استفادت مما بثه الله على سطح وفي أعماق الأرض وفي
الكون من طاقات كامنة تنتظر من يتوصل إليها فيستغلها ، فاستطاعت أن تسخرها لخدمة أوطانها وبلادها

فما الذي يمنعنا من :

1 . استخدام خبراء وفنيين يكونون نواةً لمن بعدهم في استغلال طاقات وكنوز بلادنا .

2 . تشجيع النابغين من أبنائنا ، وجلب ما يحتاجونه من مواد ومعدات لكي ينتجوا ويحققوا أهدافهم كما
فعل غيرنا .

3 . ومن ثمَّ نحصل ما حصله غيرنا بعد أن أسسنا البنية التحتية السليمة .

أعود فأقول : ما دخل كل هذا بالايديولوجيا والثقافة التي يوهمنا بأنها مرتبطة بهذا التطور (المادي)

؟!

هل يخشى الحمد أن تسيير الأمة على هذا الدرب فتصل إلى ما وصل إليه غيرها دون أن تفقد هويتها أو تفرط في دينها؟! فأراد أن يسد عليها هذا المنفذ ، لكي تضطر إلى الاستجابة إلى (فكرته) التي تدعو إلى (الشك) في كل شيء و(هدم) كل شيء لنبدأ مشوارنا من جديد . كما زعم الحمد ! .

الحمد يدعو إلى نقد الكتاب والسنة الصحيحة !!

يقول الحمد موضحاً فكرته :

(إن المطلوب في هذه المرحلة التاريخية الحرجة (وكل فترة تاريخية هي فترة حرجة في حقيقة الأمر) هو سيادة العقل النقدي لدى المثقف العربي خاصة ومثقف العالم الثالث عموماً ، وذلك يعني أول ما يعني التخلص بوعي كامل من محددات العقل (الدوغماتي)³⁵ بكافة تفرعاته الايديولوجية والخطابية سواء ما كان منها يتجه شرقاً أو غرباً وما يتجه منها إلى أعماق التاريخ يستفتيه أو ما يسيح منها في عالم الجغرافيا يستنطقه . وعندما نقول سيادة العقل النقدي والتخلص من العقل الدوغماتي فإن ذلك يفرض علينا بادىء ذي بدء التخلص من فرضية نجدتها سائدة في حنايا العقل العربي قديمة وحديثة ألا وهي فرضية الحقيقة المطلوبة في مقابل النسبية وحركية الحياة والتاريخ ، فمن الملحوظ أن المثقف العربي على اختلاف مواقفه الايديولوجية والمعرفية والاجتماعية ، يشكل البحث عن الحق والمطلق ثابت الثوابت في تنظيره وخطابه سواء كان ذلك بشكل واع أو غير واع . ولأجل ذلك ، كما أرى ، فإن حياتنا الثقافية والعقلية وإن كان ظاهرياً تتصف بالتعددية إلا أنها هيكلية ليست إلا انبثاق لعقلية واحدة ونظرة أحادية واحدة للكون والمجتمع ، ولأجل ذلك عجزت النهضة العربية المعاصرة عن تحقيق النهضة وعجزة الثورة عن تحقيق الثورة وعجزة الأصالة عن تحقيق الأصالة وكذلك الحداثة عجزت عن تحقيق الحداثة .

إن المطلوب إذن هو عقل نقدي وهذا لا يكون إلا بإلغاء محددات العقل الدوغماتي من حياتنا ، ولا يكون ذلك إلا باعتماد النسبية وديمومة الحركة ، وكل ذلك لا يكون إلا بنوع من الثورة المفاهيمية في الحياة العقلية العربية . ثورة مفاهيمية شبيهة بتلك الثورة التي استهلها عصر النهضة الأوروبية حيث كان الانقلاب الجذري في نظرة الإنسان إلى نفسه وإلى مجتمعه وإلى الكون من حوله . بمعنى آخر ، فنحن بحاجة إلى نوع من النظرة النقدية التي تعيد موضوعة الإنسان بالنسبة إلى نفسه (مفهومه عن نفسه) وبالنسبة إلى مجتمعه ، وبالنسبة إلى الكون الذي يعيش فيه . وعندما نقول نظرة نقدية أو عقل نقدي فإن

³⁵ الدوغماتية : مصطلح نصراني كاثوليكي مشتق من كلمة (دوجما) ومعناها : المبدأ ذو الصحة المطلقة ، ويرتبط هذا المصطلح بالإلهام الذي تزعمه الكنيسة لنفسها ، ويدخل في نطاق الادعاء المثير للسخرية وفحواه أن بابا الفاتيكان معصوم ، وذلك بموجب دوجما صدرت عام (1870م) !! وأصبحت الدوجماتية وصفاً يطلق على الحركات الشمولية كالشيوعية والفاشية .

وفي نطاق بغاوية اللادينيون العرب أصبحوا يفترون على الإسلام بإلصاق الدوجماتية به ظلماً وعدواناً ، مع أنهم هم الأجدر به ، لأن الاقتناع بالإسلام أمر اختياري يلي التفكير والتدبر قال تعالى : { لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي } (البقرة : 256 .
فالدوجماتية . فعلاً . هي نقل مصطلح كنسي وتعميمه ليشمل الدين الذي يرفض الإكليروس وادعاء العصمة لأي مخلوق سوى الأنبياء . عليهم الصلاة والسلام . ، وهو الدين الذي لا تتناقض مبادئه مع أي حقيقة علمية !!) (المعنى الوجيز) للأستاذ (ص 161 . 162) .

البعض قد يعتقد أن ما نقوله هنا ليس إلا جزءاً من موقف القبول المطلق بالغرب ومفاهيم الغرب والذي انتقدناه بدءاً وإن ذلك سوف يؤدي إلى انقطاع كامل وجذري مع التراث والتاريخ الخاص بنا كأمة وجماعة . نرد هنا فنقول إن المسألة ليست كذلك ، فالنظرة النقدية أو العقل النقدي يقف دائماً موقف ((المرتاب)) أو الشاك تجاه ما يأتيه من هنا أو هناك ، من أعماق التاريخ أو من مجاهل الجغرافيا فيصيغ كل ما يأتيه وفق ما تقتضيه حركة التاريخ والمجتمع غير ناسف في ذلك عمومية المفهوم أو خصوصية المجتمع الذي يعمل فيه . إن القبول المطلق أو الرفض المطلق أو التلفيق الكمي هي مواقف دوغماتية في جوهرها حيث أنها تأخذ كلاً أو ترفض كلاً دون مراعاة عامل الحركة في التاريخ والمجتمع)³⁶!!

إذن فقد صرّح الحمد بمراده بعد طول تردد !

فهو باختصار يريد من الأمة !

1 . أن يسود فيها (العقل) .

2 . أن تتخلص من (العقل الدوغانى بكافة تفرعاته الايدلوجية والخطابية..) أي أن تتخلص من كل ما يقيد هذا العقل ، ولو كان قول الله . عز وجل . ، وقول رسوله صلى الله عليه وسلم !! فإن هذين . كغيرهما عند الحمد . سيخضعان للعقل النقدي الذي يبشّر به ويدعونا إليه !!

3 . أنه ليس لدينا (حقيقة مطلقة) ، لأن كل شيء قابل للنسيية والتطور ! فكما أن كل شيء يتطور فكذلك الحقيقة تتطور ! فليس شيء ثابتاً عند الحمد ولو كانت أقوال الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وإن لم يُصرّح بهذا !

4 . يطالبنا الحمد لتحقيق (العقل النقدي) أن نكون من (الشاكين) (المرتابين) فلا نقبل أي شيء دون عرضه على هذا العقل النقدي ، فإن قبله قبلناه ، وإن رفضه رفضناه ، ولو كان قول الله وقول رسوله صلى الله عليه وسلم ، فلا بد من الشك والارتياب فيهما لكي نتطور ! وصدق الله إذ قال عن الكافرين والمنافقين : { وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشيعاهم من قبل إنهم كانوا في شك مريب }³⁷ فهذا نهاية ما يدعونا إليه الحمد من (الشك) ، و (الارتياب) أن يحال بيننا وبين ما نشتهي . والعياذ بالله . ثم إن الحمد في دعوته إلى (العقل النقدي) لم يأت بجديد ، وإنما مردد لما قام به طه حسين تقليداً لديكارت من الشك في كل شيء ولو نصاً من القرآن أو من السنة الصحيحة !

فجاء الحمد مردداً هذه الفكرة (البائدة) في بلادنا ، التي لم ترض بغير الإسلام بديلاً ، ولو كره

الشاكون المرتابون³⁸

³⁶ دراسات أيولوجية ... (77) .

³⁷ سورة سبأ ، الآية : 54 .

³⁸ انظر في الرد على العقلانيين : " موقف المدرسة العقلية من السنة " للأمين الصادق الأمين ، و " العقلانيون " لعلي حسن عبد الحميد ، و " والعقلانية هداية أم غواية " لعبد السلام البسيوني .

الحمد يزعم أن حياة الرسول □ متناقضة !!

يقول الحمد تحت عنوان (ايدولوجيا المثقف التقليدي) : (إن الايدولوجيا التقليدية ، والتي يحملها الشيخ كما في كتابات العروي ، أو السلفي كما في كتابات الجابري ، هي ايدولوجيات تقرأ الحاضر في الماضي ، وتنفي البعد الزمني في قراءتها . بمعنى آخر ، ووفق تعبير الجابري فإنه : " عندما يقرر السلفي أن العرب والمسلمين عامة لن ينهضوا إلا بمثل ما نهضوا به بالأمس ، مستعيداً قوله الإمام مالك " لا يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها " ، فهو يفكر في النهضة داخل مجال خاص ، داخل منظومة مغلقة هي تلك يقدمها له النموذج الحضاري العربي الإسلامي في القرون الوسطى والتي تشكل إطاره المرجعي الوحيد . . . " ³⁹ بمعنى آخر ، فإن ايدولوجيا التقليدي تتضمن استلاباً زمنياً معيناً ، يتلخص في أن المثقف التقليدي (الشيخ ، السلفي) إنما يعيش في " حلم زاه " مفصول الجذور عن الواقع المعاش واللحظة التاريخية الراهنة . أي أن الايدولوجيا التي يحملها التقليدي هي بمعنى من المعاني وفق المفهوم الماركسي الكلاسيكي : وعي زائف وغيوم تحجب الحقيقة التاريخية الفاعلة . وكل شيء وفق ايدولوجيا هذا المثقف خاضع لإطاره المرجعي ، أو نموذجه المثالي وفق مفهوم ماكس فيبر ، الذي هو في غالب الأحيان لا يتجاوز فترة حياة الرسول والمرحلة الراشدة ، رغم تناقضاتها العديدة إذا درست وفق منهج تاريخي موضوعي) ⁴⁰ !!

قلت : مقولة الإمام مالك . رحمه الله . لم يفهمها هؤلاء الجهلة (العروي . الجابري . الحمد) ⁴¹ فالإمام مالك يبين في كلمته تلك بأن المسلمين لن تصلح أحوالهم ، وعلى رأسها الأحوال الدينية ، إلا بأن يتمسكوا بالإسلام الذي جاء به القرآن والسنة الصحيحة ، وهو الذي كان زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام . رضي الله عنهم . دون أن يزيدوا عليه ببدع وخرافات ومقولات كلامية ما أنزل الله بها من سلطان ، ودون أن يفرطوا فيه وينقصوا منه .

لأنه تعالى يقول { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا } ⁴² .

³⁹ الجابري ، الخطاب العربي المعاصر ، ص 92

⁴⁰ دراسات ايدولوجية . . . (ص 90) .

⁴¹ انظر بيان حال (العروي والجابري) كتاب الاستاذ أنور الجندي . حفظه الله (كتاب العصر تحت ضوء الإسلام) .

⁴² سورة الأحزاب ، الآية : 21 .

ورسوله صلى الله عليه وسلم يقول " ستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة " قالوا : يارسول الله ومن هم ؟ قال : " من كان على ما أنا عليه وأصحابي " ⁴³ وهذا في أمر (الدين) كما هو معلوم لكل عاقل يريد أن يفهم ، وهذا هو الذي يقصده الإمام مالك ⁴⁴ .

أما أمر (الدنيا) فهي خاضعة للتطور ، وعلى الأمة أن تسعى لتحصيلها والاستفادة من تطورها . أما إن كان العروي والجابري والحمد يقصدون أن الحق قد يكون في غير (الإسلام) أي في غير (الكتاب) و (السنة الصحيحة) ، وأنه ليس مقصوراً عليها ، وأن من حصر الحق في ماجاء به الإسلام فهو (مثقف تقليدي) فهذا . والعياذ بالله . ردة عن دين الله ، حيث اعتقدوا أن غيره من الأديان أو الثقافات الأخرى قد تكون أفضل منه ، أو أنها مصيبة وهو مخطئ ، نعوذ بالله من ذلك .

فهي طعن بدين الإسلام ، وعدم رضئ بما جاء فيه ، بل والشك والارتياب في مبادئه الثابتة بالكتاب والسنة ، بل شك وارتياب بالكتاب والسنة نفسها ! كما لا يخفى على عاقل يفهم ما يلمحون إليه .

ومما يؤكد هذا : اتهام الحمد في آخر كلامه (حياة الرسول ⁴⁵ المرحلة الراشدة) بأن فيها تناقضات عديدة !! (إذا درست وفق منهج تاريخي موضوعي) !! فهل بعد هذا (الفكر) من كفر !؟ حيث يدعي هذا (الضال) بأن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وحياة خلفائه الراشدين متناقضة ! ولا ندري ماهو المنهج التاريخي (الموضوعي) الذي سيطبقه الحمد على حياة أشرف أنبياء الله حتى يبين تناقضها !؟ أهو منهج الشك ، أم منهج (بقايا) الشيوعيين !؟ لقد خبت وخسرت في قولك هذا عندما اتهمت حياة نبيك صلى الله عليه وسلم بأنها متناقضة ، ولا ندري متناقضة مع ماذا ؟

وصدق الله إذ يقول لنبيه : (إن شئت لك هو الأبر) ⁴⁶ .

الحمد يتهم آل سعود بالاستغلالية والنفاق !!

يقول الحمد : (إن تعاليم الشيخ ⁴⁷ لعبت . وتلاعب . دوراً محورياً في التاريخ السياسي للجزيرة العربية بشكل عام ، فقد أعطت الوهابية الأسرة السعودية المالكة أساساً ايدلوجياً لاضفاء الشرعية على

⁴³ أخرجه الترمذي (26 / 5) وصححه ابن القيم في مختصر الصواعق (410 / 2) .

⁴⁴ فتطبيق مقولته . رحمه الله . ليس مستحيلاً كما يدعي الحمد في كتابه (ص 103) .

⁴⁵ صلى الله عليه وسلم والحمد من عادته المطردة أن لا يصلي ولا يُسلم على نبي الله صلى الله عليه وسلم ذكره ! .

⁴⁶ سورة الكوثر ، الآية 3 .

⁴⁷ محمد بن عبد الوهاب . رحمة الله . .

مطالبها وطموحاتها السياسية في السيطرة والسلطان)⁴⁸!! إذن فال سعود . عند الحمد . منذ محمد بن سعود . رحمه الله . وإلى اليوم (خادم الحرمين) وفقه الله لطاعته ، مروراً بالملك عبد العزيز . رحمه الله . قد استغلوا تعاليم الشيخ محمد بن عبد الوهاب . رحمه الله . أي الدعوة السلفية ، لتحقيق طموحاتهم في الحكم .

فهم لم يناصروها حباً في الإسلام أو في الدعوة السلفية وإنما طعماً في مُلك زائل يتسلطون به على رقاب المسلمين !

فهو يُشبهه آل سعود بالمنافقين الذين يبطنون مالا يُظهرون . والعياذ بالله . .

ونسي هذا الجهول جهاد محمد بن سعود وأبنائه وأحفاده (عبد العزيز . سعود . عبد الله) في سبيل هذه الدعوة السلفية ونشر مبادئها ، بل وتعلمها وتعليمها ، وعدم التنازل عنها في أحلك الظروف ، مع أن بإمكانهم مهادنة أعداء الدعوة مع الاحتفاظ بملكهم .

ونسي . أيضاً . جهود تركي بن عبد الله وابنه فيصل في سبيل إعادة مبادئ الدعوة ونشرها بين الناس ، والذود عنها ، وعدم الرضا بغيرها ، مع أنهم . كأسلافهم . يستطيعون مهادنة الأعداء ، الذين سيقبلون ذلك ، مع الاحتفاظ بملكهم دون أن تمسه يد مغتصب .

ونسي أيضاً جهاد الملك عبد العزيز . رحمه الله . في سبيل انشاء دولة (سلفيه) معاصرة ، تحرص على نشر الدعوة السلفية ، ولا ترضى عنها بديلاً من أفكار وثقافات كان يعج بها العالم العربي والإسلامي

نسي الحمد كل هذا واتهم آل سعود بالفاق ، لأنه لم يرتض مشربهم ولا مبادئهم ، وإنما نفسه تنزع إلى غيرهم من (شياطين) حزب البعث والماركسية - كما سيأتي .

ثلاثية تركي الحمد

ثلاثية تركي الحمد تسمى (أطيف الأزقة المهجورة) وهي من ثلاث حلقات أو روايات متسلسلة تحكي قصة بطل واحد هو (هشام العابر) .
الحلقة الأولى : بعنوان (العدامة)⁴⁹

⁴⁸ دراسات ابدلوجية . . . (ص 140) .

⁴⁹ وسأعتمد على الطبعة الثانية الصادرة عام (1998م) عن دار الساقى ببلبان . والعدامة حي مشهور من أحياء مدينة الدمام .

الحلقة الثانية : بعنوان (الشميسي)⁵⁰

الحلقة الثالثة : بعنوان (الكراديب)⁵¹

1 - العدامة :

بطل هذه الثلاثية هو (هشام بن إبراهيم العابر) شاب صغير السن يعيش مع والديه في مدينة الدمام في فترة الثمانينات الهجرية . وأما اصلهم فيعود إلى القصيم ! .

وكان هذا الفتى الصغير مولع بالقراءة ومتابعة ما يدور من حوله من أحداث وأفكار في تلك الفترة الصاخبة بالشعارات ، فاعتنق لأجل هذا الفكر القومي الماركسي الذي كان متوهجاً ساحراً لكل متفتح على الحياة ، لا سيما بعد نجاح هذا الفكر (على اختلاف درجاته) في الاستيلاء على البلاد العربية مما زاد من رصيد معتقيه الذين رأوا فيه خير موحد للأمة العربية التي مزقتها الاستعمار .

لهذا : اعتنق هشام هذا الفكر وآمن به ، ثم استطاع تنظيم (حزب البعث بالسعودية !!) أن يضمه إليهم كعضو جديد في الحزب بعدما أعجبوا به وبأفكاره .

استمر هشام يحضر اجتماعات الحزب (السرية) ، ويشارك في نقاشاتهم وفي إعداد التقارير لهم عن الأحوال السياسية الجارية .

كما أنه استطاع أن يضم صديقه (عدنان العلي) إلى هذا الحزب ، إلا أنه برغم كل هذا يود التخلص من الارتباط بعضوية الحزب ، مع البقاء على أفكاره دون أن يشعر بأي تقييد .

سافر هشام إلى الرياض لتقديم أوراقه إلى كلية التجارة مؤملاً أن يدرس شيئاً عن الأفكار والأنظمة السياسية المختلفة . فاضطر للسكن في بيت خاله (المتدين) .

كان أولاد خاله يختلفون عنه كثيراً في أسلوب حياتهم وطريقة عيشهم ، وحيث كانوا مقبلين على اللهو والتمتع بالحياة ولم تكن الأفكار الفلسفية والأحداث السياسية تستهويهم لا سيما (عبدالرحمن) الذي تميز عنهم بحبه للمغامرات (النسائية) مع شربه للخمر (أو العرق) .

تغيرت أحوال هشام بسبب ابن خاله عبدالرحمن الذي أغراه بالتمتع بشبابه ومعاقرة الخمر والنساء فانساق هشام معه تدريجياً إلى أن سقطت جميع المثل التي كان يراها في السابق من عينيه بفضل رعاية والديه له في الدمام . فأقبل على حياته الجديدة بنهم شديد وبعلاقات نسائية متتالية .

كان هشام قد سافر من قبل مع أهله إلى بلدهم الأصلي (القصيم) لزيارة جده وجدته .

⁵⁰ وسأعتمد على الطبعة الأولى ، الصادرة عام (1997م) عن دار الساقى بلبنان . والشميسي شارع وحي مشهور في مدينة الرياض .

⁵¹ وسأعتمد على الطبعة الأولى ، الصادرة عام (1998م) عن دار الساقى بلبنان ، والكراديب رمز للسجن .

وهناك تعرف هشام على (عبد المحسن النغيري) الذي عرف هشاماً على بقية زملائه من خلال (كشتات) البر . وهم (محمد الغبيرة) و (دعيس الدعيس) و (سليم السنور) و (صالح الطرثوث) و (مهنا الطعيري) وكانوا جميعاً من المهووسين بجمال عبد الناصر وبقوميته لا سيما (مهنا الطعيري) . عاد هشام إلى الدمام مواصلاً ترقب أخبار الاعتقالات التي حدثت لأفراد الحزب والأحزاب والتنظيمات الأخرى المعارضة (للحكومة السعودية) ومواصلاً أيضاً غزله المتبادل مع بنت الجيران (نورة) .

وبهذا انتهت الرواية الأولى من ثلاثية تركي الحمد .

لتبدأ بعدها أحداث الرواية الثانية (الشميسي) .

2 - الشميسي :

تكاد تكون أحداث رواية الشميسي مخصصة لحال هشام في مدينة الرياض ، وهذا ما يوحي به اسمها (الشميسي) الذي هو اسم شارع شهير في مدينة الرياض . سجل هشام في كلية التجارة وانتقل إلى السكن عند خاله في الرياض ، وكثرت ملابسته للمحرمات من شراب ونساء بواسطة (عبد الرحمن) ابن خاله . ثم ارتبط بعلاقة غير شرعية مع جارة خاله (سارة) أو (سوير) وأصبح يتردد عليها . تفاجأ هشام بالتزام صديقه عدنان ، الذي اختار سبيل الخير مسلكاً له وارتبط مع شباب صالحين أثناء قدومه للدراسة الجامعية في الرياض . أيضاً . انتقل هشام للسكن في عزة مع (عبد المحسن النغيري) الذي قدم الرياض من القصيم لكي يأخذ . أي هشام . حريته الكافية التي كانت مقيدة نوعاً ما في منزل خاله . انتهت امتحانات نصف العام فذهب هشام إلى الدمام لزيارة أهله مواصلاً علاقته العاطفية مع (نورة) بنت الجيران بعد أن علم بزواجها .

رجع هشام إلى الرياض مواصلاً . أيضاً . مغامراته النسائية لا سيما مع (سوير) التي حملت منه جاء والده فجأة لزيارة الرياض لآخباره بأنه مطلوب من قبل رجال الأمن (المباحث) . وبعد أخذ ورد قرر الوالد إخفاءه عن أعين الأمن عند أحد زملائه إلى حين استصدار جواز مزور له لكي يتمكن من الهرب إلى بيروت⁵² عن طريق البحرين ، ولكن رجال الأمن كانوا له بالمرصاد حيث قبضوا عليه وحققوا معه ثم قرروا ترحيله إلى جدة لمواصلة التحقيق (الجاد !) معه .

⁵² كانت ملجأ للمعارضين ذلك الزمان

بهذا الحدث انتهت رواية الشميسي وهي الحلقة الثانية من ثلاثية تركي الحمد ، لتبدأ بعدها أحداث الحلقة الأخيرة من الثلاثية وهي رواية (الكرايب) .

3- الكرايب :

هذه الرواية مخصصة أحداثها لبيان أحوال هشام في السجن في جدة بعد أن حُقق معه ولكنه أبقى الاعتراف بانتسابه إلى تنظيم (حزب البعث) ، فقررروا أن يلبث في السجن إلى حين ، حيث تعرف من خلال السجن على (عارف) وهو أحد الشيوعيين فبدأت بينهما نقاشات حول أفكار بعضهما مع شد وجذب ، لأن كل واحد منهما يؤيد فكرته لتصحيح الأوضاع . اعترف هشام بما يريده السجناء فنقلوه من مكانه إلى مكان آخر أفضل منه. حيث تعرف أيضاً - على (وليد) الذي يؤمن بالقومية كحل لأفراد الأمة ، و (عبد الله) الذي ينتمي إلى (الجبهة الديمقراطية) وهي جبهة منفصلة عن حزب البعث ، (ولقمان) الذي ينتسب إلى الإخوان المسلمين ! . استمرت النقاشات بين هؤلاء الأربعة ، وكلّ منهم يحاول أن يبين صحة نظره واختياره هذا المسلك الذي سلكه ، وارتضاه دون غيره .

بعد مدة من الزمن تم الافراج عن هشام الذي عاد فوراً إلى الدمام ، ولكنه وجد كل شيء حوله قد تغير ولم يعد يحمل ذكرى الماضي لا سيما وأبوه قد انتقل إلى في بيت جديد بدل بيتهم القديم الذي عاش فيه سنين الأولى .

بعد أخذ ورد قرر أهله أن يعود إلى مواصلة دراسته في الرياض ، فعاد إليها مندهشاً لمدى تغيرها عن عهده القديم بها ، في مبانيها وفي أفرادها (وهو ينظر بعينين فقتتا بريقهما ، إلى أزقة كانت مأهولة ، فلم تعد إلا أزقة مهجورة تجوبها أطياف لاحياة فيها ، ولكنها لا تريد أن تموت)⁵³ ، وبهذا انتهت . أحداث الحلقة الأخيرة من ثلاثية تركي الحمد .

ملاحح بطل الثلاثية : هشام العابر :

لنتبين ملاحح (هشام العابر . أو تركي الحمد) في هذه الرواية سأقتطف بعض العبارات من الثلاثية تُكون لنا صورة متكاملة لشخصية (صفاته وطموحاته) لتأتي بعدها مناقشته في أفكاره :

1. هو شاب يحب القراءة : لاسيما قراءة الكتب (المحرّمة) الفلسفية والماركسية . (لقد خرج إلى الدنيا وهو لا يعرف إلا هواية واحدة ، ولذة واحدة هي القراءة ، ويقراً أي شيء ، وكل شيء تقع عليه يده)⁵⁴

⁵³ الكرايب (ص288)

⁵⁴ العدامة (ص9) .

(أخذت القراءات الفلسفية والسياسية تجذبه كثيراً منذ أن أهده أحد أصدقاء والده كتاب "طبائع الاستبداد ومصارع الاستبعاد" لعبد الرحمن الكواكبي ، حتى أنه كان يقضي ليالي بطولها في قراءة النصوص الماركسية والقومية والوجودية وغيرها من التيارات الفلسفية والسياسية مما تقع عليه يده في المكتبات المحلية ، أو يحصل عليه مما هو غير متاح في المكتبات)⁵⁵

(في المرحلة الثانوية أهمل الدراسة إهمالاً تاماً ، ولولا خشيته من جرح كبرياء والده وقلب أمه لما درس إطلاقاً ، وتفرغ لعالمه الجديد من القراءة واكتشاف النصوص المحرمة)⁵⁶

(لم تعد الكتب المتوفرة في المكتبات المحلية ترضي شغفه بالعالم الجديد الذي اكتشف ، فكان في كل رحلة مع والديه إلى الدول المجاورة ، الأردن أو سوريا ولبنان يجلب معه بعضاً من تلك الكتب الممنوعة والمحرمة ، والتي تكون زاده المعرفي طوال الفترة اللاحقة)⁵⁷.

(كان ينفق كل مصروفه على الكتب الماركسية غير المتاحة في بلده ، وخاصة مؤلفات آرنستوتشي غيفارا ، وريجس دوبريه ، وفرانز فانون ، بالإضافة إلى مؤلفات ماركس وانجلز وبلخانوف ولينين وترو تسكي وستالين ، التي تشكل الزاد الفكري الرئيسي . أما ما كان يهزه من الداخل فعلاً ، فقد كانت مؤلفات غيفارا التي كانت تدغدغ شيئاً ما داخل ذاته . كانت هذه الكتب ، بالإضافة إلى الأعمال الأدبية والروائية العالمية الخالدة ، تباع بأرخص الأسعار على أرصفة الشوارع في عمان ودمشق وبيروت ، وعلى عربات أشبه بعربات الخضار . التهم خلال رحلاته ، وبعد العودة ، كل روايات مكسيم غوركي خاصة ، وأهم الروايات الخالدة في الأدب الروسي عامة . قرأ " أنا كرنيبا " و " البعث " لليو تولستوي ، " والجريمة والعقاب " والأخوة كارامازوف " لفيودور دوستويفسكي ، " الدون الهاديء " لميخائيل تشولوكوف . وقد أثارت فيه رواية " الأم " لغوركي أحاسيس وانفعالات عنيفة متداخلة ، من الغضب إلى الحماس إلى البكاء إلى العطف إلى القسوة إلى الرقة ، مما جعله يعيد قراءتها مرات ومرات . بكى عدة مرات مع العم توم في كوخه ، وعاش مع لانغ وزوجته في أرضهما الطيبة ، وتعاطف كثيراً مع مدام بوفاري بنفس القدر الذي حنق فيه على سكارليت أوهيرا . وكان يختلس لحظات طويلة يقرأ فيها ألبرتو مورافيا وبلزاك واميل زولا ، لا حياً في ذات هذه الأعمال دائماً ، ولكن بحثاً عن مشهد جنسي هنا ، أو وصف لعلاقة حميمة هناك ويتصور في لحظة حلم يقظة أنه البطل في كل هذه العلاقات . أما ذلك الوصف الأخاذ للحياة الاجتماعية في هذه الأعمال ، فلم يكن يهمله كثيراً ، إذ كان يعتقد أن الأدب الروسي لا

⁵⁵ العدامة (ص9).

⁵⁶ العدامة (ص10).

⁵⁷ . العدامة (ص12).

يعلى عليه في هذا المجال كما قرأ بعض روايات تشارلز ديكنز ، وأعجبتة خاصة " قصة مدينتين " ، التي اعتبرها ، مع " الأم " أفضل أعمال يمكن كتابتها . كان ينفق مصروفه على هذه الكتب)⁵⁸ .

2. هو يريد أن يكون مفكراً طليقاً ، لا يتقيد بأي دين أو مذهب سوى (العلم !) .

(يذكر ذات مرة أنه دخل في مجادلة مع مدرس الدين حول نظرية النشوء والإرتقاء لدارون ، حين شتم هذا المدرس النظرية واصفاً إياها بالفكر والإلحاد ، وشتم صاحبها واصفاً إياه باليهودية والمؤامرة اليهودية على الإسلام والمسلمين . يذكر يومها أنه قال للمدرس إن هذه النظرية إنتاج علمي ، والعلوم هو سيد العصر شئنا أم أبينا . قد يخطيء دارون وقد يصيب بشأن أصل الإنسان وأصل الأنواع ولكن التطور حقيقة تفرض نفسها ، كما أن دارون ليس يهودياً لا أباً ولا أمماً . يومها اتخذ منه مدرس الدين موقفاً عدائياً ، واصبح لا يناديه إلا بالفاسق . ولكن ذلك لم يكن يهمله كثيراً بل لم يكن يهمله على الإطلاق، مع ذلك الحماس وذلك الإنطلاق الذي وجدته في عالمه الجديد)⁵⁹ .

(أريد أن أكون مفكراً طليقاً ، لا مناضلاً سياسياً في تنظيم)⁶⁰ .

3. هو ماركسي المذهب ، ليس كالماركسيين ، بل يحب المزج بين الماركسية والقومية العربية :
(أعجبتة كتابات ياسين الحافظ وكذلك المنطلقات ، إذ وجد فيها مزيجاً أخذاً ومثيراً من الماركسية والقومية . وجد فيها شيئاً كان أنه ينقص الكتابات الماركسية التي قرأ ، وكذلك الكتابات القومية على اختلافها . فقد سبق له أن قرأ " في سبيل البعث " لميشيل عفلق ، وبعض كتابات منيف الرزاز وصلاح البيطار ، والكتابات الناصرية القليلة مثل فلسفة الثورة ، لجمال عبد الناصر ، وكتابات أنور السادات حول ثورة يوليو وعبد الناصر ، وكذلك " بصراحة " محمد حسنين هيكل التي ينشرها في جريدة الأهرام كل يوم جمعة ، ويستمتع إليها من خلال إذاعة " صوت العرب " من القاهرة ، فقد كانت الأهرام ممنوعة من الدخول في بلده . كانت الكتابات الماركسية تركز على المسألة الاجتماعية والأممية ، ويقدر ما كان متحمساً للمسألة الاجتماعية ومؤمناً بها ، يقدر ما كان متردداً بشأن المسألة الأممية . إنه يشعر أنه قومي حتى النخاع ، والقومية تسري في عروقه . وتهزه خطابات جمال عبد الناصر ، وتشمله الشعارات القومية التي يطلقها البعثيون والناصريون والقوميون العرب . لكن رغم ذلك ، كان يحس أن هنالك شيئاً ناقصاً ، كان يشعر أن هؤلاء لم يعطوا المسألة الاجتماعية حقها من الإهتمام ، وخاصة قضايا مثل الصراع الطبقي والإشتراكية العلمية والحتمية التاريخية . ولذلك اعتقد أن الفكر الماركسي ، رغم بعض

⁵⁸ العدامة (12-13) .

⁵⁹ العدامة (ص 14-15)

⁶⁰ العدامة (ص26) .

التحفظات ، هو الذي من الممكن أن يبين الطريق ويعطي فلسفة متكاملة للحياة . أعجبت كتابات الحافظ والمنطلقات لأنها تمزج المسألة القومية بالإجتماعية . جامعة ما يشعر بميل إليه في فلسفة واحدة)⁶¹ (لا تعجبني أفكار عفلق والبيطار والرزاز . أعتقد أنها عاطفية أكثر من اللزوم ، رغم إيماني بإطارها العام . نحن بحاجة إلى فلسفة متكاملة . وأعتقد أن الماركسية هي الحل رغم النواقص التي من الممكن إكمالها)⁶²

(إذا كان ما في المنطلقات هو فكر البعث ، فإنني أجد نفسي فيه ، فهو يمزج القومية بالماركسية . . . وهذه هي قناعاتي)⁶³

(أحس بالهلع والنفور من كل ما يمت إلى التنظيم وفكره بصلة . وبقيت علاقته الحميمية بالماركسية)⁶⁴

هو يتبنى فكراً ماركسياً لا يتعقد بدور البطل في التاريخ ، بل هي التناقضات المادية والاجتماعية التحتية ، وانعكاساتها الفوقية السياسية والثقافية)⁶⁵

(الماركسية . . . هي الفكر العلمي الشامل القادر على منحنا مفاتيح التاريخ والمجتمع والسياسة ، ومن لديه هذه المفاتيح لا خوف عليه ولا هو يحزن)⁶⁶

(الحقيقة أنني ميال إلى الفكر الماركسي)⁶⁷

(سوف يتعلم الماركسية على أصولها)⁶⁸

(من قال لك أنني شيوعي ؟ . . . أنا اشتراكي)⁶⁹

(أنا أميل إلى الماركسية ، ولكنني لست شيوعياً)⁷⁰

ولكن هشاماً برغم هذا الحسم (الماركسي) لتوجهه إلا أنه بقي متردداً متحيراً في أمره تصارعه أفكار شتى حول هذا الكون ، وخالقه ، وأحداثه ، مما لم يستطع أن يستوعبه فأصبح ينادي بتفاهة هذه الحياة وأهلها ، وعشية أحداثها وأقذارها ، مع ترقب وتوجس لهجوم الموت (الغادر!) عليه :

⁶¹ العدامة (61-62) .

⁶² العدامة (63) .

⁶³ العدامة (ص 64) .

⁶⁴ العدامة (ص 224)

⁶⁵ العدامة (ص 278)

⁶⁶ العدامة (283)

⁶⁷ العدامة (ص 57)

⁶⁸ العدامة (ص 105)

⁶⁹ الشميسي (ص 123) .

⁷⁰ الشميسي (ص 24) .

(ليست الحياة إلا حفلة ماجنة يُدخن فيها الحشيش ويؤكل الخبز مغموساً بالبييد والعرق الراشح من أجساد أدمنت الجنس ، وأدماها الهوى ، ومزقت نفسها بوحشة أخلاقية . نحاول أن نضفي المثال والجمال على هذه الحفلة العابثة ، ولكن كل شيء ينكشف ولو بعد حين ، وتقف الحقيقة عارية من جديد ، كما ولدت عارية من قديم ... العدم يقف بالمرصاد ، والمجهول يتربص من بعيد ، والعجز يقيد المجتمع)⁷¹

(الموت قادم لا محالة .. إنه مصير ملموس ، وليس كمصير الأمة أو الطبقة مشكوك فيه بقدر ما هو مشكوك في الأمة والطبقة ذاتهما . فلماذا الإحتياط ، ولماذا الخوف ؟ ... ولماذا هذه اللعبة السمجة ، لعبة القط والفأر ... ما نحن إلا ممثلون في مسرحية ، وسواء طال دور أحدنا في هذه المسرحية أم قصر ، فإنه لا يلبث أن ينتهي ، وتنتهي كل المسرحية في النهاية ... ثم بعد تردد طفيف .

. ولو كان لي من الأمر شيئاً⁷² في البداية ، لما اخترت الاشتراك في المسرحية من الأساس)⁷³ .
(هل ما يجري هو حكمة خافية لاندربيها ، أو أنه مجرد عبث اعتدنا عليه فأصبح نظاماً ، أم هو مزيج منهما ، أم لا هذا ولا ذاك ؟ أين المعنى في كل ذلك وما هو النظام ؟ لا أحد يدري ، ولن يدري أحد)⁷⁴ .

(يالهذا الموت الجبان الغادر ... إنه يأخذ أجمل ما في الحياة ويضحك ويهجرنا حين نريده ، ويحل ضعيفاً ثقيلاً حين لانريده ... ليت موسى لم يفقأ عين عزرائيل حين أتى لقبض روحه ، ولكنه قصم ظهره أو دق عنقه ... ولكن حتى لو مات عزرائيل ، هل يموت الموت ؟ ويقلع عن أفكاره هذه ويقتنع بأهمية الموت لا استمرار الحياة ، ولكنه يكرهه ، ولا زال يعتقد بجبنه وغدره)⁷⁵ .

(عليك الرحمة يا ابن آدم . ظنت نفسك أكرم الكائنات ، الذي طرد من أجله عابد الأزل من الرحمة والملكوت ، فاكتشفت أنك أتفه من ذبابة وأحقر من بعوضة يا لك من معنوه يا ابن آدم ، أردت أن تكون إنساناً كما أراد لك من أنسك ، ولكنك وجدت نفسك في عالم تداس فيه كصرصار تائه ، وتسحق فيه كذبابة وقحة)⁷⁶ .

⁷¹ الكراديب (ص186)

⁷² هكذا ! والصحيح : شيء .

⁷³ الكراديب (ص193) .

⁷⁴ الكراديب (ص215) .

⁷⁵ الكراديب (242) . وسأبني خطأ تسمية ملك الموت بعزرائيل .

⁷⁶ الكراديب ، (252) .

قلت : هذه أبرز ملامح (هشام العابر) : فهو يحب القراءة منذ صغره في الكتب (المحرّمة) الفلسفية والماركسية ، التي كانت ممنوعة . لضررها . في بلاده (السعودية) ولهذا كان يحرص على تحصيلها من عدة منافذ .

ولأجل قراءته هذه فقد تعلق قلبه بالفكر الماركسي والفكر القومي الذي كان عالياً صوته شديداً هيجانه في تلك الفترة ، فحاول أن يمزج بين (القومية والماركسية) متأثراً ببعض قيادات ومنظري (حزب البعث) .

ولأجل هذا انضم (هشام) . على كرهٍ وتمنع . إلى هذا الحزب ، لأنه يود أن يكون مفكراً طليقاً ، بدلاً من حصره في صرامة التنظيمات .

وكانت نظرتة إلى الحياة سوداوية تشاؤمية ، لأنه لم يعرف لها هدفاً ، ولم يفقه حكمة الله من خلقها ، وجعل الخلق يتوارثونها ، لم يعد يرى منها سوى أنها حياة لا قيمة لها ، تجري أحداثها وأقدارها بعبثٍ لا حكمة فيه .

قلت : ويتضح بعد هذا الموجز عن هشام العابر (أو تركي الحمد!) وأفكاره أن الحديث . دون تطويل . سيكون حول :

- 1 . نقض الماركسية التي نادى بها الحمد ⁷⁷ .
- 2 . نقض القومية العربية التي نادى بها الحمد .
- 3 . نقض مبادئ حزب البعث ، الذي انظم إليه الحمد .
- 4 . نقض مبدأ الإنسانية التي نادى بها الحمد .
- 5 . بيان عقيدة أهل السنة في (القدر) مع توضيح حكمة الله من خلق الخلق .
- 6 . بيان تنقص الحمد في ثلاثيته :

أ . الله .

ب . وملائكته .

ج . وكتبه .

د . ورسله .

هـ . ودينه .

و . وعبادة الصالحين .

7 . مباحث أخرى .

⁷⁷ أقول (الحمد) وليس (هشام العابر) ، لأن هشاماً لم يكن سوى تركي ! كما سيأتي .

الماركسية⁷⁸

تنسب هذه النحلة إلى مؤسسها (اليهودي) كارل ماركس الذي ولد في ألمانيا عام 1818م وهلك عام 1883 م . وهو ينحدر من أبوين يهوديين ينتميان إلى الحاخامات العالمين بشريعة اليهود .

(وبعد أن انتهى من التعليم الثانوي بمسقط رأسه التحق عام 1835م بجامعة بون ثم انتقل إلى برلين حيث درس التاريخ والفلسفة والاقتصاد .

وفي أثناء دراسته ببرلين اتصل بجامعة الشباب الأحرار الذي كانوا يعتقدون الفلسفة الهيجلية ، وبعد ذلك انتقل كارل إلى الصحافة والتحق بتحرير جريدة رانيش نسياتنج الراديكالية إلى أن عطلت الجريدة بسبب دعوتها الثورية .

وفي عام 1844 تزوج كارل من جيني فون فستناين التي عاشت أحداث أسرته المتقلبة إلى أن ماتت عام 1881 وما لبث أن لحق بها بعد عدة شهور من وفاتها وذلك عام 1882 .

وكان كارل ماركس قد هاجر وزوجته جيني إلى باريس عام 1844 حيث التقى بصديقه ورفيق حياته الشخصية والمذهبية فريدريك انجلز الذي شاطره الرأي والتفكير وشاركه في عدد من مؤلفاته منها : العائلة المقدسة ، والمثالية الألمانية ، كما التحق كلاهما بالحلف الشيوعي وهو منظمة للاجئين الألمان في فرنسا حتى طردا كلاهما من باريس فارتحلا إلى بروكسل الألمانية . وفي عام 1847 أصدر كلاهما . كاركس وانجلز . كتابهما المشهور " البيان الشيوعي " وهو في جملته يتضمن تحريضاً للعمال على الثورة ضد الطبقة الرأسمالية .

وبعد عودة قصيرة إلى ألمانيا هاجر ماركس وأسرته وزميله فريدريك انجلز إلى إنجلترا . وفي لندن تابع ماركس إصدار مؤلفاته وأفكاره .

ثم عكف بعد ذلك على أشهر مؤلفاته وأكبرها وهو كتاب " رأس المال " وقد ضمنه خلاصة أفكاره وتصوراته في الاقتصاد بما يشرح فيه تحليلاً مفصلاً عن المال وسيطرة الأثرياء والمستغلين وعن العمل المضيق المستغل لحساب البورجوازيين والرأسماليين فيما يسمى بفائض القيمة . وقد صدر الجزء الأول من " رأس المال " عام 1867م . أما الجزءان الآخران فقد اضطلع انجلز بمهمة تجميع المسودات لهما إلى أن تم نشرهما بعد وفاة ماركس) .

⁷⁸ لخصتها من : " مذاهب فكرية معاصرة " محمد قطب ، و " الشيوعية " مقال لعبد القادر شيبه الحمد ، في مجلة الجامعة الإسلامية (سنة 2 عدد 3) " والإسلام والمذاهب الاشتراكية " للدكتور محمد تقي الهاللي . مقال في مجلة الجامعة الإسلامية (سنة 3 عدد 2) ، و " التصور الماركسي للإسلام " للدكتور محمد بلتاجي ، مقال في مجلة أضواء الشريعة (عدد 8) ، و " الشيوعية في الميزان " للشيخ محمد عبد السميع ، مقال في مجلة الجامعة الإسلامية (سنة 10 عدد 2) .

مصادر فلسفته :

استفاد ماركس من عدة مصادر لدعم فلسفته ونظريته ومن أبرزها :

1. الفيلسوف الألماني (هيغل) أخذ منه مبدأ التناقض في الحياة ، أو (الديالكتيك).
(وقد أخذ ماركس الإطار الجدلي الهيجلي ، بيد أنه لم يقبل القول بأن الفكر أو العقل أو الروح أو المطلق المثالي هو الذي يؤثر على الحياة والواقع المادي ؛ فقد ذهب على نقيض ذلك إلى أن مجموعة الظروف المادية هي التي تؤثر في الفكر والعقل ، ثم انتقل من ذلك إلى اعتبار أن (عوامل الإنتاج الاقتصادي) خاصة هي التي تؤثر في كافة العلاقات والتطورات الفكرية والاجتماعية والسياسية التي تتكون منها حركة التاريخ ؛ فهذه العلاقات والتطورات كلها أثر من آثار ظروف الإنتاج الاقتصادي).

أهداف الماركسية ومبادئها :

(تقوم النظرية الماركسية على مجموعة من الأسس والمبادئ يمكن تلخيصها في النقاط الآتية :

1. إلغاء الملكية الفردية إلغاء باتا وإحلال الملكية الجماعية بدلاً منها .
2. إلغاء الطبقات بإقامة دكتاتورية البروليتاريا وإبادة الطبقات الأخرى .
- 3 كفالة الدولة لجميع " المواطنين " في مقابل تكليف القادرين منهم بالعمل رجالاً ونساء .
4. المساواة في الأجور .
5. إلغاء الدين ! .
6. تطبيق مبدأ " من كل بحسب طاقته ، ولكل بحسب حاجته " .
7. إلغاء الصراع من المجتمع البشري بإلغاء الباعث عليه وهو الملكية الفردية .
8. إلغاء الحكومة في المستقبل ، وإقامة مجتمع متعاون متعاطف بغير حكومة) .

نقض الماركسية :

نحاول فيما يلي نقض كل واحد من هذه المبادئ في إيجاز دون تفصيل :

1. (فأما من حيث إلغاء الملكية الفردية فقد تم ذلك وبصورة حادة في المرحلة الأولى من التطبيق على عهد لينين وجزء من عهد ستالين . أما إحلال الملكية الجماعية محلها فقد تكشف عن أسطورة ضخمة ليس لها وجود حقيقي ! فلا أحد من طبقة البروليتاريا يملك شيئاً في الحقيقة أو يحس بملكية شيء . إنما الدولة . كما نصت النظرية . هي المالك الحقيقي لكل شيء والدولة . عند التطبيق . شيء والشعب شيء آخر . ومهما قيل من " نيابة " الدولة عن البروليتاريا في الملكية والإشراف عليها فهو

مجرد كلام للاستهلاك النظري . أما الواقع فهو أن الدولة أصبحت كابوساً ثقيلاً بدكتاتوريتها البشعة التي لا تدع للناس فرصة للإحساس بوجودهم فضلاً عن أن يحسوا بأنهم يملكون شيئاً على الإطلاق !

فجو الإرهاب الدائم الذي تمارسه الدولة على الشعب بحجة المحافظة على النظام من أعدائه وجو الجاسوسية الذي يعيش فيه إلى حد أن الوالد لا يأمن ولده ولا الزوج يأمن زوجته ولا الأخ يأمن أخاه . ضمناً ألا يجتمع اثنان على سر خشية أن يكون السر مؤامرة على " النظام " ! - هذا الجو الذي يمكن أن يؤخذ فيه الإنسان بالظنة فيحاكم ويحكم عليه بالإعدام أو الاعتقال في ثلوج سيبيريا أو بأي عقوبة أخرى " رادعة " .. وهو جو لا يسمح بوجود " التعاطف " بين الشعب والدولة ، ذلك التعاطف الذي يحس فيه أن الدولة نائبة عنه في الملكية والإشراف عليها . . فالنيابة لا تكون بالحديد والنار والتجسس . . إنما يخضع الشعب للدولة بعامل الإرهاب المسلط عليه ، ويفقد في النهاية أي شعور بملكية شيء على الإطلاق ! ولا يبقى له إلا شعوره بالحرمان !) .

(لقد زعمت النظرية الشيوعية أن الأصل في الإنسان هو الملكية الجماعية، وأن الملكية الفردية هي إنحراف شرير وقعت فيه البشرية بعد اكتشاف الزراعة ، وأن الشيوعية الثانية سترد الإنسان إلى أصله " فيستمتع " بالملكية الجماعية ويشفى من هذا الانحراف الخطير الذي أفسد إنسانيته وأشاع الظلم في المجتمع البشري لقرون عديدة من الزمان !

ثم فرضت " الدولة " الأمر فرضاً بالحديد والنار . .

فهل شفيت النفوس من الداء وسلمت من الانحراف ، وارتدت إلى أصلها الملائكي المزعوم !؟

إن الذي حدث بالفعل . أشرنا إليه من قبل . أن " النظام " تراجع في عهد ستالين ثم في عهد خر وشوف عدة تراجعات .

ففي المرحلة الثانية من عهد ستالين كان " النظام " في حاجة إلى زيادة الإنتاج ، ومن ثم أعلن ستالين أنه من أراد من العمال . بعد وحدة العمل الإجمالية الأولى . أن يقوم بوحدة ثانية إضافية فسيكون له عليها أجر إضافي يستطيع به أن يحسن أحواله المعيشية فيشتري أنواعاً من الطعام أفخر ، أو كميات أكبر ، وأنواعاً من الملابس أرقى مما توفره وحدة العمل الإجمالية .

وموضع الدلالة : أن الدولة حين احتاجت إلى زيادة الإنتاج لم تجد وسيلة إليه إلا إثارة الحافز الفردي والالتجاء إليه . ولو كانت ترى . أو تعتقد في دخيلة نفسها . أنه يمكن زيادة الإنتاج دون الالتجاء للحافز الفردي لفعلت ، خاصة وهي تملك الحديد والنار وتستخدمهما . بإسراف . في جميع المجالات ، ذلك أن الالتجاء للحافز الفردي . أيا تكن مبرراته التي تلقى أمام الناس . هو تراجع عن أصل من أصول النظرية ، وهو الأصل القائل بأن الملكية الفردية ليست شيئاً فطرياً وأن الأصل في الناس هو الملكية الجماعية !

موضع الدلالة إذن أن كل بطش الدولة لم يستطع أن " يشفي " الناس من الحافز الفردي ويضع الحافز الجماعي مكانه . ومعنى ذلك أن الحافز الفردي . الوثيق الصلة بالملكية الفردية . عميق في الفطرة إلى حد لا يمكن انتزاعه ، ولو استخدمت في انتزاعه كل وسائل البطش والإرهاب) .

2- (أما إنشاء مجتمع غير طبقي ، وإلغاء جميع الطبقات ما عدا طبقة البروليتاريا وإقامة دكتاتورية البروليتاريا ، فقد اختلف التطبيق فيها اختلافاً واسعاً عن النظرية !

ولسنا نتحدث هنا عن " محاسن " إنشاء مجتمع غير طبقي ، ولا كون هذا الأمر واجباً أو غير واجب ، ممكناً أو غير ممكن ، إنما نتحدث عن الواقع التطبيقي لنرى مقدار قربه أو بعده عن الشيء الذي قالوا إنه واجب أن يكون .

لقد زالت طبقة الاقطاعيين نعم ، وحال تطبيق الشيوعية في الدولتين الشيوعيتين الكبيرتين دون ظهور الطبقة الرأسمالية ، وما كان منها موجوداً في الدول الأخرى التي اعتنقت الشيوعية فقد أزيل إما بنزع الملكية الفردية وإما بالإبادة الثورية .

ولكن ما الذي حدث بعد ذلك !؟

الذي حدث بالفعل أن " طبقة " جديدة بكل تعريف الطبقة ومواصفاتها قد برزت في المجتمع الشيوعي تحت أسم جديد بالمرّة هو " الحزب " !

والفارق بين أفراد الحزب . بدرجاته المختلفة . وبين أفراد الشعب هو ذات الفارق بين أية طبقة كانت مالكة وحاكمة من قبل وبين الشعب ! فأدنى درجات الحزب . وهي العضوية العادية . تنشئ لتوها ضخماً في كل شؤون الحياة . وليست العبرة بوجود الملكية الفردية أو عدم وجودها فلم يكن منشأ الطبقة في المجتمعات الطبقيّة هو مجرد وجود الملكية الفردية كما زعم التفسير الجاهلي للتاريخ ، إنما كان ما يترتب على الملكية من سلطان ونفوذ ، انطلاقاً من مبدأ أن الذي يملك هو الذي يحكم . أي أن الطبقة في الواقع . وإن نبعث في المجتمعات الجاهلية من الملكية الفردية كما يقول التفسير المادي . إنما هي طبقة السلطان والنفوذ ، التي تتبع من قدرة هذه الطبقة على التشريع لحساب نفسها وإلزام الآخرين بالخضوع لهذا التشريع .

وقد ألغيت الملكية الفردية من المجتمع الشيوعي ، ولكن السلطان والنفوذ الذي تركز في " الحزب " قد جعل منه طبقة متميزة ، لها كل سمات الطبقة ومميزاتها سواء في نوع المعيشة . أي المتاع . أو في النفوذ والسلطان) .

(إن تركيز النفوذ في " الحزب " و " الدولة " و " الزعيم " هو الذي ينشئ ذلك الفارق الضخم بين " اللاشيئية " و " الشيئية " في المجتمع الشيوعي . . ولذلك يصبح أكبر مطمح للفرد لعادي في

المجتمع الشيوعي أن يضع قدمه . مجرد وضع . ولو على أدنى درجة من درجات ذلك البناء الشاهق الذي يمثل السلطان ، فيتغير وجوده كله ، بل يصبح في الحقيقة موجوداً بعد أن لم يكن له وجود) .

3 (أما كفالة الدولة لكل فرد من أفراد المجتمع فهي الشيء الوحيد الذي برزت به الشيوعية في عالم الواقع على كل جاهليات التاريخ .

لا يوجد فرد لا يأكل ولا يلبس ولا يسكن من كل أفراد الشعب . وهذا هو الواجب الذي نكلت عنه الدولة الاقطاعية والدولة الرأسمالية على السواء . وإذا كانت الدولة الرأسمالية الحديثة قد اقتربت من أداء هذا الواجب شيئاً من الاقتراب بالضمانات الاجتماعية والإعانات التي تصرف للمتعطلين من نقاباتهم أو من الدولة ، وبالرعاية الصحية المجانية ، وبالخدمات المجانية العامة .. الخ ، فإنها لم تبلغ بعد الحد الذي التزمت به الدولة الشيوعية ، فضلاً عن كونها قد فعلت ما فعلت لا بدافع إنساني ولكن خوفاً من الشيوعية ، من جهة ، وخوفاً من الضرر الذي يلحقها إذا لم تستجب لطلبات العمال المطالبين بهذه الحقوق .

ولكن لنا على هذه الكفالة مجموعة من الملاحظات . إذا قسناها على الكفالة التي قررها الإسلام لكل فرد من أفراد الأمة قبل ذلك بثلاثة عشر قرناً من الزمان !

تكفل الدولة الشيوعية أفرادها على الحد الأدنى الذي وصفناه من قبل ، ومع ذلك لا تكفلهم وهم كرماء على أنفسهم ولا على دولتهم ! ولا نتحدث الآن عن تكليفهم بالعمل . رجالاً ونساء . مقابل كفالتهم ، أي أن الدولة لا تفضل عليهم بالكفالة إنما هي تجندهم لحسابها وتستصفي جهدهم كله قبل أن تعطيهم ضرورات حياتهم ، وتهدهم تهديداً صريحاً بقولها : من لا يعمل لا يأكل . . .

لا نتحدث الآن عن هذا ، فالعمل على أي حال هو الأصل في حياة الإنسان وليست البطالة هي الأصل . . . ولكننا نقول إن الدولة الشيوعية بإلغائها الملكية الفردية والعمل الحر ، وتحويل كل الناس أجراء للدولة ، إنما تستذلهم في الواقع بلقمة الخبز ، فلا يملكون أن يتوجهوا بكلمة نقد واحدة للقائمين بالأمر خوفاً على لقمة الخبز أن تضيع . . . وذلك بخلاف الإرهاب بالحديد والنار والتجسس ، الذي يزيد من مذلة الناس وانكماشهم وخضوعهم للظلم الواقع عليهم دون التفوه بكلمة أو إشارة تدل على عدم الارتياح فضلاً عن الاحتجاج الصريح .

ولقد زعمت الشيوعية أن الذل الوحيد في الأرض هو عمل الإنسان أجيراً لإنسان آخر ، وزعمت أنها هي التي ستخلص الناس من الظلم وتمنع الاستغلال حين تمنع تأجير جهد الإنسان لإنسان آخر .

نعم . . . ولكن ما الفرق بين تأجير جهد الإنسان لإنسان آخر ، وتأجيره "للدولة" التي هي شخص معنوي في الكلام فقط ، ولكنها في الواقع مجموعة من البشر يحملون من السلطان ما يجبرون به الناس على أداء العمل الذي يطلبونه منهم ، وما يعاقبونهم به إذا قصرُوا في أدائه ؟ وأيهما أذل . في عالم

الواقع . الأجير الذي يملك ولو ذرة واحدة من الحرية في اختيار شخص ((السيد)) الذي يبيع له جهده ،
والمساومة على زيادة هذا الأجر ، والاحتجاج على انخفاضه إذا رآه كذلك ، أم الأجير الذي لا يملك
ذرة من الحرية في تلك الأمور كلها ، لا اختيار نوع العمل ولا مكانه ، ولا اختيار ((السيد)) الذي يخدمه
. فهو مفروض عليه بالحديد والنار . ولا حق الاحتجاج على الأجر المنخفض ولا طلب زيادته .. وإن فتح
فمه بكلمة يموت جوعاً ، إن لم يمت بوسيلة أخرى غير الجوع !؟

وأية سفسطة تلك التي تقول إن الذل لا يكون قائماً حين تكون ((الدولة)) هي التي تسخر الناس
للعمل وهي التي تمنح الأجور؟! ما تعريف الذل؟! وما اسم ذلك الإحساس الذي يحسه الإنسان حين
يجد أنه لا يملك حريته في أي أمر من الأمور، وأن عليه أوامر ينبغي أن يطيعها ، وواجبات ينبغي أن
يؤديها ، دون أن يكون له حق الاعتراض على شيء من الأشياء!؟
أم يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً!؟

يحلونه إذا كان صادراً منهم ومحققاً لمصلحتهم ، ويحرمونه إذا صدر من غيرهم أو لم يكن في
صالحهم!؟

4 . (أما قضية المساواة في الأجور فلا تزيد على أن تكون واحدة من الأساطير الكثيرة التي بددها
التطبيق .

في عهد لينين والجزء الأول من عهد ستالين طبقت روسيا مبدأ المساواة في الأجور لجميع
العمال في الاتحاد السوفيتي . ولكن هل كانت هناك مساواة عامة في الأجور بالنسبة لكل العاملين ؟
هل كان أجر المهندس كأجر العامل ؟ وأجر الطبيب كأجر الممرض ؟ وأجر الجندي كأجر
الضابط ؟

إن هذا بدهة مستحيل !

ومع استحالته فقد ظلت النظرية الشيوعية تنافح عن قضية المساواة وتندد بقضية التفاوت في
الأرزاق !

ثم جاء اليوم الذي انهارت فيه المساواة حتى في صفوف العمال أنفسهم ، بعد أن كانت منهارة
ما بين العمال وغيرهم من العاملين . فقد لجأ ستالين . كما أسلفنا . إلى إباحة العمل بعد الوحدة الإجبارية
الأولى لقاء أجر إضافي ينفق في ((الكميات)).. وهكذا ضاعت المساواة تماماً ولم يعد لها وجود! .
5 . أما إلغاء الدين فهو الأمر الذي نجح فيه الماركسيون في بلادهم !! فقالوا بأنه (أفيون الشعب)
وخدرها .

(وفي التطبيق اشتد الماركسيون في محاربة الدين . فلم يكتفوا بتحريم الحديث فيه ، ومعاقبة من
يضبط ((متلبساً)) بالحديث في الدين مع شباب أو فتاة دون الثامنة عشر ، بل بالغوا في الاحتياط فوضعوا

في مناهجهم الدراسية درساً للإلحاد في مكان درس الدين ! فحيث يضع البشر كلهم درساً للدين في مدارسهم . مؤمنين وغير مؤمنين . يتحدثون فيه عن الله ، يضع الشيوعيون في مدارسهم درساً يقال للتلاميذ فيه إنه لا إله ، والكون مادة (أي بلا خالق) .

ولا مكان للمتدينين في الدولة الشيوعية . وقد قتل ستالين وحده ثلاثة ملايين ونصف مليون من المسلمين في عهده ، لأن الشيوعية كانت قد طلبت معونة المسلمين في الثورة ضد قيصر . ووعدهم بأن تجعل لهم مكانة خاصة إذا نجحت الشيوعية ، وترك لهم حرية ممارسة حياتهم الإسلامية ، فلما طالبوا بتحقيق الوعد ، حققه ستالين لهم على هذا النحو بالقتل والتعذيب والتشريد الجماعي) .

6 . أما تطبيق مبدأ (من كلِّ بحسب طاقته ، ولكلِّ بحسب حاجته) .

7 . وإلغاء الصراع في المجتمع بإلغاء الملكية الفردية .

8 . وإلغاء الحكومة .

فكل هذه الأمور لم تستطع الدول الماركسية (جميعها) تحقيقها إلى الآن ، ولن تستطيع في

المستقبل لأمرين :

أولهما : أن هذه الأمور (خيالية) .

وثانيهما : أن الدول الماركسية بدأت تتساقط واحدة تلو الأخرى ، وعلى رأسها (الأم) روسيا ،

ولله الحمد والمنة .

* * *

القومية العربية

هي حركة سياسية فكرية متعصبة ، تدعو إلى تمجيد العرب ، وإقامة دولة موحدة لهم ، على أساس من رابطة الدم والقربى واللغة والتاريخ ، وإحلالها محل رابطة الدين ، وهي صدى للفكر القومي الذي سبق أن ظهر في أوروبا .

ظهرت بدايات الفكر القومي في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين متمثلة في حركة سرية تألفت من أجلها الجمعيات والخلايا في عاصمة الخلافة العثمانية ، ثم في حركة علنية في جمعيات أدبية تتخذ من دمشق وبيروت مقراً لها ، ثم في حركة سياسية واضحة المعالم في المؤتمر العربي الأول الذي عُقد في باريس ! سنة 1912م .

ظلت الدعوة إلى القومية العربية محصورة في نطاق الأقليات الدينية غير المسلمة ، وفي عدد محدود من أبناء المسلمين الذين تأثروا . كتركبي الحمد ! - ، ولم تصبح تياراً شعبياً عاماً إلا حين تبني الدعوة إليها الرئيس المصري جمال عبد الناصر ، حين سخر لها أجهزة إعلامه ، وإمكانات دولته .
يعد (ساطع الحصري ت 1968م) داعية القومية العربية وأهم مفكريها وأشهر دعايتها ، وله مؤلفات كثيرة تعد الأساس الذي تقوم عليه فكرة القومية العربية ، ويأتي بعده في الأهمية النصراني (ميشيل عفلق) مؤسس (حزب البعث) .

يرى دعاة القومية العربية أن أهم المقومات التي تقوم عليها القومية العربية هي :

1. اللغة العربية .

2. الدم .

3 التاريخ .

4 الأرض .

5 الآلام والآمال المشتركة .

أما الدين فإنه مستبعد من مقومات القومية العربية ! بل يحارب ! لأنه بزعمهم يُفرق العرب ولا يوحدهم !

وفي هذا يقول شاعرهم (القروي) :

هبوني عيداً يجعل العرب أمة

وسيروا بجثمانني على دين برهم !

سلامٌ على كفر يوحد بيننا

وأهلاً وسهلاً بعده بجهنم !

يقول الشيخ ابن باز . حفظه الله . :

(من خبر أحوال القوميين وتدبر مقالاتهم وأخلاقهم وأعمالهم ، عرف أن غرض الكثيرين منهم من الدعوة إلى القومية أمور أخرى يعرفها من له أدنى بصيرة بالواقع وأحوال المجتمع ، ومن تلك الأمور: فصل الدين عن الدولة ، وإقصاء أحكام الإسلام عن المجتمع ، والاعتياض عنها بقوانين وضعية ملفقة من قوانين شتى ، وإطلاق الحرية للنزعات الجنسية والمذاهب الهدامة . لا بلغهم الله مناهم . ولا ريب أن دعوة تفضي إلى هذه الغايات يرقص لها الاستعمار طرباً ، ويساعد وجودها ورفع مستواها وإن تظاهر بخلاف ذلك . تغيرياً للعرب عن دينهم ، وتشجيعاً لهم على الاشتغال بقوميتهم ، والدعوة إليها والاعراض عن دينهم)⁷⁹ .

وقال . حفظه الله . ناقضاً هذه الفكرة الجاهلية :

(من المعلوم من دين الإسلام بالضرورة أن الدعوة إلى القومية العربية أو غيرها من القوميات ، دعوة باطلة وخطأ عظيم ومنكر ظاهر وجاهلية نكراء وكيد سافر للإسلام وأهله ، وذلك لوجوه :

الأول : أن الدعوة إلى القومية العربية تفرّق بين المسلمين ، وتفصل المسلم العجمي عن أخيه العربي ، وتفرّق بين العرب أنفسهم لأنهم كلهم ليسوا يرضونها ، وإنما يرضاها منهم قوم دون قوم ، وكل فكرة تقسم المسلمين وتجعلهم أحزاباً ، فكرة باطلة تخالف مقاصد الإسلام وما يرمي إليه ، وذلك لأنه يدعو إلى الاجتماع والوئام والتواصي بالحق والتعاون على البر والتقوى كما يدل على ذلك قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون * واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون)⁸⁰ وقال {هُوَ الَّذِي آيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ(62) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}⁸¹ وقال تعالى : {مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ(31) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ}⁸² .

فانظر أيها المؤمن الراغب في الحق كيف يحارب الإسلام التفرق والاختلاف ويدعو إلى الاجتماع والوئام والتمسك بحبل الحق والوفاء عليه ، تعلم بذلك أن هدف القومية غير هدف الإسلام ، وأن مقاصدها تخالف مقاصد الإسلام .

ويدل على ذلك أيضاً أن هذه الفكرة أعني الدعوة إلى القومية العربية ، وردت إلينا من أعدائنا الغربيين ، وكادوا بها المسلمين ، ويقصدون من ورائها فصل بعضهم عن بعض ، وتحطيم كياناتهم ، وتفريق شملهم

⁷⁹ نقد القومية العربية (ص10) .

⁸⁰ سورة آل عمران ، الآيات : 102 ، 103 .

⁸¹ سورة الأنفال ، الآيات : 62 ، 63 .

⁸² سورة الروم ، الآيات : 31-32 .

، على قاعدتهم المشؤمة "فرّق تسد" وكم نالوا من الإسلام وأهله بهذه القاعدة النحيسة مما يحزن القلوب ويدمي العيون⁸³ .

(الوجه الثاني : أن الإسلام نهى عن دعوى الجاهلية وحذر منها وأبدى في ذلك وأعاد في نصوص كثيرة ، بل قد جاءت النصوص تنهى عن جميع أخلاق الجاهلية وأعمالهم إلا ما أقره الإسلام من ذلك ولا ريب أن الدعوة إلى القومية العربية من أمر الجاهلية لأنها دعوة إلى غير الإسلام ومناصرة لغير الحق وكم جرّت دعوى الجاهلية على أهلها من ويلات وحروب طاحنة وقودها النفوس والأموال والأعراض ، وعاقبتها تمزيق الشمل وغرس العداوة والشحناء في القلوب والتفريق بين القبائل والشعوب .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (كل ما خرج عن دعوى الإسلام والقرآن من نسب أو بلد أو جنس أو مذهب أو طريقة فهو من عزاء الجاهلية ، بل لما اختصم مهاجري وأنصاري فقال المهاجري : يا للمهاجرين ، وقال الأنصاري : يا للأنصار قال النبي صلى الله عليه وسلم : " أبدوعي الجاهلية وأنا بين أظهركم " وغضب لذلك غضباً شديداً " انتهى .

ومما ورد في ذلك من النصوص قوله تعالى : { وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ }⁸⁴ ، وقال تعالى : { إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ }⁸⁵ ، وفي سنن أبي داود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية " ، وفي " صحيح مسلم " أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يبغى أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد " ولا ريب أن دعاة القومية يدعون إلى عصبية ، ويغضبون لعصبية ويقاتلون على عصبية ، ولا ريب أيضاً أن الدعوة إلى القومية تدعو إلى البغي والفخر لأن القومية ليست ديناً سماوياً يمنع أهله من البغي والفخر ، وإنما هي فكرة جاهلية تحمل أهلها على الفخر بها والتعصب لها على من نالها بشيء ، وإن كانت هي الظالمة وغيرها المظلوم⁸⁶ .

(الوجه الثالث : من الوجوه الدالة على بطلان الدعوة إلى القومية العربية : هو أنها سلّم إلى موالاتة كفار العرب وملاحدتهم من أبناء غير المسلمين واتخاذهم بطانة والاستنصار بهم على أعداء القوميين من المسلمين وغيرهم . ومعلوم ما في هذا من الفساد الكبير والمخالفة لنصوص القرآن والسنة الدالة على وجوب بغض الكافرين من العرب وغيرهم ومعاداتهم وتحريم موالاتهم واتخاذهم بطانة .

⁸³ ص (15.13) .

⁸⁴ سورة الأحزاب ، الآية : 33 .

⁸⁵ سورة الفتح ، الآية : 26 .

⁸⁶ ص (22 21)

والنصوص في هذا المعنى كثيرة ، منها قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالتَّصَارِيءَ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَّوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (51) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ } الآية 87 . سبحان الله ما أصدق قوله وأوضح بيانه ، هؤلاء القوميون يدعون إلى التكتل حول القومية العربية مسلمها وكافرها ، يقولون : نخشى أن تصيبنا دائرة ، نخشى أن يعود الاستعمار إلى بلادنا ، نخشى أن تسلب ثرواتنا بأيدي أعدائنا ، فيوالون لأجل ذلك كل عربي من يهود ونصارى ومجوس ووثنيين وملاحدة وغيرهم تحت لواء القومية العربية ، ويقولون : إن نظامها لا يفرق بين عربي وعربي وإن تفرقت أديانهم ، فهل هذا إلا مصادمة لكتاب الله ومخالفة لشرع الله وتعد لحدود الله وموالاته ومعاداة وحب وبغض على غير دين الله ؟

فما أعظم ذلك من باطل وما أسوأه من منهج !

القرآن يدعو إلى موالاته المؤمنين ومعاداة الكافرين أينما كانوا وكيفما كانوا ، وشرع القومية العربية يأبى ذلك ويخالفه { قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ }⁸⁸ ويقول الله سبحانه : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَّةِ . إلى قوله تعالى { وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ }⁸⁹ ونظام القومية يقول : كلهم أولياء مسلمهم وكافرهم !!

والله يقول : { شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ } الآية⁹⁰ . ويقول سبحانه : { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ }⁹¹ . وقال تعالى : { لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ }⁹² . وشرع القومية ، أو بعبارة أخرى شرع دعواتها يقول : أقصوا الدين عن القومية ، وافصلوا الدين عن الدولة ، وتكتلوا حول أنفسكم وقوميتكم حتى تدركو مصالحكم وتستردوا أمجادكم ، وكان الإسلام وقف في طريقهم وحال بينهم وبين أمجادهم ، هذا والله هو الجهل والتلبيس وعكس القضية ، سبحانك هذا بهتان عظيم ! والآيات الدالة على وجوب موالاته المؤمنين ومعاداة الكافرين والتحذير من توليهم كثيرة لا تخفى على أهل القرآن ، فلا ينبغي أن نطيل بذكرها وكيف يجوز في عقل عاقل أن يكون أبو جهل وأبو

⁸⁷ سورة المائدة ، الآيات (51 ، 52)

⁸⁸ سورة البقرة ، الآية : 140 .

⁸⁹ سورة الممتحنة ، الآية : 1 .

⁹⁰ سورة الشورى : الآية : 12 .

⁹¹ سورة الممتحنة ، الآية 4 .

⁹² سورة المجادلة ، الآية : 22 .

لهب ، وعقبة ابن أبي معيط ، والنضر بن الحارث وأضرابهم من صناديد الكفار في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وبعده إلى يومنا هذا إخواناً وأولياء لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة ومن سلك سبيلهم من العرب إلى يومنا هذا . . هذا والله من أبطل الباطل وأعظم الجهل . وشرع القومية ونظامها يوجب هذا ويقتضيه وإن أنكره بعض دعائها جهلاً أو تجاهلاً وتلبساً فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (93) .

(الوجه الرابع : من الوجوه الدالة على بطلان الدعوة إلى القومية العربية أن يقال : إن الدعوة إليها والتكتل حول رايها يفضي بالمجتمع ولا بد إلى رفض حكم القرآن ، لأن القوميين غير المسلمين لن يرضوا تحكيم القرآن فيوجب ذلك لزعماء القومية أن يتخذوا أحكاماً وضعية تخالف حكم القرآن حتى يستوي مجتمع القومية في تلك الأحكام .

وقد صرح الكثير منهم بذلك . وهذا هو الفساد العظيم والكفر المستبين والردة السافرة ، كما قال تعالى : { فَالَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا }⁹⁴ وقال تعالى { أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ } (95) قال تعالى { وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ }⁹⁶ وقال تعالى : { وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }⁹⁷ وقال تعالى { وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ }⁹⁸ وكل دولة لا تحكم بشرع الله ولا تنصاع لحكم الله فهي دولة جاهلية كافرة ظالمة فاسقة بنص هذه الآيات المحكمات . يجب على أهل الإسلام بغضها ومعاداتها في الله ، وتحرم عليهم مودتها وموالاتها حتى تؤمن بالله وحده وتحكم شريعته كم قال عز وجل : { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ }⁹⁹ .

فالواجب على زعماء القومية ودعاتها أن يحاسبوا أنفسهم ويتهموا رأيهم وأن يفكروا في نتائج دعوتهم المشؤومة وغاياتها الوخيمة ، وأن يكرسوا جهودهم للدعوة إلى الإسلام ونشر محاسنه والتمسك بتعاليمه والدعوة إلى تحكيمه بدلاً من الدعوة إلى قومية أو وطنية (100)

⁹³ (ص 3734)

⁹⁴ سورة النساء ، الآية 65 .

⁹⁵ سورة المائدة ، الآية 50 .

⁹⁶ سورة المائدة ، الآية 44 .

⁹⁷ سورة المائدة ، الآية 45 .

⁹⁸ سورة المائدة ، الآية 47 .

⁹⁹ سورة الممتحنة ، الآية : 4 .

¹⁰⁰ ص (50 . 51) .

حزب البعث العربي الاشتراكي¹⁰¹

حزب البعث العربي الاشتراكي هو حزب قومي علماني ، يدعو إلى الانقلاب الشامل في المفاهيم والقيم العربية لصهرها وتحويلها إلى التوجه الاشتراكي ، شعاره المعلن (أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة) وهي رسالة الحزب ، أما أهدافه فتتمثل في الوحدة والحرية والاشتراكية .

¹⁰¹ لخصتها من " الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة " عن الندوة العالمية للشباب الإسلامي(474/1) .

التأسيس وأبرز الشخصيات :

- في سنة 1932م عاد من باريس قادماً إلى دمشق كل من ميشيل عفلق (نصراني ينتمي إلى الكنيسة الشرقية)¹⁰² وصلاح البيطار (سني) وذلك بعد دراستهم العالية محملين بأفكار قومية وثقافية أجنبية .

- عمل كل من عفلق والبيطار في التدريس ، ومن خلاله أخذنا ينشران أفكارهما بين الزملاء والطلاب والشباب .

- أصدر التجمع الذي أنشأه عفلق والبيطار مجلة الطليعة مع الماركسيين سنة 1934 وكانوا يطلقون على أنفسهم اسم (جماعة الإحياء العربي) .

- في نيسان 1947 تم تأسيس الحزب تحت اسم (حزب البعث العربي) ، وقد كان من المؤسسين : ميشيل عفلق ، صلاح البيطار ، جلال السيد ، زكي الأرسوزي ، كما قرروا إصدار مجلة باسم البعث .

- كان لهم بعد ذلك دور فاعل في الحكومات التي طرأت على سوريا بعد الاستقلال سنة 1946 وهذه الحكومات هي :

1. حكومة شكري القوتلي : من 1946 وحتى 1949/3/29م .
 2. حكومة حسني الزعيم : استلم السلطة عدة شهور من سنة 1949م .
 3. حكومة اللواء سامي الحناوي : بدأ حكمه وانتهى في نفس عام 1494م .
 4. حكومة أديب الشيشكلي : استمر حكمه حتى سنة 1954م .
 5. حكومة شكري القوتلي : عاد إلى الحكم مرة ثانية واستمر إلى توقيع الوحدة مع مصر سنة 1958م .
 6. حكومة الوحدة برئاسة جمال عبد الناصر : 1958. 1961م .
 - 7- حكومة الانفصال برئاسة الدكتور ناظم القدسي : وقد دام الانفصال من 1961/9/28م وحتى 1963/3/8م وقد قاد حركة الانفصال عبد الكريم النحلاوي .
- منذ 1963/3/8م وإلى اليوم فقد وقعت سوريا تحت حكم حزب البعث ، مرت هذا الفترة بعدة حكومات بعثية هي :
- حكومة قيادة الثورة : 1963م وفيها برز صلاح البيطار كرئيس للوزراء .
 - حكومة أمين الحافظ : من 1963م وحتى 1966م .
 - حكومة نور الدين الأتاسي : 1966م حيث لعب القيادة القطرية للحزب دوراً بارزاً في الحكم ، وقد برز في هذه الفترة كل من صلاح جديد الذي عمل أميناً عاماً للقيادة القطرية وحافظ الأسد الذي عمل وزيراً للدفاع .

¹⁰² بعد هلاكه أعلن صدام أنه كان قد أسلم ! ثم أمر بالصلاة عليه !!

. حكومة حافظ الأسد : من سنة 1970م وإلى يومنا هذا .

لقد اندمج في سنة 1953م كل من (حزب البعث) و (الحزب العربي الاشتراكي) الذي كان يقوده أكرم الحوراني في حزب واحد أسمياه (حزب البعث العربي الاشتراكي) .

□ أما عن الجناح العراقي من حزب البعث فقد استولى على السلطة في العراق بعد أحداث دامية سارت على النحو التالي :

- في الرابع عشر من شهر يوليو عام 1958 دخل لواء بقيادة عبد السلام عارف إلى بغداد قادماً من الأردن واستولى على محطة الإذاعة وأعلن الثورة على النظام الملكي وقتل الملك فيصل الثاني وولي عهده عبد الإله ونوري السعيد وأعوانه وأسقط النظام الملكي وبذلك انتهى عهد فيصل ودخل العراق دوامة الانقلابات العسكرية .

. وفي اليوم الرابع والعشرين من شهر يوليو عام 1958م أي بعد عشرة أيام من نشوء الثورة وصل ميشيل عفلق مؤسس حزب البعث وزعيمه إلى بغداد وحاول إقناع أركان النظام الجديد بالانضمام إلى الجمهورية العربية المتحدة (سوريا ومصر) ولكن الحزب الشيوعي العراقي أحبط مساعيه ونادى بعبد الكريم قاسم زعيماً أوحده للعراق .

- وفي اليوم الثامن من شهر فبراير لعام سنة 1963م قام حزب البعث بانقلاب على نظام عبد الكريم قاسم وقد شهد هذا الانقلاب قتالاً شرساً دار في شوارع بغداد ، وبعد نجاح هذا الانقلاب تشكلت أول حكومة بعثية ، وسرعان ما نشب خلاف بين الجناح المعتدل والجناح المتطرف من حزب البعث فاغتنم عبد السلام عارف هذه الفرصة وأسقط أول حكومة بعثية في تاريخ العراق في 18 نوفمبر سنة 1963م وعين عبد السلام عارف أحمد حسن البكر أحد الضباط البعثيين المعتدلين نائباً لرئيس الجمهورية .

- في شهر فبراير سنة 1964م أوصى ميشيل عفلق بتعيين صدام حسين عضواً في القيادة القطرية لفرع حزب البعث العراقي .

. في شهر سبتمبر سنة 1966م قام حزب البعث العراقي بالتحالف مع ضباط غير بعثيين بانقلاب ناجح أسقط نظام عارف .

. في اليوم الثلاثين من شهر يوليو عام 1968م طرد حزب البعث وعين أحمد حسن البكر رئيساً لمجلس قيادة الثورة ومسؤولاً عن الأمن الداخلي .

. وفي 15 أكتوبر سنة 1970م تم اغتيال الفريق جردان التكريتي في مدينة الكويت وكان من أبرز أعضاء حزب البعث العراقي وعضواً في مجلس قيادة الثورة ونائباً لرئيس مجلس الوزراء ووزيراً للدفاع .

. وفي شهر نوفمبر من عام 1971م تم اغتيال السيد فؤاد الركابي وكان المنظر الأول للحزب وأحد أبرز قاداته في العراق وقد تم اغتياله داخل السجن .

. وفي 8 يوليو سنة 1973م جرى إعدام ناظم كزار رئيس الحكومة وجهاز الأمن الداخلي وخمسة وثلاثين شخصاً من أنصاره وذلك في أعقاب فشل الانقلاب الذي حاولوا القيام به .

- وفي 8 يوليو السادس من شهر مارس عام 1975م وقعت الحكومة البعثية العراقية مع شاه إيران الاتفاقية المعروفة باتفاقية الجزائر وقد وقعها عن العراق صدام حسين وتقضي الاتفاقية المذكورة بأن يوافق العراق على المطالب الإقليمية للشاه في مقابل وقف الشاه مساندته للأكراد في ثورتهم على النظام العراقي .

. في شهر أكتوبر لعام 1978م طردت الحكومة البعثية الخميني من العراق وقامت في شهر فبراير عام 1979م الثورة الخمينية في إيران .

- في شهر يونيو عام 1979م أصبح صدام حسين رئيساً للجمهورية العراقية بعد إعفاء البكر من جميع مناصبه وفرض الإقامة الجبرية عليه في منزله .

تقييم لأفكار حزب البعث :

- حزب البعث العربي الاشتراكي حزب قومي علماني انقلابي له طروحات فكرية متعددة يتعذر الجميع بينها أحياناً فضلاً عن الاقتناع بها ، لقد كُتِبَ عنه كثيراً وتحدث زعماءه طويلاً ، ولكن هناك بون واسع بين ممارسات وأقوال فترة ما قبل السلطة ، وممارسات وأقوال فترة ما بعدها .

- الرابطة القومية عنده هي الرابطة الوحيدة القائمة في الدولة العربية التي تكفل الانسجام بين المواطنين وانصهارهم في بوتقة واحدة وتكبح جماح سائر العصبية المذهبية والطائفية والقبلية والعرقية والإقليمية حتى قال شاعرهم :

آمنت بالبعث رباً لا شريك له

وبالعروبة دينا ماله ثاني

. تعلن سياسة الحزب التربوية أنها ترمي إلى خلق جيل عربي جديد مؤمن بوحدة أمته وخلود رسالتها آخذاً بالتفكير العلمي ، طليقاً من قيود الخرافات والتقاليد والرجعية ، مشبعاً بروح التفاؤل والنضال والتضامن مع مواطنيه في سبيل تحقيق الانقلاب العربي الشامل وتقدم الإنسانية ، " والطريق الوحيد لتشيد حضارة العرب وبناء المجتمع العربي هو خلق الإنسان الاشتراكي العربي الجديد الذي يؤمن بأن الله والأديان والإقطاع ورأس المال وكل القيم التي سادت المجتمع السابق ليست إلا دمي محنطة في متاحف التاريخ !! " كما يقول إبراهيم خلاص . فيلسوف الحزب في العراق . .

من التوصيات العامة لمقررات المؤتمر القومي الرابع للحزب نقتطف الآتي لبيان نظرتهم :

. تقول التوصية الرابعة : " يعتبر المؤتمر القومي الرابع الرجعية الدينية إحدى المخاطر الأساسية التي تهدد الانطلاقة التقدمية في المرحلة الحاضرة ولذلك يوصي القيادة القومية بالتركيز في النشاط الثقافي والعمل على علمانية الحزب ، خاصة في الأقطار التي تشوه فيها الطائفية العمل السياسي " .

- التوصية التاسعة تقول : " إن أفضل سبيل لتوضيح فكرتنا القومية هو شرح وإبراز مفهومها التقدمي العلماني وتجنب الأسلوب التقليدي الرومنطقي في عرض الفكرة القومية ، وعلى ذلك سيكون نضالنا في هذه المرحلة مركزاً حول علمانية حركتنا ومضمونها الاشتراكي لاستقطاب قاعدة شعبية لا طائفية من كل فئات الشعب " .

. أما عن الوحدة فهم يقولون : " ليست الوحدة العربية ، مجرد تجميع ولصق لأجزاء الوطن العربي بل هي التحام فصهر لهذه الأجزاء ، لذا فإن الوحدة ثورة بكل أبعادها ومعانيها ومستوياتها ، وهي ثورة لأنها قضاء على مصالح إقليمية عاشت وتوسعت وترسبت عبر القرون ، وهي ثورة لأنها تجابه مصالح وطبقات تعارض الوحدة وتقف في وجهها " (المنطلقات النظرية للمؤتمر القومي السادس) .

. وأما الاشتراكية فهي تعني " تربية المواطن تربية اشتراكية علمية تعتقه من كافة الأطر والتقاليد الاجتماعية الموروثة والمتأخرة لكي يمكن خلق إنسان عربي جديد بعقل علمي متفتح ، ويتمتع بأخلاق اشتراكية جديدة ويؤمن بقيم جماعية " .

- الرسالة الخالدة : يفسرونها بأن الأمة العربية ذات رسالة خالدة تظهر بأشكال متجددة متكاملة في مراحل التاريخ ترمي إلى تجديد القيم الإنسانية وحفز التقدم البشري وتنمية الانسجام والتعاون بين الأمم .

هذا ويمكن ملاحظة ما يلي :

. إن كلمة الدين لم ترد مطلقاً في صلب الدستور السوري أو العراقي .
- كلمة الإيمان بالله على عموميتها لم ترد في صلب الدستور ، لا في تفصيلاته ولا في عمومياته ، مما يؤكد على الاتجاه العماني لديه .

. في بناء الأسرة لا يشيرون إلى تحريم الزنى ولا يشيرون إلى آثاره السلبية¹⁰³ .

. في السياسة الخارجية لا يشيرون إلى أية صلة مع العالم الإسلامي .

. لا يشيرون إلى التاريخ الإسلامي الذي أكسب الأمة العربية مكانة وقدرًا بين الشعوب .

- رغم مطالبة الحزب بإتاحة أكبر قدر من الحرية للمواطنين ، فإن ممارساته القمعية فاقت كل تصور وانتهكت كل الحرمات ووأدت كل الحركات ، وألجأت الكثيرين إلى الهجرة والفرار بعقيدتهم من الظلم والاضطهاد .

¹⁰³ بل يدعون له ويؤيدونه في آدابهم قصصاً كانت أم أشعاراً . كما سيأتي عند الحديث عن (المواقف الجنسية) في ثلاثية الحمد ، واستاذة نجيب محفوظ!

. القوانين في البلاد التي يحكمها البعث علمانية وحنات بيع الخمور مفتوحة ليل نهار ، والنظام المالي ربوي ، ودعاة الإسلام مضطهدون بشكل سافر .

الجدور الفكرية والعقائدية :

1. يعتمد الحزب على الفكر القومي الذي ظهر وبرز بعد سقوط الدولة العثمانية في العالم العربي والذي نادت به أوروبا ، والذي نادى به منظر القومية العربية في العالم العربي آنذاك ساطع الحصري .
2. يعتمد الحزب على الفكر العلماني إذ ينحي مسألة العقيد الدينية جانباً ولا يقيم لها أي وزن سواء على صعيد الفكر الحزبي أو على صعيد الانتساب إلى الحزب أو على صعيد التطبيق العلمي .
- 3 يستلهم الحزب تصوراته من الفكر الاشتراكي ويترسم طريق الماركسية رغم انهيارها ، والخلاف الوحيد بينهما أن اتجاهات الماركسية أممية ، أما البعث فقومي ، وفيما عدا ذلك فإن الأفكار الماركسية تمثل العمود الفقري في فكر الحزب ومعتقدده ، وهي لا تزال كذلك رغم انهيار البنيان الماركسي فيما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي .
4. لقد كان الحزب واجهة انضوت تحته كل الاتجاهات الطائفية (درزية . نصيرية إسماعيلية . مسيحية) وأخذ هؤلاء يتحركون من خلاله بدوافع باطنية يطرحونها ويطبّقونها تحت شعار الثورة والوحدة والحرية والاشتراكية والتقدمية ، وقد كانت الطائفة النصيرية أقدر هذا الطوائف على استغلال الحزب لتحقيق أهدافها وترسيخ وجودها ، إلى أن وصلت إلى الحكم في سوريا ¹⁰⁴ .

الانتشار ومواقع النفوذ :

1. للحزب أعضاء ينتشرون في معظم الأقطار العربية ، بعضهم يعمل بشكل علني ، وبعضهم الآخر سري ! ويتفاوت وجودهم وتأثيرهم من بلد إلى آخر على حسب طبيعة البلد ونوعية حكمه!
2. يحكم حزب البعث بلدين عربيين مهمين هما سوريا والعراق ، وقد عجز الحزب عن تحقيق الوحدة بين فصائله ، بل إن الصراع بين شطري البعث مستمر وعلى أشده ، واتهامات الخيانة بين الطرفين لا تنقضي ، وإذا كان هذا هو شأن الحزب في بلدين يخضعان له ، فهو من باب أولى عاجز عن تحقيق وحدة الأمة العربية بكاملها .

¹⁰⁴ وقد ذكر تركي الحمد أن أكثر أعضاء البعث الذي ارتبط به هشام العابر في السعودية كانوا من الرفضة ، فهم يريدون أن يستغلوا هذا الحزب للوصول إلى الحكم . زعموا . ثم يزعوا الحجاب عن وجوههم (الطائفية) . والعجب أن ينخدع بهم شباب أهل السنة . كهشام العابر ! . الذي سيكون هو وغيره مطية هم إلى الحكم ، ثم سيردد بعد ذلك مقولة (أكلت يوم أكل الثور الأسود) ! فهل آن لنا أن نعي لأعيب أهل البعث ؟

والبعثيون يتطلعون إلى استلام السلطة في جميع أرجاء الوطن العربي باعتبار ذلك جزءاً لا يتجزأ من طموحاتهم البعيدة ، وقد أدت بهم هذه الرغبة العارمة إلى السقوط في حمأة الإنذار الممنوع والتهديد السافر والعدوان الصريح ، وربما يكون حزب البعث في العراق من أسوأ ما شهدته التاريخ .

ويتضح مما سبق :

أن حزب البعث العربي الاشتراكي حزب قومي سلطوي يحاد الله ورسوله ويسعى إلى قلب الأوضاع في العالم العربي ويتخذ العلمانية وتحقيق الاشتراكية مطلباً يبرر سياسته القمعية ، ورسالته التي يصفها ، على خلاف الحقيقة ، بالتقدمية ، ويجعل من الوحدة العربية هدفاً ينفذه بالضم والإرغام رغم إدارة الشعوب .

والعلاقة معه يجب أن يحكمها قول الله سبحانه : (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله)¹⁰⁵ .

الإنسانية

عندما أعيت الحمد الأفكار والمذاهب ، فاحتر في أيها الصحيح : هل هو الإسلام : أم الماركسية : أم القومية ، أم .. أم . .

تفتق ذهنه عن فكرة أخرى رآها تحل له مشاكله وتريحه من عناء التفرق والانقسام والخلافات بين الفرق والأديان والمذاهب تلكم الفكرة هي فكرة (الإنسانية)! وهي فكرة (خيالية) يتوهم بها الحمد

¹⁰⁵ سورة المجادلة ، الآية 22 .

أن يعيش الناس . من خلالها . إخوة متحابين ، لا تفرق بينهم الأديان ، وإنما هم بشر متساوون فيما بينهم كتساوي أسنان المشط .

. يقول الحمد على لسان هشام :

(لماذا لا نتعامل مع الإنسان بصفته إنساناً أولاً ، أي صفته الأولى التي خرج بها إلى الحياة ، ثم تأتي اللواحق كأن يكون بروليتاريا أو برجوازيّاً عربياً أو أعجمياً؟... نحن نتعامل مع الناس بصفاتنا اللاحقة وننسى الصفة الأولى التي أتت بها إلى الحياة ، ويخرج منها بها . . لو بحثت في أعماق الناس المستورة لوجدتهم مثل بعضهم ولكن قاتل الله اللواحق . . .

وضحك عبد الله وهو يقول :

. هل تريد أن تعرج بنا على فرويد وصحبه ؟

فضحك هشام أيضاً وهو يقول :

. ولا فرويد ولا عبد المتجلي . . أتدري من يطوف بخيالي الآن ؟

. من يا صاحب الحكمة ؟

. غاندي . . . المهاتما غاندي .

وبانت نظرات الاستغراب وجه عبد الله وهو يقول :

. غاندي؟! . . قديس الهند . . . ما علاقته بكل هديانك ؟

. كل العلاقة . . .

قال هشام وهو ينفخ الدخان إلى الأعلى :

. عندما كان يتعامل مع النظام العنصري في جنوب أفريقيا ، ومع الاستعمار البريطاني في الهند ، لم يكن يقسم الناس إلى مستعمرين ومستعمرين ، طبقات وفئات وجماعات متصارعة ، بل كان يتعامل مع الحس الإنساني المظمور في داخل الجميع . . . لم يكن يقاوم العنف بالعنف ، لأن العنف يأتي بالعنف بشكل تصاعدي ، ولكنه كان يتحمل عنف وقسوة الآخرين حتى الدرجة التي يستشير فيها حسهم الداخلي بالتعاطف معه ، ومن ثم يدركون أنهم مخطئون وظالمون . . . وقد نجح ¹⁰⁶

ويقول : (الإنسان لا يكون نفسه عندما يكون مقيداً بأي نوع من القيود ، قيود اجتماعية أو سياسية أو تنظيمية ، أو أي نوع من القيود التي تستر جوهر الإنسان فيه) ¹⁰⁷ .

قلت : لقد كذب الحمد على نفسه ثم صدقها ، حيث تخيل أن يعيش الناس متحابين في ما بينهم ، متعاونين متآزرين . . . ثم ادعى أن هذا هو حال الإنسان قبل الأديان والمذاهب . ولو صدق

¹⁰⁶ الكراديب (ص226)

¹⁰⁷ الكراديب (231)

الحمد مع نفسه لعلم أن الإنسان الأول وهو آدم كان على دين التوحيد الخالص ، وهو الإسلام ، وهكذا أبناءه وأحفاده إلى أن حدث الشرك في الأرض ، وعندها بدأ الانحراف ، وبدأت المذاهب الباطلة تنتشر بين البشر . وقد قال تعالى مبيناً هذا { كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً }¹⁰⁸ .

قال ابن عباس : (كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق)¹⁰⁹ .

فلو صدق الحمد مع نفسه لكان مسلماً موحداً ، لأن هذا هو ما كانت (الإنسانية) عليه فيما مضى إلى أن حدث الانحراف ، وهذا هو الموافق للفطرة التي يحملها الإنسان عند ولادته كما أخبر صلى الله عليه وسلم : " ما من مولود إلا يولد إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه " ¹¹⁰

أما الدعوة (الإنسانية) التي يدعو إليها الحمد فهي دعوة باطلة لأنها تساوي بين الحق والضلال ، وبين دين الإسلام وغيره من الأديان الباطلة ، وبين التوحيد والشرك ، وبين المسلمين والمشركين والكافرين ، وقد قال تعالى : { أَفَجَعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ }¹¹¹ .

وقال سبحانه { أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ }¹¹²

يقول الشيخ محمد قطب . حفظه الله . : (ولكن أناساً قد يخدعون بدعوى الإنسانية لما فيها من بريق فيؤمنون بها أو يدعون إليها غافلين عند الحقيقة التي تنطوي عليها وقد لا يصدقون أصلاً أنها دعوة إلى التحلل من الدين يبيتها الشياطين في الأرض لأمر يراد)¹¹³ .

قال الشيخ بكر أبو زيد . حفظه الله . عن الإنسانية : (اتسع انتشار هذه اللفظة البراقة بين المسلمين عامتهم وخاصتهم ، ويستملح الواحد نفسه حين يقول : هذا عمل "إنساني" وهكذا حتى في صفوف المتعلمين والمثقفين ، وما يدري المسكين أنها على معنى " ماسونية " وأنها كلمة يلوكها بلسانه ، وهي حرب عليه ، لأنها ضد الدين ، فهي دعوة إلى أن نواجه المعاني السامية في الحياة بالإنسانية لا بالدين)¹¹⁴ .

قلت : وانظر لبطلان هذه الدعوة : كتاب (مذاهب فكرية معاصرة) للشيخ محمد قطب ، وكتاب (الإسلام والدعوات الهدامة) للأستاذ أنور الجندي .

¹⁰⁸ سورة البقرة ، الآية 213 .

¹⁰⁹ تفسير ابن كثير (257/1) .

¹¹⁰ أخرجه البخاري ومسلم ولم يقل في الحديث " أو يؤسلمانه) لأن الفطرة هي الإسلام وانظر كلام ابن القيم . رحمه الله . على هذا الحديث في " شفاء العليل " (ص 470 وما بعدها) و " أحكام أهل الذمة " (2 / 523 وما بعدها) حيث أطل في شرحه .

¹¹¹ سورة القلم ، الآيات : 35 ، 36 .

¹¹² سورة ص ، الآية : 28 .

¹¹³ مذاهب فكرية معاصرة (ص 591) .

¹¹⁴ معجم المناهي اللفظية (ص 87) .

أما عن مدح الحمد للهندوسي المتعصب غاندي بأنه إنساني النزعة ، فانظر حقيقة هذا في كتاب (مشاهداتي في الهند) للشيخ محمد المجذوب حيث بين حقيقة هذا الهندوسي الذي خدع كثيراً من المسلمين (بانسانيته !) وذكر شيئاً من قبائحه .

ومن ذلك أن المسلمين في الهند نشطوا في دعوة طائفة (المنبوذين) في الهند إلى الإسلام ، وكادوا يستجيبون لهم لولا تدخل الهندوسي (غاندي) ! يقول المجذوب : (كان لغاندي أثره الكبير في تجميد تلك الحركة أيامئذٍ ، إذ فتح للمنبوذين أبواب المعابد التي كانت مغلقة في وجوههم ، وتعهد لهم برد الكثير من الاعتبار الإنساني إليهم بعد الاستقلال إذا هم حافظوا على انتمائهم للنحلة الهندوسية ، وإنما فعل ذلك خشية أن تزداد بهم قوة المسلمين)¹¹⁵ .

عقيدة أهل السنة في القدر 116

من القضايا التي ألع عليها الحمد في ثلاثيته كثيراً قضية (القدر) حيث حاول الحمد أن ينقل جهله وعدم فهمه لهذه القضية إلى القراء فيوحي لهم في مواضع كثيرة من ثلاثيته بأن هذا القدر المزعوم هو مجرد عبث ! وأنه لا فرق في ذلك بين أفعال الله . عز وجل . وأفعال الشيطان !!! - تعالى الله عما يقوله الحمد علواً كبيراً . .

وهذا الأمر قد جعله يتناثر بشكل مفتعل في كلمات (هشام العابر) وأحاديثه مع نفسه خلال الأجزاء الثلاثية .

فمن ذلك :

¹¹⁵ مشاهداتي في الهند (ص 59) .

¹¹⁶ لخصتها من كتابي : " القضاء والقدر . . . " للشيخ عبد الرحمن المحمود ، و " الإيمان بالقضاء والقدر " للشيخ محمد الحمد .

1. قوله عن هشام : (عصر ذلك اليوم ذهب مبكراً إلى منزل عبد الكريم ، ولم تكن الشلة قد وصلت بعد . كان عبد الكريم مسترخياً وقد مد رجله أمامه ، ولا يرتدي إلا سروالاً نصفياً وفانيلة بيضاء نصف كم ، ويحتسي الشاي الذي لا يفارقه أبداً ، وقد أمسك برواية " الغريب " لألبير كامو وهو مستغرق في قراءتها . كان باب " الحوش " مفتوحاً كالعادة في مثل هذا الوقت ، ولذلك لم يشعر عبد الكريم إلا وهشام يقف أمامه وهو يقول : " يا عيني على الأفخاذ الندية . . . " ألقى عبد الكريم الرواية من يده وابتسم محبباً هشام ، ثم دعاه للجلوس فيما هو ينهض وقد حمل صينية الشاي قائلاً : " دقيقه واحدة ويكون الشاي جاهزاً " ، ثم انطلق إلى داخل المنزل . وما هي إلا دقائق وعاد عبد الكريم وقد ارتدى ثوباً أبيض ، أو كان أبيض فقد كان مليئاً بالبقع الصفراء والبنية ، وجلس مقابل هشام وقال دون مقدمات " أنا يا أخي لا أفهم . . . هل هناك فعلاً أشخاص مثل الغريب الذي يتحدث عنه كامو ، أم أن المسألة مجرد أبداع مؤلف أو تعبير عن حالته النفسية في لحظة ما ؟ . . . شخص عبثي لهذه الدرجة ! لا يأبه بوفاة أمه ولا بمحاكمته وموته هو شخصياً ! . . . أعتقد أن هذه مبالغة . . . أليس كذلك ؟ " ومد هشام إحدى رجله ، وشبك ذراعيه خلف رأسه ، واستند إلى الحائط وهو يقول : " ربما يكون مثل هذا العبث مبالغة بالنسبة لنا ، ولكن لو عرفت الظروف التي عاشها كامو ، وحالة المجتمع الأوروبي بعد الحرب ، لربما أدركنا أن العبث قد يكون جزءاً من الحياة . . . " ، ثم اعتدل هشام في جلسته وهو يقول : " ما الفرق بين العبث والقدر ؟ " ، " لم أفهم . . . " قال عبد الكريم ، " ما نسميه قدراً قد يكون عبثاً ، وما يسمونه عبثاً قد نسميه قدراً . المسألة يا عزيزي هي في كيف ننظر إلى الأمور وليس في الأمور ذاتها ليس هناك حقيقة في ذاتها)¹¹⁷ .

2- قوله على لسان هشام : (طوال الطريق إلى المنزل ، كان هشام يفكر بالقدر واللعبة الغريبة التي يمارسها معه)¹¹⁸ .

3. قوله عن رحلتهم إلى القصيم عندما تاهوا في الصحراء : (ولكن الصحراء مثل القدر يسحقك ويكتم أنفاسك)¹¹⁹ .

4. قوله على لسان هشام عندما علم بأن (سوير) حامل منه : (كتب علينا أن نخطئ وطلب منا ألا نفعل . فماذا نفعل ؟ ... ماذا نفعل ... ماذا نفعل...)¹²⁰ .

5. قوله على لسان هشام محاوراً زميله في السجن عارف : (إنني كنت منتمياً إلى حزب البعث ... ولم أقل أنني بعثي بل لم أكن بعثياً في يوم من الأيام .

¹¹⁷ العدامة (ص 180 . 181) .

¹¹⁸ العدامة (ص 245) .

¹¹⁹ العدامة (ص 259) .

¹²⁰ الشميسي (ص 173) .

. عجيب ! .. وما الفرق ؟ أهذا لغز ؟

وسرح هشام بعيداً وهو يقول لنفسه هامساً : مثل لغز الحتم والإرادة ، والجبر والاختيار (¹²¹ .

6. قوله على لسان هشام مخاطباً الشيعي عارف : (وكما ترى يا أبا وحيد ، فنحن لسنا أحرار تماماً في

اختيار مصائرنا .. أليس هذا هو جوهر المادية التاريخية ؟

وضحك عارف في وجه هشام بشدة جعلته يشيح بوجهه قليلاً بعفوية ودون إرادة ، ثم قال وهو

يهز سبابته في الهواء :

- ليس تماماً يا صاحبي . ليس تماماً . المادية التاريخية والجدلية تتحدث عن مصير الشعوب

والمجتمعات والأفكار ... إنها تتحدث عن الحتمية أما ما تقوله ، فهو جوهر الفكر الديني . أنت تتحدث

عن القضاء والقدر ربما ، لا عن المادية التاريخية قطعاً .

. وما الفرق ؟ .. أليس كله حتم في حتم ؟ (¹²² .

7. قوله على لسان عارف الشيعي متحدثاً عن الموت الذي يترص بهم في السجن :

(نهرب من قضاء الإله لنقع في قضاء المخلوق ... وكلها أفضية في أفضية . هل هناك عبث أكثر من

ذلك ؟) ¹²³ .

8. قوله على لسان هشام متحدثاً عن السجن : (هذا المبنى القبيح . كيف كان الوزراء يحتملون الاجتماع

فيه عندما كان مقراً لمجلس الوزراء في الأيام الخالية ؟ ولكنها إرادة مثل القدر والحتم ... مقر الوزراء

يتحول إلى مقر للسجناء

(! ¹²⁴ .

9. قوله على لسان هشام متحدثاً مع نفسه :

(لماذا الاستمرار في مسرحية لا معنى لها ولا هدف ؟) ¹²⁵ .

(أكل هذا جزء من قدر إلهي ، أم هو عبث شيطاني ، أم هي حكمة لا ندرىها ، مختبئة في عباءة

قدر عابث ، أو عبث قادر ؟ لا أحد يدري ، فالله والشيطان واحدٌ هنا ، وكلاهما وجهان لعملة واحدة ...

الصورة وعكسها ، ولكن الكائن واحد . الحياة كلها سؤال بلا جواب) ¹²⁶ .

(بأي منطق يموت طفل صغير لم يكذب يتنسم ريح الحياة وأريج الزهور ؟ إن كان هناك منطق

ومعنى في وجوده ، فكيف يختفي قبل أن يمنح فرصة الوجود ؟ وإن يكن هناك منطق في موته ، فلماذا

¹²¹ الكراديب (ص 53) .

¹²² الكراديب (ص 74) .

¹²³ الكراديب (ص 56-57) .

¹²⁴ الكراديب (ص 112) .

¹²⁵ الكراديب (ص 144) .

¹²⁶ الكراديب (ص 137) .

يوجد أصلاً؟ وإن لم يكن هناك منطوق في وجوده أو في موته ، فلماذا يوجد ويموت؟ بل بأي منطوق تموت ذبابة حقيرة نسحقها لأنها مؤذية ولا تستحق الحياة؟ إذا كانت مؤذية ولا تستحق الحياة ، فلماذا وجدت؟ وإذا كان لها حق في الحياة ، فلماذا تقتل؟ من الذي يحدد من يؤذي من؟ هل ما يجري هو حكمة خافية لا ندرها ، أو أنه مجرد عبث اعتدناه فأصبح نظاماً ، أم مزيج منهما ، أم ولا هذا ولا ذاك؟ أين المعنى في كل ذلك وما هو النظام؟ لا أحد يدري ، ولن يدري أحد ، فربما كتب علينا أن نعيش ونموت ونحن ملفوفون في خرق بالية من الجهل والضياح . قد لا يكون ذلك الجهل جزءاً من الحكمة الخفية ، أو من العبث المعربد ، ولكنه يبقى جهلاً¹²⁷ .

قلت : بهذا النقول السابقة من ثلاثية الحمد ، يتضح لنا أنه متحير في مسألة القضاء والقدر وهي أحد أركان الإيمان . كما هو معلوم .

وبتأمل عباراته نجده يميل إلى :

1. مذهب الجبرية الذين يقولون بأنه لا إرادة للعباد .

2. أن أفعال الله . تعالى . ليست لحكمة ، بل ربما تكون مجرد عبث !! تعالى الله عن ذلك .

لهذا فإنه لا بد من توضيح هذه المسألة العظيمة التي خاض فيها الحمد دون علم . بل جهل وحيرة وتقليد لغيره . وسيكون هذا التوضيح متضمناً لذكر عقيدة أهل السنة والجماعة في القضاء والقدر ثم أقوال الفرق التي انحرفت فيها . ومن ضمنهم الجبرية الذين مال الحمد إلى قولهم . ثم الرد عليها . فأقول مستعيناً بالله . :

- القدر هو تقدير الله . تعالى ، الأشياء في القدم وعلمه . سبحانه . أنها ستقع في أوقات معلومة عنده وعلى صفات مخصوصة ، وكتابته . سبحانه . لذلك ومشيتته له ، ووقوعها على حسب ما قدرها ، وخلقها لها .

- لا فرق بين (القضاء) و (القدر) في المعنى فكل منهما يدل على معنى الآخر . على القول الصحيح .

- الإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان الستة التي وردت في قولها صلى الله عليه وسلم عندما سأله جبريل . عليه السلام . عن الإيمان : " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره " ¹²⁸ وقد ورد ذكر القدر في القرآن في قوله تعالى : (إنا كل شيء خلقه بقدر) ¹²⁹ .

. مراتب القدر عند أهل السنة أربع :

¹²⁷ الكراديب (ص 214-215) ونظر أيضاً (ص 134) .

¹²⁸ رواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الإيمان والإسلام والإحسان (رقم 1) .

¹²⁹ سورة القمر ، الآية (49) .

أ . مرتبة العلم : أي أن الله علم ما الخلق عاملون ، بعلمه القديم وأدلة هذا كثيرة منه قوله تعالى : {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} ¹³⁰ .

ب . مرتبة الكتابة : أي أن الله كتب مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ . ودليل هذا قوله تعالى : {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} ¹³¹ .
وقوله صلى الله عليه وسلم " كتب الله مقادير الخلائق قبل أن تخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ¹³² "

ج . مرتبة الإرادة والمشية : أي أن كل ما يجري في هذا الكون فهو بمشيئة الله . سبحانه وتعالى . فما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، فلا يخرج عن إرادته شيء .

دليل هذا قوله تعالى : {وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} ¹³³ . ، وقوله : {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} ¹³⁴ .

د . مرتبة الخلق : أي أن الله . تعالى . خالق كل شيء ، ومن ذلك أفعال العباد ، فلا يقع في هذا الكون شيء إلا وهو خالقه ، لقوله تعالى : {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} ¹³⁵ . وقوله : {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} ¹³⁶ .
وقوله صلى الله عليه وسلم : " إن الله يصنع كل صانع وصنعه " ¹³⁷ .

قد يقول قائل هنا : إذا كانت أفعال العباد مخلوقة لله ، وهي فعل لهم حقيقة ، كيف نجمع بين هذين الأمرين ؟

والجواب كما قال شيخ الإسلام :

(قول القائل : هذا فعل هذا ، وفعل هذا : لفظ فيه إجمال ، فإنه تارة يراد بالفعل نفس الفعل ، وتارة يراد به مسمى المصدر ، فيقول : فعلت هذا أفعله فعلاً ، وعملت هذا أعمله عملاً ، فإذا أريد بالعمل نفس العمل الذي هو مسمى المصدر كصلاة الإنسان وصيامه ونحو ذلك ، فالعمل هنا هو المعمول ، وقد اتحد هنا مسمى المصدر والفعل وإذا أريد بذلك ما يحصل بعمله كنساجه الثوب ، وبناء الدار ونحو ذلك فالعمل هنا غير المعمول ، قال -تعالى- {يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَتَمَائِيلٍ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ} ¹³⁸ فجعل هذه المصنوعات معمولة للجن ، ومن هذا الباب قوله .

¹³⁰ سورة الحشر ، الآية 22 .

¹³¹ سورة الحج ، الآية 70 .

¹³² رواه مسلم (2653) .

¹³³ سورة الكهف ، الآية : 32-24) .

¹³⁴ سورة التكوير ، الآية : 29 .

¹³⁵ سورة الرعد ، الآية 16 .

¹³⁶ سورة الصافات ، الآية : 96 .

¹³⁷ أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (257 و 358) وصححه الألباني في الصحيحة (1637) .

¹³⁸ سورة سبأ ، الآية : 13 .

تعالى . : {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} ¹³⁹ . أي والله خلقكم وخلق الأصنام التي تنحتونها ... والمقصود أن لفظ " الفعل " و " العمل " و " الصنع " أنواع ، وذلك كلفظ البناء والخياطة والتجارة تقع على نفس مسمى المصدر ، وعلى المفعول ، وكذلك لفظ " التلاوة " و " القراءة " و " الكلام " و " القول " يقع على نفس مسمى المصدر ، وعلى ما يحصل بذلك من نفس القول والكلام ، فيراد بالتلاوة والقراءة نفس القرآن المقروء والمتلو ، كما يراد بها مسمى المصدر .

والمقصود أن القائل إذا قال : هذه التصرفات فعل الله ، أو فعل العبد ، فإن أراد بذلك أنها فعل الله بمعنى المصدر ، فهذا باطل باتفاق المسلمين ، وبصريح العقل ، ولكن من قال هي فعل الله وأراد به أنها مفعولة مخلوقة لله كسائر المخلوقات فهذا حق " ، ثم وضع المسألة فقال " وأما من قال (وهم جمهور أهل السنة) : خلق الرب . تعالى . لمخلوقات ليس هو نفس مخلوقاته ، قال : إن أفعال العباد مخلوقة كسائر المخلوقات ، ومفعولة للرب كسائر المفعولات ، ولم يقل : إنها نفس فعل الرب وخلقها ، بل قال : إنها نفس فعل العبد ، وعلى هذا نزول الشبهة ، فإنه يقال : الكذب والظلم ونحو ذلك من القبائح يتصف بها من كانت فعلاً له ، كما يفعلها العبد ، وتقوم به ، ولا يتصف بها من كانت مخلوقة له إذا كان قد جعلها صفة لغيره ، كم أنه . سبحانه . لا يتصف بما خلقه في غيره من الطعوم والألوان والروائح والأشكال ، والمقادير والحركات وغير ذلك ، فإذا كان قد خلق لون الإنسان لم يكن هو المتلون به ، وإذا خلق رائحة منتنة ، أو طعاماً مرأً ، أو صورة قبيحة ، ونحو ذلك مما هو مكروه مذموم مستقبح ، لم يكن هو متصفاً بهذه المخلوقات القبيحة المذمومة المكروهة والأفعال القبيحة ، ومعنى قبحها كونها ضارة لفاعلها ، وسبباً لذمه وعقابه ، وجالبة لألمه وعذابه ، وهذا أمر يعود على الفاعل الذي قامت به لا على الخالق الذي خلقها فعلاً لغيره) ¹⁴⁰ .

قال الشيخ ابن سعدي . رحمه الله . : (إن الله كما أنه الذي خلقهم . أي الناس . ، فإنه خلق ما به يفعلون من قدرتهم وإرادتهم ؛ ثم هم فعلوا الأفعال المتنوعة : من طاعة ومعصية ، بقدرتهم وإرادتهم اللتين خلقها الله) ¹⁴¹ .

. (أن الله . سبحانه وتعالى . يفعل ما يفعل لحكمة يعلمها هو ، وهو يُعلم العباد أو بعض العباد من حكمته ما يطلعهم عليه ، وقد لا يعلمون ذلك ، والأمور العامة التي يفعلها تكون لحكمة عامة ورحمة عامة كإرساله محمد صلى الله عليه وسلم كما قال . تعالى . { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } ¹⁴² يقول ابن القيم . رحمه الله . " إنه سبحانه حكيم ، لا يفعل شيئاً عبثاً ولا لغير معنى ومصلحة وحكمة ، وهي الغاية

¹³⁹ سورة الصافات ، الآية : 96 .

¹⁴⁰ القدر لشيخ الإسلام (ص 121-123) .

¹⁴¹ الدرر البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدريه ، للشيخ ابن سعدي (ص 18) .

¹⁴² سورة الأنبياء ، الآية : 107 ، وانظر في هذا " مجموعة الرسائل الكبرى " 1/335 .

المقصودة بالفعل ، بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل ، كما هي ناشئة عن أسباب بها فعل ، وقد دل كلامه وكلام رسوله على هذا " ¹⁴³ ، وأدلة أهل السنة مستفيضة في الكتاب والسنة لا تخفى على من له أدنى إلمام بالكتاب والسنة ، وقد أطال ابن القيم جداً للاستدلال لها ، فذكر أكثر من اثنين وعشرين نوعاً من الأدلة ، كل نوع يحوي مجموعة من النصوص ، وقد نقض في أثناء عرض الأدلة المذاهب المخالفة ، ورد عليها ¹⁴⁴ ، كما رد ابن تيمية على المذاهب المخالفة وذكر الأدلة على صحة مذهب أهل السنة والجماعة ¹⁴⁵ ، وهذا هو المذهب الحق في هذه المسألة) .

. إرادة الله . عز وجل . على قسمين :

أ . إرادة كونية قدرية : وهي مرادفة للمشيئة ، وهذه الإرادة لا يخرج عن مرادها شيء ؛ فالكافر والمسلم تحت هذه الإرادة الكونية سواء ؛ فالطاعات ، والمعاصي ، كلها بمشيئة الرب ، وإرادته .

ومن أمثلتها قوله . تعالى . : { وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ } ¹⁴⁶ ، وقوله : { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأْتَمًا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ } ¹⁴⁷ .

ب . إرادة شريعة دينية : وتتضمن محبة الرب ، ورضاه .

ومن أمثلتها قوله . تعالى . : { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ } ¹⁴⁸ وقوله : { وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ } ¹⁴⁹ ، وقوله { مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ } ¹⁵⁰ .

الفرق بين الإرادتين : بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية فروق تميز كل واحدة منهما عن الأخرى ، ومن تلك الفروق ما يلي :

1- الإرادة الكونية قد يحبها الله ويرضاها ، وقد لا يحبها ولا يرضاها أما الشرعية فيحبها الله ويرضاها ؛ فالكونية مرادفة للمشيئة ، والشرعية مرادفة للمحبة .

2. الإرادة الكونية قد تكون مقصودة لغيرها كخلق إبليس مثلاً ، وسائر الشرور ؛ لتحصل بسببها محاب كثيرة كالتوبة ، والمجاهدة ، والاستغفار .

أما الشرعية فمقصودة لذاتها ؛ فالله أراد الطاعة وأحبها ، وشرعها ورضيها لذاتها .

¹⁴³ شفاء العليل ص 190 .

¹⁴⁴ انظر شفاء العليل ص 185 إلى 206 ، وانظر أيضاً : مفتاح دار السعادة لابن القيم 42/2 وما بعدها .

¹⁴⁵ انظر مجموع الفتاوى : المجلد الثامن . القدر . الصفحات 37 3781-377 وما بعدها ، ومجموعة الرسائل والمسائل (162/5) . ومجموعة الرسائل الكبرى (326/1) وما بعدها ، وانظر أيضاً : نقض تأسيس الجهمية لابن تيمية (198/1 و 213) وما بعدها ، وانظر : ابن تيمية السلفي (ص 183) وما بعدها

¹⁴⁶ سورة الرعد ، الآية : 11 .

¹⁴⁷ سورة الأنعام ، الآية 125 .

¹⁴⁸ سورة البقرة ، الآية 185 .

¹⁴⁹ سورة النساء ، الآية 27 .

¹⁵⁰ سورة المائدة ، الآية 6 .

3. الإرادة الكونية لا بد من وقوعها ؛ فالله إذا شاء شيئاً وقع ولا بد ، كإحياء أحد أو إمامته ، أو غير ذلك

أما الشرعية كالإسلام . مثلاً . فلا يلزم وقوعها ، فقد تقع وقد لا تقع ، ولو كان لا بد من وقوعها لأصبح الناس كلهم مسلمين .

4. الإرادة الكونية متعلقة بربوبية الله وخلقه ، أما الشرعية فمتعلقة بألوهيته وشرعه .

5. الإرادتان تجتمعان في حق المطيع ، فالذي أدى الصلاة . مثلاً . جمع بينهما ؛ وذلك لأن الصلاة محبوبة لله ، وقد أمر بها ورضيها وأحبها ، فهي شريعة من هذا الوجه ، وكونها وقعت دل على أن الله أرادها كوناً فهي كونية من هذا الوجه ؛ فمن هنا اجتمعت الإرادتان في حق المطيع .

وتنفرد الكونية في مثل كفر الكافر ، ومعصية العاصي ، فكونها وقعت فهذا يدل على أن الله شاءها ؛ لأنه لا يقع شيء إلا بمشيئته ، وكونها غير محبوبة ولا مرضية لله دليل على أنها كونية لا شرعية .

وتنفرد الشرعية في مثل إيمان الكافر ، وطاعة العاصي ، فكونها محبوبة لله فهي شرعية ، وكونها لم تقع . مع أمر الله بها ومحبه لها . هذا دليل على أنها شرعية فحسب ؛ إذ هي مرادة محبوبة لم تقع .

6. الإرادة الكونية أعم من جهة تعلقها بما لا يحبه الله ولا يرضاه ، من الكفر والمعاصي ، وأخص من جهة أنها لا تتعلق بمثل إيمان الكافر ، وطاعة الفاسق .

والإرادة الشرعية أعم من جهة تعلقها بكل مأمور به ، واقعاً كان أم غير واقع ، وأخص من جهة أن الواقع بالإرادة الكونية قد يكون غير مأمور به .

هذه فوارق بين الإرادتين ، فمن عرف الفرق بينهما سلم من شبهات كثيرة ، زلت بها أقدام ، وضلت بها أفهام ، فمن نظر إلى الأعمال الصادرة عن العباد بهاتين العينين كان بصيراً ومن نظر إلى الشرع دون القدر أو العكس كان أعور) .

- (الإيمان بالقدر هو المحك الحقيقي لمدى الإيمان بالله تعالى على الوجه الصحيح ، وهو الاختيار القوي لمدى معرفة الإنسان بربه . تعالى . ، وما يترتب على هذه المعرفة من يقين صادق بالله ، وبما يجب له من صفات الجلال والكمال ، وذلك لأن القدر فيه من التساؤلات والاستفهامات الكثيرة لمن أطلق لعقله المحدود العنان فيها ، وقد كثر الاختلاف حول القدر ، وتوسع الناس في الجدل والتأويل لآيات القرآن الواردة بذكره ، بل وأصبح أعداء الإسلام في كل زمن يثيرون البلبلة في عقيدة المسلمين عن طريق الكلام في القدر ، ودس الشبهات حوله ، ومن ثم أصبح لا يثبت على الإيمان الصحيح واليقين القاطع إلا من عرف الله بأسمائه الحسنی وصفاته العليا ، مسلماً الأمر لله ، مطمئن النفس ، واثقاً بربه . تعالى . ، فلا تجد الشكوك والشبهات إلى نفسه سيلاً ، وهذا ولا شك أكبر دليل على أهمية الإيمان به بين بقية الأركان) .

. خالف أهل في مسألة القدر فرقتان رئيسيتان :

أولاً هما : القدرية .

ثانيهما : الجبرية .

أما القدرية فقالوا :

(إن العبد مستقل بعلمه في الإرادة والقدرة ، ليس لمشيئة الله . تعالى . وقدرته في ذلك أثر .
ويقولون : إن أفعال العباد ليست مخلوقة الله ، وإنما العباد هم الخالقون لها ، ويقولون : إن
الذنوب الواقعة ليست واقعة بمشيئة الله .

وغلاتهم ينكرون أن يكون الله قد علمها ، فيجحدون مشيئته الشاملة ، وقدرته النافذة ، ولهذا
سموا مجوس هذه الأمة ؛ لأنهم شابهوا المجوس الذين قالوا : إن للكون إلهين : إله النور : وهو خالق
الخير ، وإله الظلمة : وهو خالق الشر .

وأما الجبرية . وهم الذين يؤيد الحمد مذهبهم .

فإنهم (غلو في إثبات القدر ، حتى أنكروا أن يكون للعبد فعل . حقيقة . بل هو في زعمهم لا حرية له
ولا فعل ، كالريشة في مهب الريح ، وإنما تسند إليه الأفعال مجازاً ، فيقال : صلى وصام ، وقتل ، وسرق ،
كما يقال : طلعت الشمس ، وحرت الريح ، ونزل المطر ، فاتهموا ربهم بالظلم ، وتكليف العباد بما لا
قدرة عليه ، ومجازاتهم على ما ليس من فعلهم ، واتهموه بالعبث في تكليف العباد ، وأبطلوا الحكمة من
الأمر والنهي ، ألا ساء ما يحكمون .

وهؤلاء في الحقيقة يزعمون أن الله هو الفاعل الحقيقي لأفعالهم ، بخلاف ما عليه أهل
السنة ، الذين يقولون : إن الله هو الخالق ، والعبد هو الفاعل ، ولذا ترتب على فعله الثواب والعقاب .
هؤلاء . الجبرية . يسمون بالقدرية المشركية ، لأنهم شابهوا المشركين في قولهم : { سَيَقُولُ الَّذِينَ
أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ }¹⁵¹ .

وحيث أن تركي الحمد قد أيد مذهبهم ، واحتج على المعاصي والآثام التي يرتكبها (هشام
العابر) بالقدر كقوله :

(كتب علينا أن نخطئ)¹⁵² .

فإن الرد سيكون منصباً على مسألة : هل يجوز الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي ؟
فأقول :

الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي أو ترك الواجبات :

¹⁵¹ سورة الأنعام ، الآية : 148 .

¹⁵² الشمسي (ص 173) .

(الإيمان بالقدر لا يمنح العاصي حجة على ما ترك من الواجبات ، أو فَعَلَ من المعاصي .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية . رحمه الله . : " وليس لأحد أن يحتج بالقدر على الذنب باتفاق المسلمين ، وسائر أهل الملل ، وسائر العقلاء ؛ فإن هذا لو كان مقبولاً لأمكن كل أحد أن يفعل ما يخطر له من قتل النفوس وأخذ الأموال ، وسائر أنواع الفساد في الأرض ، ويحتج بالقدر . ونفس المحتج بالقدر إذا اعتدي عليه ، واحتج المعتدي بالقدر لم يقبل منه ، بل يتناقض ، وتناقض القول يدل على فساده ، فلا احتجاج بالقدر معلوم الفساد في بداية العقول " ¹⁵³ .

وبما أن هذا الأمر مما يعم به البلاء فهذا إيراد لبعض الأدلة الشرعية والعقلية ، والواقعية التي ينتضح من خلالها بطلان الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي أو ترك الطاعات .

1. قال الله - تعالى - : { سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ } ¹⁵⁴ فهؤلاء المشركون احتجوا بالقدر على شركهم ، ولو كان احتجاجهم مقبولاً صحيحاً ما أذاقهم الله بأسه .

2- قال تعالى : { رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا } ¹⁵⁵

فلو كان الاحتجاج بالقدر على المعاصي سائغاً لما كان هناك داع لأرسال الرسل .

3- أن الله أمر العبد ونهاه ، ولم يكلفه إلا ما يستطيع ، قال . تعالى . : { فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ } ¹⁵⁶ ، وقال : { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } ¹⁵⁷ .

ولو كان العبد مجبراً على الفعل لكان مكلفاً بما لا يستطيع الخلاص منه ، وهذا باطل ، ولذلك إذا وقعت منه المعصية بجهل ، أو إكراه ، فلا إثم عليه لأنه معذور .

4. أن القدر سر مكتوم ، لا يعلمه أحد من الخلق إلا بعد وقوعه ، وإرادة العبد لما يفعله سابقة لفعله ، فتكون إرادته للفعل غير مبنية على علم بقدر الله ، فادعاؤه أن الله قدر عليه كذا وكذا ادعاء باطل ؛ لأنه ادعاء لعلم الغيب ، والغيب لا يعلمه إلا الله ، فحجته إذاً داحضة ؛ إذ لا حجة للمرء فيما لا يعلمه .

5. أننا لو سلمنا للمحتج بالقدر على الذنوب لعطلنا الشرائع .

¹⁵³ مجموع الفتاوى (179/8) ، وانظر : اقتضاء الصراط المستقيم (2 / 858-859) .

¹⁵⁴ سورة الأنعام ، الآية : 148 .

¹⁵⁵ سورة النساء ، الآية : 165 .

¹⁵⁶ سورة التغابن ، الآية : 16 .

¹⁵⁷ سورة البقرة ، الآية : 286 .

6. لو كان الاحتجاج بالقدر . على هذا النحو . حجة لقبول من إبليس الذي قال : { قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ }¹⁵⁸ .

7. ولو كان حجة هؤلاء مقبولة . أيضاً . لتساوى فرعون عدو الله ، مع موسى كليم الله . عليه السلام . .

8. الاحتجاج بالقدر على الذنوب والمعائب تصحيح لمذهب الكفار ، وهذا لازم لهذا المحتج ، لا ينفك عنه .

9. ولو كان حجة لا حتج به أهل النار ، إذا عاينوها ، وظنوا أنهم واقعوها ، كذلك إذا دخلوها ، وبدأ توبيخهم وتقريعهم ، هل يحتجون بالقدر على معاصيهم وكفرهم ؟

الجواب : لا ؛ بل إنهم يقولون كما قال . عز وجل . عنهم : { رَبَّنَا أَخْرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ }¹⁵⁹ ، ويقولون : (ربنا غلبت علينا شقوتنا)¹⁶⁰ ، وقالوا : { لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ }¹⁶¹ ، وقالوا : { قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ }¹⁶² ، إلى غير ذلك مما يقولون .

ولو كان الاحتجاج بالقدر على المعاصي سائغاً لا حتجوا به ؛ فهم بأمس الحاجة إلى ما ينقذهم من نار جهنم .

10 . ومما يرد هذا القول . أيضاً . أننا نرى الإنسان يحرص على ما يلائمه في أمور دنياه حتى يدركه ، ولا يعدل عنه إلى ما لا يلائمه ثم يحتج على عدوله بالقدر .

فلماذا يعدل عما ينفعه في أمور دينه إلى ما يضره ثم يحتج بالقدر ؟!

وإليك مثلاً يوضح ذلك : لو أراد إنسان السفر إلى بلد ، وهذا البلد له طريقان ، أحدهما آمن مطمئن ، والآخر كله فوضى واضطراب ، وقتل ، وسلب ، فأيهما سيسلك ؟

لاشك أنه سيسلك الطريق الأول ، فلماذا لا يسلك في أمر الآخرة طريق الجنة دون طريق النار ؟

11 . ومما يمكن أن يُرد به على هذا المحتج . بناء على مذهبه . أن يقال له : لا تتزوج ، فإن كان الله قد قضى لك بولد فسيأتيك ، وإلا فلن يأتيك ، ولا تأكل ولا تشرب ، فإن قدر الله لك شبعاً ورياً فسيكون ، وإلا فلن يكون ، وإذا هاجمك سبع ضار فلا تفر منه ، فإن قدر الله لك النجاة فستنجو ، وإن لم يقدرها لك فلن ينفعك الفرار ، وإذا مرضت فلا تتداو ، فإن قدر الله لك شفاءً شفيت ، وإلا فلن ينفعك الدواء .

¹⁵⁸ سورة الأعراف ، الآية : 16 .

¹⁵⁹ سورة إبراهيم ، الآية : 44 .

¹⁶⁰ سورة المؤمنون ، الآية : 106 .

¹⁶¹ سورة الملك ، الآية : 10 .

¹⁶² سورة المدثر ، الآية : 43 .

فهل سيوافقنا على هذا القول أم لا ؟ إن وافقنا علمنا فساد عقله ، وإن خالفنا علمنا فساد قوله ، وبطلان حجته .

12 . المحتج بالقدر على المعاصي شبه نفسه بالمجانين ، والصبيان ، فهم غير مكلفين ، ولا مؤاخذين ، ولو عومل معاملتهم في أمور الدنيا لما رضي .

13 . لو قبلنا هذا الاحتجاج الباطل لما كان هناك حاجة للإستغفار ، والتوبة ، والدعاء ، والجهاد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

14 . لو كان القدر حجة على المعائب والذنوب لتعطلت مصالح الناس ، ولعمت الفوضى ، ولما كان هناك داع للحدود ، والتعزيرات ، والجزاءات ، لأن المسيء سيحتج مع القدر ، ولما احتجنا لوضع عقوبات للظلمة ، وقطاع الطريق ، ولا إلى فتح المحاكم ، ونصب القضاء ، بحجة أن كل ما وقع إنما وقع بقدر الله ، وهذا لا يقول به عاقل .

15 . أن هذا المحتج بالقدر الذي يقول : لا نؤاخذ ، لأن الله كتب ذلك علينا ، فكيف نؤاخذ بما كتب علينا ؟

يقال له : إنما لا نؤاخذ على الكتابة السابقة ، إنما نؤاخذ بما فعلناه ، وكسبناه ، فلسنا مأمورين بما قدره الله لنا ، أو كتبه علينا ، وإنما نحن مأمورين بالقيام بما يأمرنا به ، فهناك فرق بين ما أريد بنا ، وما أريد منا ، فما أراد طواه عنا ، وما أراد منا أمرنا بالقيام به .

ومما تجدر الإشارة إليه أن احتجاج كثير من هؤلاء ليس ناتجاً عن قناعة وإيمان ، وإنما هو ناتج عن نوع هوى ومعاندة ، ولهذا قال بعض العلماء فيمن هذا شأنه : " أنت عند الطاعة قدري ، وعند المعصية جبري ، أي مذهب وافق هواك تمذهبت به " ¹⁶³ .

يعني أنه إذا فعل الطاعة نسب ذلك نفسه ، وأنكر أن يكون الله قدر ذلك له ، وإذا فعل المعصية احتج بالقدر .

وبالجملة فإن الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي ، أو ترك الطاعات احتجاج باطل في الشرع ، والعقل ، والواقع .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية . رحمه الله . عن المحتجين بالقدر : " هؤلاء القوم إذا أصروا على هذا الاعتقاد كانوا أكفر من اليهود والنصارى " ¹⁶⁴ .

متى يسوغ الاحتجاج بالقدر ؟

¹⁶³ مجموع الفتاوى (8 / 107) .

¹⁶⁴ مجموع الفتاوى (262/8) .

يسوغ الاحتجاج بالقدر عند المصائب التي تحل بالإنسان كالفقر ، والمرض ، وفقد القريب ، وتلف الزرع ، وخسارة المال ، وقتل الخطأ ، ونحو ذلك ؛ فهذا من تمام الرضا بالله رباً ، فالاحتجاج إنما يكون على المصائب ، لا المعائب ، " فالسعيد يستغفر من المعائب ، ويصبر على المصائب ، كما قال . تعالى . { فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ }¹⁶⁵ . والشقي يجزع عند المصائب ، ويحتج بالقدر على المعائب " ¹⁶⁶ .

ويوضح ذلك المثل الآتي : لو أن رجلاً قتل آخر عن طريق الخطأ ، ثم لومه من لومه ، واحتج القاتل بالقدر ، لكان احتجاجه مقبولاً ، ولا يمنع ذلك من أن يؤخذ .

ولو قتل رجلٌ رجلاً عن طريق العمد ثم قُرع القاتل ووُئخ على ذلك ، ثم احتج بالقدر ، لم يكن الاحتجاج منه مقبولاً ؛ ولهذا حج آدم موسى . عليهما السلام . كما في قولهم صلى الله عليه وسلم في محاجتهما : " احتج آدم وموسى فقال له موسى : أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة ؟ فقال له آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ، ثم تلومني على أمر قد قدر علي قبل أن أخلق ؟ فحج آدم موسى " ¹⁶⁷ .

فآدم . عليه السلام . لم يحتج بالقدر على الذنب كما يظن ذلك بعض الطوائف ، وموسى . عليه السلام . لم يلم آدم على الذنب ؛ لأنه يعلم أن آدم استغفر ربه وتاب ، فاجتباه ربه ، وتاب عليه ، وهده ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له .

ولو أن موسى لام آدم على الذنب لأجابه : إنني أذنبت فتبت ، فتاب الله علي ، ولقال له : أنت يا موسى . أيضاً قتلت نفساً ، وألقيت الألواح إلى غير ذلك ، إنما احتج موسى بالمصيبة فحجه آدم بالقدر . ¹⁶⁸ .

" فما قدر من المصائب يجب الاستسلام له ؛ فإنه من تمام الرضا بالله رباً ، أما الذنوب فليس لأحد أن يذنب ، وإذا أذنب فعليه أن يستغفر ويتوب ، فيتوب من المعائب ويصبر على المصائب " ¹⁶⁹ .
وممن يسوغ له الإحتجاج بالقدر التائب من الذنب ، فلولومه أحد على ذنب تاب منه لساغ له أن يحتج بالقدر .

¹⁶⁵ سورة غافر ، الآية :55.

¹⁶⁶ مجموعة الفتاوى (454/8) ، وانظر : اقتضاء الصراط المستقيم (858 857/2) .

¹⁶⁷ أخرجه مسلم ، في كتاب القدر (50/8) برقم (2652) .

¹⁶⁸ انظر : مجموعة الفتاوى (178/8) ، ومنهاج السنة (81.78/3) ، والاحتجاج بالقدر لابن تيمية ص(22.18) والفرقان لشيخ الإسلام (ص103.105) والآداب الشرعية لابن مفلح (260.258/1) ، والبداية والنهاية لابن كثير (87.83/1) .

¹⁶⁹ شرح الطحاوية ص147 ، وانظر : الفتاوى الكبرى لابن تيمية (163 /5) ، والتدمرية ص(231) ، وانظر : المسائل التي لخصها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب من فتاوى ابن تيمية ص (34) .

فلو قيل لأحد التائبين : لم فعلت كذا وكذا ؟ ثم قال : هذا بقضاء الله وقدره ، وأنا تبت واستغفر ، لُقيل منه ذلك الاحتجاج¹⁷⁰ .

ثم إنه لا يسوغ لأحد أن يلوم التائب من الذنب ، فالعبرة بكمال النهاية ، لا بنقص البداية) .

الماركسيون جبريون :

وليُعلم . بعد هذا . أن الماركسيون الذين يدين (هشام العابر!) بدينهم هم من الجبريين في مسألة القدر ، ولهذا رأينا (هشام العابر)¹⁷¹ الماركسي ينصر هذا المذهب .

يقول الاستاذ أنور الجندي : (كل الدعوات الفلسفية الحديثة المادية الاتجاه : من الدارونية إلى الماركسية تُسقط الإرادة الحرة ، وتُعلن الجبرية)¹⁷² .

تركي الحمد يتنقص في ثلاثيته : الله وملائكته وكتبه ورسله ودينه وعباده الصالحين

تنقص الحمد الله - عز وجل - :

لم يقدر تركي الحمد الله . عز وجل . حق قدره ولم يعظمه كما يعظمه عباده المؤمنون ، بل تحدث عنه في روايته وكأنه يتحدث عن بشرٍ مثله حديث النذ للند بعبارة مملوءة بالتحدي والسخرية . والعياذ بالله . ، وإن كان قد أخفى أشدها بالأسلوب الرمزي الذي عهدناه من هذا الصنف من البشر عندما يخوضون في مثل هذه الأمور .

فالحمد جاء في روايته بلهجة غريبة شاذة عن أهل هذا المجتمع في حديثهم عن ربهم . سبحانه وتعالى . حيث تجرأ في ذلك بصورة وقحة فاجرة .

¹⁷⁰ انظر : شفاء العليل (ص35) ، وانظر : القضاء والقدر ، لأسعد محمد الصاغري ص(24) ، وتقريب التدمرية لابن عثيمين ص(115) .

¹⁷¹ وهكذا (كمال عبدالجواد) بطل ثلاثية نجيب محفوظ ، جبري لأنه ماركسي ، ونجيب محفوظ يعترف بهذا ويقول كما في (حول الدين والديمقراطية . ص27) : في الماركسية مبادئ إنسانية وعدالة اجتماعية تستحق الإعجاب والاحترام (! . أما تركي فلم يعترف إلى الآن !

¹⁷² الإنسانية إدارة وحرية ومسؤولية (ص13) نقلاً عن القضاء والقدر للشيخ المحمود (ص149) .

وهو مشابه في هذه الجرأة لتيار الحداثة في ديار المسلمين الذين كانوا أول من ترددت هذه الظاهرة (الكفرية) في أشعارهم وأحاديثهم ، حيث لم يتورعوا عن الحديث عن الله . عز وجل . بألفاظ سوقية بشرية ، فمن ذلك على سبيل المثال :

قول صلاح عبد الصبور في قصيدته (الناس في بلادي)

(يا أيها الإله ،

كم أنت قاسٍ موحش

يا أيها الإله)¹⁷³ .

وقول الشاعر (الماركسي) البياتي :

(الله في مدينتي يبيعه اليهود

الله في مدينتي مشرد طريد)¹⁷⁴ !!

وقول معين بسيسو :

(وطرقت جميع الأبواب

أخفتني عاهرة

ووشى بي قديس

كان الله معي

لكن الله هناك

يدلي بشهادته .. في مركز بوليس)¹⁷⁵ !!

وقل توفيق زياد :

(ومداخن الأفراد

قائمة .. كآلهة المنايا)¹⁷⁶ !!

وقول محمود دريش :

(نرسم القدس

إلهً يتعري فوق خطٍ داكن الخضرة

أشباه عصافير تهاجر)¹⁷⁷ !!

¹⁷³ ديوانه (ص3130) .

¹⁷⁴ ديوانه (ص 526) .

¹⁷⁵ ديوان (ص 440) .

¹⁷⁶ ديوانه (ص184) .

¹⁷⁷ ديوانه (ص398) .

وهكذا .. في عبارات (كفرية) كثيرة تتناثر في أشعارهم القذرة¹⁷⁸

وفي ظني أن هذه الظاهرة السيئة قد وفدت إلى ديار المسلمين عبر شعراء اليهود والنصارى وكتابهم ، الذين تُرجمت أشعارهم وعباراتهم وكانت مصدراً رئيسياً لشعراء المسلمين . وأولئك اليهود والنصارى . كما هو معلوم . لا يعظمون الله حق تعظيمه ، ولا ينزهون اسمه عن لغوهم وباطلهم .

وسبب ذلك . والعلم عند الله . هو تأثيرهم بما جاء في كتبهم الدينية المحرّفة (لا سيما التوراة) عند الحديث عن الله . عز وجل . وصفاته حيث تتحدث تلكم الكتب (المقدسة !) عن الله وصفاته كحديثها عن الخلق وصفاتهم ، فجعلوا (المولى سبحانه وتعالى في صورة بشر حقود ، سريع الغضب ، كثير الندم)¹⁷⁹ .

فمن ذلك قولهم في (سفر التكوين ، الإصحاح الثاني) عن الله . عز وجل . : (وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل ، فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمله ...)¹⁸⁰ !
ومن ذلك إخبارهم عن الله . عز وجل . بأن اليهود عندما تاهوا نزل الله . عز وجل . فهداهم إلى طريق الخروج ! (جاء في سفر الخروج ((وارتحلوا من سكوت ، ونزلوا في إيثام في طرف البرية . وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحب ليهديهم في الطريق ، وليلاً في عمود نار ليضيء لهم ...)¹⁸¹ .
ومن ذلك زعمهم أن الله يبكي ويلطم وجهه . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .¹⁸² وأنه . تعالى . يصارع يعقوب عليه السلام .¹⁸³ !! وأنه . تعالى . اعترف بخطئه أما كبير الأخبار¹⁸⁴ !! وأنه . تعالى . يندم ويحزن وينسى¹⁸⁵ !!

إلى آخر تلك الصفات السيئة التي ألصقتها اليهود . لعنهم الله برب العالمين . سبحانه وتعالى .
يقول الدكتور محمد البار بعد أن ذكر هذه الافتراءات :

(ومما تقدم نخلص إلى أن صفات الله سبحانه وتعالى في التوراة والتلمود ، لا يمكن أن تكون صفات الله خالق الأكوان ومدبرها .. بل لا يمكن أن تكون إلا من صفات أراذل البشر .

¹⁷⁸ انظر لفضح شعراء الحدائث كتاب (الحدائث : مناقشة هادئة لقضية ساخنة) للدكتور محمد خضر عريف . وكتاب (الحدائث في ميزان الإسلام) للشيخ عوض القرني .

¹⁷⁹ ((الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم)) للدكتور محمد البار ، (ص5) .

¹⁸⁰ المصدر السابق (ص21) .

¹⁸¹ المصدر السابق (ص23) .

¹⁸² المصدر السابق (27) .

¹⁸³ المصدر السابق (30) .

¹⁸⁴ المصدر السابق (30)

¹⁸⁵ المصدر السابق (31) .

هذا قليل من كثير من هذه الافتراءات والغناء والكذب ، والتجديف في وصف المولى سبحانه وتعالى .. والتوارة والعهد القديم والتلمود كلها مليئة بهذه الأوصاف المنكرة والسجيا الخبيثة التي لا يمكن أن يوصف بها إلا أخط البشر وأراذلهم ، فكيف يمكن أن يوصف بها المولى سبحانه وتعالى¹⁸⁶ .

وقال الدكتور سعود الخلف . حفظه الله . بعد أن أورد شيئاً من تلكم الأكاذيب :

(فهذه الأمثلة من أوضح الأدلة على التحريف ، فإن الله عز وجل موصوف بصفات الكمال المطلق وكل ما يشعر بالنقص فالله عز وجل منزه عنه ، فتضمن اليهود كتابهم صفات تشعر بوصف الله بصفات لا تليق بمقام الألوهية والربوبية والكمال المطلق ، دليل واضح على التحريف والتبديل إذ لا يمكن أن يتضمن الكتاب الذي نزل من عند الله ما يطعن فيه جل وعلا .

وبأمثال هذه الافتراءات من قبل متقدميهم تجراً متأخروهم على الافتراء على الله ، واعتقادهم أنهم أبناء الله وأحباؤه ، وأن الله لا يعذبهم وفي هذا قول الله عز وجل: { قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ }¹⁸⁷ ¹⁸⁸ .

قلت : فهذه العقيدة الفاسدة قد أخذها كتاب وشعراء أهل الكتاب من كتبهم (المحرفة) فأضحوا يرددونها في نشرهم وأشعارهم دون أي خوف أو وجل من رب العالمين ، لأن كتبهم (المقدسة)! قد جرأتهم على نقل وترديد هذا الاستخفاف والظعن بربهم . عز وجل . وأسقطت هيئته من نفوسهم . ثم جاء من بعدهم (نصارى) العرب¹⁸⁹ فنقلوا تلك العقيدة في كتاباتهم ونظمهم . وعن هؤلاء الكفرة أخذها كتابنا وشعراؤنا الذين (يدعون) الإسلام ، فخاضوا فيها تقليداً لأولئك دون أن يعصمهم عن هذا الخوض المنكر رهبة من الله . عز وجل .

فأصبحنا نسمع ونقرأ عبارات لبعض الشعراء (المسلمين !) تضاهي في كفرها عبارات اليهود والنصارى ، ويندى لها جبين المسلم الموحد ، ويأسى على حال إخوانه الذين تابَعوا الكافرين في طعنهم برب العالمين ، مصداقاً لقولصلى الله عليه وسلم في هذا الصنف " لتبعن سنن الذين كانوا قبلكم حذو القذة بالقذة . حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه " قيل : اليهود والنصارى ؟ قال صلى الله عليه وسلم " فمن ؟ " ¹⁹⁰ أي ليس إلا هم .

وقد دخل شرذمة من كتابنا وشعرائنا هذا الجحر الذي أخبر عنه الرسولصلى الله عليه وسلم بل زادوا عليه بأن طعنوا في خالقهم . عز وجل . متابعة لمن هم شر البرية . كما سبق

¹⁸⁶ . المصدر السابق (41)

¹⁸⁷ سورة آل عمران ، الآية 24.

¹⁸⁸ دراسات في الأديان : اليهودية والنصرانية (ص93) .

¹⁸⁹ كيوسف الخال ، وجورج شحاده ، وجبرا إبراهيم جبرا ، وإيليا حاوي وغيرهم .

¹⁹⁰ أخرجه البخاري ومسلم .

يقول الدكتور أنس داود في كتابه (الاسطورة في الشعر العربي الحديث) :

(لجأ شعراؤها إلى الكتب المقدسة وبخاصة التوراة والإنجيل وقلما استفادوا من القرآن في هذا السبيل ، ربما لأنهم يعيشون في أمة إسلامية لا تستسيغ مثل هذه النظرة الفنية إلى أقدس مقدساتها الدينية ، ولأن الكتاب المقدس كان مصدر استلهام فني في الشعر الأوربي يمثل ما استلهم هؤلاء الشعراء أساطير لأقدمين . ولأن ثمة نسباً . كما نرى . بين كتاب كالتوراة ومجموعات الأساطير المتوارثة في قوة تصويرها لنوازع الإنسان ، وتجسيدها للأهواء البشرية حتى حين تتحدث عن الأنبياء لا تتحدث عنهم هذا الحديث المتطهر الذي تجده في القرآن ، بل نجد لديهم فيضاً من الغرائز ، وغلبة للشهوات أحياناً ولجوءاً إلى الحيل والخديعة ، وغير ذلك مما نجده في الحديث عن داود وعن سليمان وغيرهما من الأنبياء مما يقربهم من الشخصيات الأسطورية في نوازعها الجارفة وسلوكها كل مسلك)

قلت : ثم جاء (الحمد) منضمّاً إلى هذا الركب ومتحدثاً في ثلاثيته عن ربه عز وجل بعبارات بشعه لا تصدر عن مؤمن فمن ذلك :

قوله عن هشام : (أراد أن يتحدث مع عارف ، لكنه فقد الرغبة في الحديث . الله ، الحتمية ، الجبرية ، العلم .. كلها أشياء يتعلق بقشة منها . يريد الخروج ، فمن يوفر له ذلك ، فهو الله)¹⁹¹ .

وقوله عنه : (يحس أنه هنا منذ أن حشر الإله الروح في جسد آدم)¹⁹² .

وقوله : (دائماً المستقبل الذي لا يجيء ، والتاريخ الذي لا نعيه ، والله الذي لا نراه ، يقفون وراء كل شيء ، ويبررون كل شيء)¹⁹³ .

وقوله : (واستسلم لحلم يقظة جميل ... تصور نفسه من بني إسرائيل أو سام ، وود لو كان أسيره إلى الأبد . تصور أنه يوشع نفسه ، أو سوبرمان ذاته . قادر على إيقاف الزمن ذاته . لا شيخوخة ولا موت ولا ألم ولا ... تحقيق . تصور أنه الله ذاته ... ولم لا ... ما فرقه عن الحلاج والسهورودي وابن العربي ؟¹⁹⁴ نحن الله والله نحن ... كانت تلك رسالة موسى والمسيح ومحمد ، ولكن أكثر الناس لا يدركون ، فجعلوه ابن الله إنه ذات الله الآن ، فماذا يفعل ؟ هل يجعل الكون أكثر راحة ، وينشر السعادة بين البشر ؟ ولكن ... ما هي السعادة ؟ ! سعادة سقراط أم أفلاطون أم أرسطو أم ديوجين أم أبوقور أم زينون أم كونفوشيوس أم بوذا أم وأم ، وأم ... جملة أمّات لا نهاية لها . كالحياة ذاتها . ثم لو نشر السعادة وقضى على الألم ، فهل يكون للسعادة نقيض الشقاء أو نقيض الألم ، فكيف يمكن إدراك السعادة إذا ختفى الألم ؟ حتى الجنة بدت له عديمة اللذة في تلك اللحظة كما بدت جهنم عديمة الألم . الخمرة لا

¹⁹¹ الكراديب (ص 154) .

¹⁹² الكراديب (213) .

¹⁹³ الكراديب (ص 130) .

¹⁹⁴ الصواب (ابن عربي) بدون (آل) وهو الصوفي الملحد المشهور ، أما (ابن العربي) فهو الفقيه المالكي صاحب كتاب " العواصم " .

تسکر ذاتها ، والجمرة لا تحرق نفسها ... البراز لا يتأذى من رائحة نفسه ، والفعل لا يستمتع بريح ذاته . لا بد من البراز لاكتشاف لذة الفلة ، ولا بد من الفلة لاكتشاف قذارة البراز . ولذلك كان هناك جنة ونار معاً ، الله وشيطان ، نبي وفرعون ، وكل في قدر يسبحون... تحقيق السعادة وحدها ، يعني توحيد الألوان . وعندما تتوحد الألوان ، تختفي ... المعنى في الاختلاف ، والعماء في التجانس . مشكلة ... وجود الحياة بشكلها الحالي مشكلة ... وجعلها أجمل وأحلى وأعدل مشكلة لم لا تكون ذات الحياة هي المشكلة ؟ لو كان ذات الله ، لألغى الحياة ذاتها . لألغى هذه المسرحية المملة ، وصرف ممثليها وألغى تلك الأدوار المقررة المعروفة . لا حرية مع الوجود ، فكل الحرية في العدم ...¹⁹⁵ .

وقوله : (الله أعلم ! مسكين أنت يا الله ... دائماً نُحَمِّلك ما نقوم به من أخطاء)¹⁹⁶ .

وقوله على لسان (الشيعوي) عارف : (إن الانتحار هو تحد للإله نفسه .

ثم وهو يضحك بسرعة :

. هذا إن كان هناك إله ... الانتحار يا صديقي يعني أنني قد اخترت الجحيم ورفضت النعيم بميل إرادتي ... فالنعيم الحق هو ما أختاره أنا ، لا ما يختاره لي ما ليس أنا ... الجحيم هو النعيم حين أختاره أنا ، والنعيم هو الجحيم حينما يختاره غيري لي أنا .

ويضحك عارف مرة أخرى ، ثم يعتدل في جلسته ، وقد اتسعت عيناه ، وبرقت عينه السليمة ،

وقال هو ينظر إلى هشام وقد اكتسى وجهه بعلامات نصر ما :

. الانتحار نصر على الله . ففي الانتحار تفوت الفرصة على الله أن يختار لك مصيرك . فأنت تدخل النار

بإرادتك حين تنتحر وتعلم أن مصيرك هو النار . ليس الله هو من أدخلك النار ، بل أنت من فعل ...

وابتسم هشام وهو يقول :

- ولكن افرض أن الله أدخلك الجنة بالرغم من انتحارك ، ألا يكون قد فوت عليك الفرصة واختار لك

بالرغم منك ؟

وضحك عارف بحبور وهو يقول :

- كلا ... فإذا دخلت النار فيإرادتي ، وإذا أدخلني الله الجنة فأكون قد فرضت إرادتي عليه ... لقد

توعدني بالنار فيما لو انتحرت ، ولكنه أدخلني الجنة برغم الوعيد . لقد فرضت إرادتي عليه ، وجعلته

يغير وعيده ، لقد أصبحت نداً له . أبعد هذا الانتصار انتصاراً؟ ...

. ولماذا لا يكون هو قَدَّرَ عليك الاختيار منذ البدء ؟

. أكون قد فضحت اللعبة كلها حينذاك .

¹⁹⁵ الكرايب (ص 137-138) .

¹⁹⁶ الكرايب (ص 62) .

وعاد عارف إلى الاسترخاء وهو يردد :
. الانتحار هو النصر النهائي على كافة أشكال السلطة وأنواعها¹⁹⁷ .

الحمد يمتن لفظ (العبادة) :

ومن تنقصه لخالقه . عز وجل . أنه امتن لفظ (العبادة) وجعلها في غير موضعها ، وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، وإنما جعلها في عبادة البشر بعضهم لبعض .
حيث قال على لسان (عشيقته !) سوّير :
(أنا أعبدك يا هشام ، والعبد لا يشرك مع معبوده شيئاً .
وبدون هدف أو غاية أوقصد قال بشيء من المزاح ، وقد أحس بالزهو يسيطر عليه من الداخل :
. ولكن الشرك لا يكون إلا بالله . هو المعبود الوحيد .
وكنمة متوحشة ، نظرت إليه بعينيها المبللتين ، وقد زادت اتساعاً على اتساعهما ، وهي تقول :
. إذا أنت ربي ... ترحمني وتعذبي . وكل شيء منك مقبول ومحمود .
ولم يستطع الإحتمال فعلاً ، فقال بتلقائية :
. أستغفر الله العظيم ... أستغفر الله العظيم .

ردّد ذلك وشعور من الزهو وشيء لا يعرفه ، أشبه ما يكون بالذنب ، يمتزجان في داخله . كانت يدها قابضة على يده ، فمدّ يده الأخرى وأخذ يربت على خدها ويتحسس بلدّة ، فيما ارتمت هي في أحضانه بعنف ، وأخذت تشمه بصوت مسموع ، وهي تردد :
. أحبّك ... أحبّك يا هشام ... أعشقتك ... أعبدك)¹⁹⁸ .

تنقص عظيم :

ومن تنقصه الله . عز وجل .
قوله متحدثاً عن هشام وهو يحلم في منامه :
(وأخذ يسير على غير هدى في الصحراء ، وقشعريرة البرد تستولي عليه . كل شيء يوحي أنه لا يسير ، رغم أنه يسير . النجوم هي النجوم ، والصحراء والظلام عديمة الأبعاد لا يريد أن تنجلي ، واختفت البداية ، وتلاشت النهاية ، فلا يدري أهو يسير أم يهيه له أنه يسير . ولاح له بصيص نور من بعيد ، وأحس بالفرح الغامر رغم أنه يعلم أنه يحلم . وأخذ يغذ السير ، فيما النور يزداد سطوعاً وتعدد

¹⁹⁷ الكرايب (ص 78.79) .

¹⁹⁸ الشميسي (ص 169) .

ألونه ، أخضر وأحمر و أصفر ، ويتخللها لون أزرق باهت . وأخيراً وصل إلى حيث النور ، ثم فجأة أشرقت الشمس وهي تضحك بشكل هستيري لم تكن ذات الشمس التي يعرف ، فقد كانت شديدة الحرارة عديمة النور ، فرغم سطوعها ، إلا أن الظلام الحالك ما زال سائداً . وأخذ دماغه يغلي من الحرارة الشديدة ، إلا أن جسمه كان يرتعش برداً ، وأخذت النجوم ترسل سهاماً فضية في كل مكان ، حيث تتكسر بصوت أقرب إلى الرنين على صخور لا يراها ، ولكنه يعلم أنها هناك .

وفي خضم كل ذلك ، كانت نسيمات هواء منعش تأتي من واحة وارفة الظلال تبعث منها تلك الأضواء التي رآها من بعيد . كانت محاطة بأسلاك شائكة من كل جوانبها ، فلم يستطع الدخول . وأخذ يحوم حولها ، حتى تبين له الباب من بعيد . أتجه إليه ، وأراد الدخول بعجلة ، إلا أنه في اللحظة تلك ، برز له شخص من حيث لا يدري ، يحمل سوطاً طويلاً ، وملامح غريبة ، فقد كان له وجه ثور ، في رأس وجسم بشريين ، له مخالب في يديه ورجليه أشبه بمخالب الكلب ، وفي مؤخرته يبرز ذيل لولبي أشبه بذيل الخنزير ، استوقفه هذا الكائن وهو يخور قائلاً :

. إلى أين أيها الإنسان ؟

. أريد المأوى والطعام والسلام ... هل هذا كثير ؟

- وهل تعتقد أن الدخول بهذه البساطة ؟ ... الواحة واحتي ، ولا يدخلها إلا من يدفع الثمن . وثنمها بخس جداً ... قبول شروطي .

. واحتك ؟ ... شروطك ؟ ... من أعطاك إياها ؟

. قوتي هي من أعطاني إياها ... إنها لي وحدي .

. القوة لا تصنع حقاً .

. الحاجة أساس الحق .

. ونخر الكائن الغريب ، ثم قال بنفاد صبر :

. قوتي هي الحق هنا ، وإن كنت في شك من ذلك ، فحاول الدخول رغماً عني .

- ولم يجد بداً من الاستسلام ، فقد كانت الحرارة والبرودة والظلام والصحراء لا تطاق ، فقال :

. حسناً ... وما هي شروطك ؟

وافتر وجه الكائن عن بسملة رضا واسعة ، وأخذ اللعب اللزج يسيل من بين أسنانه الضخمة ،

فيما تحول أنفه إلى اللون الأرجواني وهو يقول :

. الآن أصبحت عاقلاً وحكيماً .

ثم استطر :

. ليس لي إلا شرط واحد لا غير ... أن تطيعني في كل ما أمرك به ، ولك أن تتمتع بالماء والهواء والثمار والسلام .

. ياله من سعر باهظ !

. ويالها من ثمار طيبة !

. وإن رفضتُ؟

. ليس لك إلا الصحراء والجوع والعطش وكلاب الطريق .

. ولكنني لا أستغني عن الحرية ...

. ونخر الكائن مرة أخرى وهو يقول :

. الحرية ... ماهي الحرية ؟ مجرد كلمة .

. ولكن في البدء كان الكلمة .

. وما نفع الكلمة مع الجوع والقلق .

. وما نفع الشبع والسكينة مع العبودية ؟

وأخذ الكائن ينخر ويهز سوطه في الهواء ، وهو يقول :

. دعك من هرائك هذا ... أمامك خياران ، إما أن تقبل شرطي وتدخل واحتي ، أو أن تعود إلى الضياع في الصحراء .

وأخذ يفكر في الخيارين وهو يختلس النظرات إلى داخل الواحة لقد كانت مظلمة مثل الصحراء

حوله ، رغم الألوان التي كانت تحيط بها ، وتلك الأضواء التي يراها من هو بعيد ، ولكنها تختفي حالما

يصلها أحدهم . ومن الداخل كانت تتراءى أشباح أهل الواحة رغم الظلام ... وجوه حمراء ، وكروش

منتفخة ، وأعين فقدت بريق الحياة ، وهم يأكلون طوال الوقت . وهيئ له أن وجوههم قد بدأت تتحول

إلى شيء أقرب إلى وجه الكائن الذي يقف أمامه .

. ولكن قل لي ...

قال هشام موجه حديثه للكائن :

. لماذا الظلام دامس في الواحة رغم الألوان والأنوار التي تتراءى من بعيد ؟

وضحك الكائن ، وهو يمتص بعض لعاب سال من جانب فمه ، قال :

. الظلام في كل مكان ، ولكن الطعام هنا فقط .

. ولكنني أرى بصيص نور في الأفق يوحى بانبلاج الفجر في الصحراء ، ولا أرى ذلك البصيص في الواحة

!

. النور مزعج للعين ، ونحن لا نحبه هنا فهو مفسد للسكينة والطمأنينه . ليس ألد وأجمل من هدوء الليل ، وصمت الظلام .

. لم لا تقول إنك أنت من يكره النور ، كي لا ترى أحد وجهك المسخ .
وهناك ثار الكائن ، وأخذ ينخر بشدة ، ورفع السوط في الهواء يريد أن يهوي به على جسد هشام ،
الذي فر من أمامه وهو يقول :

. سأضرب في الصحراء غير آبه بالشقاء ... فلا بد للصحراء من نهاية ، ولا بد لليل من فجر ، ولا بد أني
واجد واحتي مهما طال الزمان ... واحتي سوف تكون بلا سياج ولا ظلام ، ولا أمساخ بشر ... وإن مت
قبل ذلك ، فسوف أموت وأنا حر .

وتابع طريقه إلى عمق الصحراء فيما الشمس توقفت عن ضحكها ، وانكفأت على نفسها ،
والكائن يضحك من بعيد ويقول بصوت كالرعد :

. لن تجد أفضل من واحتي هذه ، كل الواحات مثل واحتي ... سوف تعود إلى مهما طال بكل التجوال ،
طالباً الصفح والغفران ، مستجدياً أن أقبلك عبداً من عبيدي ، وساعتئذ ... ستعرف من أنا .
وصاح هشام من بعيد :

. كلا ... كلا لن أعود إلى واحتك إلا بعد أن يشرق فيها النور ويخلع السياج وتعود إلى الناس وجوههم .
وابتلعته الصحراء ، وقهقهة الكائن تدوي وراءه كالرعد ، والشمس عادت إلى ضحكها وحرقتها ،
ولكنه يسير وهو يرى خيوط الفجر من بعيد)¹⁹⁹ .

قلت : تأمل . أخي المسلم . هذا الحلم الذي صاغه الحمد على لسان هشام جيداً ، ثم تساءل
معي كما تساءلت :

. ماهي هذه الواحة المحاطة بالأسلاك الشائكة ؟

. من هو هذا الشخص (البشع !) الذي ساومه هشام على دخول الواحة ؟

لقد صاغ الحمد فكرته التي يريد إيصالها للقارئ بأسلوب رمزي شأنه في ذلك شأن أهل الرمزية
الذين يروجون لفكرهم بتلك العبارات الغامضة خوفاً من عاقبة التصريح (بالكفر) لا سيما في ديار
التوحيد . وقد تابع الحمد هنا (شيخه) نجيب محفوظ في كفره عندما تحدث في روايته الشهيرة (أولاد
حارتنا) عن الله . عز وجل . وعن أنبيائه بأسلوب رمزي²⁰⁰ قاء من خلال بما يحمله قلبه من كفر وحققد
تجاه رب العالمين . تبارك وتعالى . وتجاه أنبيائه . عليهم الصلاة والسلام .

¹⁹⁹ الكراديب (ص 22 ، 26) .

²⁰⁰ حيث رمز إلى الله . عز وجل . بالجبلاوي ، وإلى آدم عليه السلام بأدهم ، وإلى موسى عليه السلام بجبل ، وإلى عيسى عليه السلام برفاعة ، وإلى محمد ﷺ بقاسم ، إلى (العلم
(الذي يدعو إليه نجيب محفوظ بديلاً عن الدين ! بعرفة . انظر : (دراسة المضمون الروائي في أولاد حارتنا) لعبد الله المهنا .

فجاء الحمد يهرع من ورائه مستعرضاً قدراته في (تمرير) كفرياته في مثل هذا الحلم .
فالشخص البشع في نظر الحمد . هو الله . عز وجل ، وتعالى عن قول الحمد علواً كبيراً . !!
والواحة المحاطة بالأسلاك الشائكة هي الجنة وما فيها من سعادة واطمئنان .
فالحمد يريد أن يقول لنا بأن من أراد دخول الجنة فليلتزم بعبودية الله . عز وجل . وطاعة أوامره ،
وأما من أنف من هذه العبودية واختار الحرية ! كما يزعم الحمد فلا بد أن يزهد في هذه الجنة (أو
الواحة) ويضرب في أعماق الصحراء لعله يجد مصدراً آخر للسعادة لا تكون ضريبته فقدان الحرية !
وقد اختار الحمد الطريق الثاني وهو الاستنكاف عن عبادته سبحانه وتعالى ، وقد قال تعالى في
كتابه الحكيم عن هذا الصنف من البشر : { وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ
جَمِيعًا (172) فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ
اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا }²⁰¹ .
فمن استنكف عن عبادة الله وفرَّ منها طالباً الحرية كما يزعم ! فإنه لن يجد من دون الله ولياً ولا
نصيراً ، فالمرد . وإن طال الزمان . إلى الله الذي : { إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ }²⁰² .
ونحن نقول للحمد : من لم يرض بعبادة الله سبحانه وتعالى فإنه لا شك سيعبد غيره لأن الإنسان
لا يخرج عن العبودية بأي حال . فمن لم يعبد الرحمن عبد الهوى والشيطان ، ولذلك قال تعالى :
{ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ }²⁰³ .
قال ابن كثير : (أي إنما يأتى بهواه ، فما رآه حسناً فعله ، وما رآه قبيحاً تركه)²⁰⁴ .
فهو وإن ادعى أنه قد ترفع عن (عبودية) الله المستحق لها فإنه قد جعل تلك العبودية في غير
محلها باتخاذ إلهه هواه .
وقال تعالى { أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي ءَادَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ }²⁰⁵ .
فمن لم يعبد الله عبد الشيطان ، وعبادته . أي الشيطان . تكون باتخاذ الشيطان نفسه إليها²⁰⁶ ،
أو بعبادة ما يزين عبادته من الأصنام والأحجار والصور و... الخ ، حتى وصل باتباع الشيطان أن يعبدوا
فرج المرأة . والعياذ بالله .
الحاصل : أن من تكبر عن عبادة الله أذله الله بأن صيره عبداً لهوى أو شيطان أو مخلوق مثله .

²⁰¹ سورة النساء ، الآيات : 172-173 .

²⁰² سورة الأنعام ، الآية 72 .

²⁰³ سورة الجاثية ، الآية 23 .

²⁰⁴ تفسير ابن كثير (4 / 162)

²⁰⁵ سورة يس ، الآية : 60 .

²⁰⁶ كعبدة الشيطان الذين ظهر أمرهم قريباً .

قال ابن القيم . رحمه الله . : (وكذلك من رفه بدنه وعرضه وآثر راحته على التعب لله وفي سبيله ، أتعبه الله سبحانه أضعاف ذلك في غير سبيله ومرضاته ، وهذا أمر يعرفه الناس بالتجارب .

قال أبو حازم : " لما يلقى الذي لا يتقي الله من معالجة الخلق أعظم مما يلقى الذي يتقي الله من معالجة التقوى "

واعتبر ذلك بحال إبليس . فإنه امتنع من السجود لآدم فراراً أن يخضع له ويذل ، وطلب إعزاز نفسه ، فصيره الله أذل الأذلين ، وجعله خادماً لأهل الفسوق والفجور من ذريته ، فلم يرضى بالسجود له ، ورضي أن يخدم هو وبنوه فساق ذريته .

وكذلك عباد الأصنام ، أنفوا أن يتبعوا رسولاً من البشر ، وأن يعبدوا إلهاً واحداً سبحانه ، ورضوا أن يعبدوا آلهة من الأحجار .

وكذلك كل من امتنع أن يذل لله ، أو يبذل ماله في مرضاته ، أو يتعب نفسه وبدنه في طاعته ، لا بد أن يذل لمن لا يسوى ، ويبذل له ماله ، ويتعب نفسه وبدنه في طاعته ومرضاته ، عقوبة له ، كما قال بعض السلف " من امتنع أن يمشي مع أخيه خطوات في حاجته أمشاه الله تعالى أكثر منها في غير طاعته "

(" 207

وقال . رحمه الله . مبيناً أهمية عبادة الله وحده للعبد :

(اعلم أن حاجة العبد أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً في محبته ولا في خوفه ولا في رجائه ، ولا في التوكل عليه ، ولا في العمل له ، ولا في الحلف به ، ولا في النذر له ، ولا في الخضوع له ، ولا في التذلل والتعظيم والسجود والتقرب ؛ أعظم من حاجة الجسد إلى روحه والعين إلى نورها بل ليس لهذه الحاجة نظير تقاس به ، فإن حقيقة العبد روحه وقلبه ولا صلاح لها إلا بإلهها الذي لا إله إلا هو ، فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره ، وهي كادحة إليه كدحاً فملاقيته ، ولا بد لها من لقائه ، ولا صلاح لها إلا بمحبتها وعبوديتها له ورضاه وإكرامه لها ، ولو حصل للعبد من اللذات والسرور بغير الله ما حصل لم يدم له ذلك ، بل ينتقل من نوع إلى نوع ومن شخص إلى شخص ويتنعم بهذا في وقت ثم يعذب ولا بد في وقت آخر ، وكثيراً ما يكون ذلك الذي يتنعم به ويلتذ به غير منعم له ولا ملذ بل قد يؤذيه اتصاله به ووجوده عنده ويضره ذلك . وإنما يحصل له بملاسته من جنس ما يحصل للجرب من لذة الأظفار التي تحكه ، فهي تدمي الجلد وتخرقه وتزيد في ضرره ، وهو يؤثر ذلك لما له في حكها من اللذة ، وهكذا ما يتعذب به القلب من محبة غير الله هو عذاب عليه ومضرة وألم في الحقيقة لا تزيد لذته

²⁰⁷ إغاثة اللفهان (2 / 194 . 195) وقد قال . رحمه الله . في نونيته عن مدعي الحرية !

فروا من الرق الذي خلقوا له

وبلوا برق النفس والشيطان

على لذة حك الجرب ، والعقل يوازن بين الأمرين ويؤثر أرجحهما وأنفعهما ، والله الموفق المعين ، وله الحجة البالغة كما له النعمة السابعة²⁰⁸ .

وقال شيخ الإسلام . رحمه الله . مفصلاً هذا المعنى :

(" العباداة " هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه : من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ، فالصلاة والزكاة ، والصيام ، والحج ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وبر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والوفاء بالعهود ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . والجهاد للكفار والمنافقين ، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم . والدعاء والذكر والقراءة ، وأمثال ذلك من العباداة .

وكذلك حب الله ورسوله ، وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له والصبر لحكمه ، والشكر لنعمة ، والرضا بقضائه ، والتوكل عليه ، والرجاء لرحمته ، والخوف لعذابه ، وأمثال ذلك هي من العباداة لله .

وذلك أن العباداة لله هي الغاية المحبوبة له والمرضية له ، التي خلق الخلق لها ، كما قال تعالى : { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } وبها أرسل جميع الرسل كما قال نوح لقومه : { اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } .

وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم لقومهم وقال تعالى : { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ }²⁰⁹ وقال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ }²¹⁰ وقال تعالى وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون (²¹¹ كم قال في الآية الأخرى { يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ }²¹² وجعل ذلك لازماً لرسوله إلى الموت كما قال { وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ }²¹³ .

وبذلك وصف ملائكته وأنبياءه فقال تعالى : { وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (19) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ }²¹⁴ وقال { إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ }²¹⁵ وذم المستكبرين عنها بقوله : { وَقَالَ رَبُّكُمْ

²⁰⁸ طريق المجرئين (ص 103 . 104) .

²⁰⁹ سورة النحل ، والآية : 36 .

²¹⁰ سورة يوسف ، الآية : 109 .

²¹¹ سورة الأنبياء ، الآية : 92 .

²¹² سورة المؤمنون : الآية 51 .

²¹³ سورة الحجر ، الآية 99 .

²¹⁴ سورة الأنبياء ، الآية 20 .

²¹⁵ سورة الأعراف ، الآية 206 .

ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ²¹⁶ ونعت صفوة خلقه بالعبودية له فقال تعالى : {عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا}²¹⁷ وقال {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا}²¹⁸ الآيات ولما قال الشيطان {قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} قال الله تعالى {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ}²¹⁹.

وقال في وصف الملائكة بذلك : {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (26) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ} إلى قوله {وَهُمْ مِنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ}²²⁰. وقال تعالى : {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (88) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (89) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (90) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (91) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (92) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (93) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (94) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا}²²¹.

وقال تعالى عن المسيح . الذي ادعت فيه الإلهية والنبوة { إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ }²²² ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : ((لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم وإنما أنا عبد فقولوا : عبد الله ورسوله)²²³.

وقد نعته الله " بالعبودية " في أكمل أحواله فقال في الإسراء : سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا {²²⁴ قال في الإيحاء : { فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ }²²⁵. وقال في الدعوة : { وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا }²²⁶. وقال في التحدي : { وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ }²²⁷. فالدين كله داخل في العبادة .

وقد ثبت في الصحيح²²⁸ أن جبريل لما جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم في صورة أعرابي وسأله عن الإسلام قال : " أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً " . قال : فما الإيمان ؟ قال : " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت وتؤمن بالقدر خيره وشره " . قال : فما الإحسان ؟ قال : " أن

²¹⁶ سورة غافر ، الآية 60 .

²¹⁷ سورة الأنسان ، الآية 6

²¹⁸ سورة الفرقان ، الآية 63

²¹⁹ سورة الحجر ، الآيات ، 39 ، 40 .

²²⁰ سورة الحجر ، الآية 42 .

²²¹ سورة مريم ، الآيات 88 ، 95 .

²²² سورة الزخرف ، الآية : 59 .

²²³ أخرجه البخاري ومسلم .

²²⁴ سورة الإسراء ، الآية ، 1 .

²²⁵ سورة النجم ، الآية : 10 .

²²⁶ سورة الجن ، الآية : 19 .

²²⁷ سورة البقرة ، الآية : 23 .

²²⁸ أخرجه البخاري ومسلم .

تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك " ثم قال في آخر الحديث " هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم " فجعل هذا كله من الدين .

" والذين " يتضمن معنى الخضوع والذل . يقال : دنته فدان أي : ذلته فذل ويقال يدين الله ، ويدين الله أي : يعبد الله ويطيعه ويخشع له ، فدين الله عبادته وطاعته والخضوع له .
و" العبادة " أصل معناها الذل أيضاً ، يقال طريق معبد إذا كان مذلاً قد وطئته الأقدام .

لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب ، فهي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له ، فإن آخر مراتب الحب هو " التميم " وأوله " العلاقة " لتعلق القلب بالمحبوب ، ثم " الصباية " لانصباب القلب إليه ، ثم " الغرام " وهو الحب اللازم للقلب ، ثم " العشق " وآخرها " التميم " يقال : تيم الله أي : عبد الله ، فالتميم المعبد لمحبيه .

ومن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابداً له ، ولو أحب شيئاً ولم يخضع له لم يكن عابداً له ، كما قد يحب ولده وصديقه ، ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى ، بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء ، وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء ، بل لا يستحق المحبة والذل التام إلا الله .

وكل ما أحب لغير الله فمحبتته فاسدة ، وما عظم بغير أمر الله كان تعظيمه باطلاً ، قال الله تعالى :
{ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ }²²⁹ ، فجنس المحبة تكون لله ورسوله ، كالطاعة فإن الطاعة لله ورسوله (230

قلت : وأما ادعاء الحمد بأن عبودية الله وجنته ليس فيها نور ، وإنما النور والفجر ! في حريته (المزعومة) فهو من تلبس الشيطان عليه ، ومن انتكاس قلبه حتى أصبح يبصر الأشياء على خلاف حقيقتها فغدا النور عنده ظلاماً ، والظلمة نوراً ، وهذا حال أهل الباطل الذين يرون باطلهم حقاً والحق باطلاً منذ العهود القديمة . ولا أملك أن أقول للحمد في هذا المقام إلا ما قاله ابن القيم . رحمه الله . : (فأهل الأرض كلهم في ظلمات الجهل والبغي إلا من أشرق عليه نور النبوة ، كما في المسند وغيره من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن الله خلق خلقه في ظلمة وألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل " ²³¹ فكذلك أقول : ولذلك بعث الله رسوله ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور ، فمن أجابهم خرج إلى الفضاء والنور ، ومن لم يجبهم بقي في

²²⁹ سورة التوبة ، الآية : 24 .

²³⁰ الفتاوي (10/ 153) .

²³¹ أخرجه الإمام أحمد في مسنده : (197 . 176/2) ، وأخرجه الترمذي في كتاب الإيمان : (ص18) .

الضيق والظلمة التي خلق فيها ، وهي ظلمة الطبع وظلمة الجهل والهوى وظلمة الغفلة عن نفسه وكمالها وما تسعد به في معاشها ومعادها .

فهذه كلها ظلمات ، خلق فيها العبد ، فبعث الله رسوله لإخراجه منها إلى نور العلم والمعرفة والإيمان والهدى الذي لا سعادة للنفس بدونه البته . فمن أخطأه هذا النور أخطأه حظه وكماله وسعادته ، وصار يتقلب في ظلمات بعضها فوق بعض ، فمدخله ظلمة ومخرجه ظلمة وقوله ظلمة وعمله ظلمة وقصده ظلمة ، وهو متخبط في ظلمات طبعه وهواه وجهله ، ووجهه مظلم وقلبه مظلم ، لأنه مبقى على الظلمة الأصلية ، ولا يناسبه من الأقوال والأعمال والإرادات والعقائد إلا ظلماتها ، فلو أشرق له شيء من نور النبوة لكان بمنزلة إشراق الشمس على بصائر الخفاش .

بصائر غشاها النهار بضوئه

ولاء مها قطع من الليل مظلم

يكاد نور النبوة يلمع تلك الأبصار ، ويخطفها لشدته وضعفها ، فتهرب إلى الظلمات لموافقها لها ، وملاءمتها إياها .

والمؤمن علمه نور وقوله نور ، ومدخله نور ومخرجه نور وقصده نور ، فهو يتقلب في النور في جميع أحواله ، قال الله تعالى : { اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي رُجَاةٍ الرَّجَاةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }²³² [233 .

الحلف بغير الله في روايته :

ومن تنقصه الله . عز وجل . أنه استهان بالحلف بغيره . عز وجل . فذكره في روايته متغافلاً عن قدحه في عقيدة الإنسان وأنه من الشرك الأصغر²³⁴ ، مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: "من خلف بغير الله فقد أشرك"²³⁵ وقال صلى الله عليه وسلم: " من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت²³⁶ .

²³² سورة النور ، الآية : 35 .

²³³ هداية الحيازي (ص591 593) .

²³⁴ قال الشيخ ابن باز -رحمه الله-: [الحلف بغير الله من الشرك الأصغر .. ، وقد يكون شركاً أكبر إذا قام بقلب الحالف أن هذا مخلوف به يستحق التعظيم كما يستحقه الله] .

(فتاوى ابن باز . 2 / 727 . ط دار الوطن .

²³⁵ أخرجه أبو داود والترمذي . قال الشيخ ابن باز في فتاوه السابقة [بإسناد صحيح] .

²³⁶ أخرجه البخاري ومسلم .

قال الحمد على لسان عبد الرحمن مخاطباً ابن عمته هشام (أخبره أن ما يشعر به شيء طبيعي لشخص يشرب لأول مرة ، وأنه سوف يعتاد الشراب ولن يفعل به شيئاً بعد ذلك . إلا أن هشام صاح : " أول وآخر مرة ورأس أبوك ... ")²³⁷ .

الحمد يعتقد أن الله في كل مكان !!!

ومن طوام تركي الحمد في روايته أنه _ وهو الذي درس عقيدة السلف في بلاد التوحيد _ يعتقد عقيدة الأشاعرة في أن الله موجود في كل مكان !!! وهذا من الأمور التي مرت علي أثناء دراستي لثلاثيته . مما جعلني أفكر كثيراً في كيفية تسرب هذه البدعة الغربية على بلادنا إلى ذهن الحمد وروايته ، ثم اكتشفت أنه قد نقلها . بعباء . من ثلاثية نجيب محفوظ ، دون أي تفكير بمدى صحتها !!! وهذا من الأدلة على أن الحمد مجرد بعباء لنجيب محفوظ يردد ما يقوله في ثلاثيته ولو كان مخالفاً للنقل والعقل كهذه المسألة .

قال الحمد متحدثاً عن والد هشام :

(وضحك أبوه إحدى ضحكاته النادرة ، ثم عاد إلى وقاره وهدوئه المعتادين وهو يقول بحزم : اسمع يا ولدي ... إن الله موجود في كل مكان ، والتقوى في النية الطيبة والسلوك الطيب مع الناس ، ...)²³⁸

قلت : هذه عقيدة باطلة يدين بها متأخرو الأشاعرة ، والذي عليه سلف الأمة أن الله على عرشه فوق سماواته ، كما قال تعالى : { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى }²³⁹ وقال : { ءَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ }²⁴⁰ وقال : { يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ }²⁴¹ ... والأدلة على هذا كثيرة ليس هذا موضع التوسع فيها . فانظرها في كتاب (العلو) للذهبي و (مختصره) للألباني ، و (علو الله على خلقه) للدكتور موسى الدويش ، و (إثبات علو الله ...) للشيخ حمود التويجري . رحمه الله . ، و (الرحمن على العرش استوى) للشيخ عبد الله السبيت ، و (الرحمن على العرش استوى بين التنزيه والتشويه) للدكتور عوض منصور .

أما أن الحمد قد أخذ هذه العقيدة البدعية من نجيب محفوظ فلأن هذا الآخر قد ذكرها في ثلاثيته . التي هي عمدة الحمد . على لسان أحمد عبد الجواد .

²³⁷ الشميسي (ص 45) .

²³⁸ الشميسي (ص 136) .

²³⁹ سورة طه ، الآية : 5 .

²⁴⁰ سورة الملك ، الآية : 16 .

²⁴¹ سورة النحل ، الآية : 50 .

حيث قال له الحمزاوي : (ربنا موجود) فرد عليه أحمد عبد الجواد : (نعم! ومشيراً إلى الجهات الأربع) (في كل مكان)²⁴².

الحمد يرى أن عبودية الله كالأغلال !!

من تنقص الحمد لله عز وجل ، أنه لم يرض بعبوديته ، وإنما أثر عليها (الحرية) كما يدعي ! وهي في حقيقتها ليست (حرية) وإنما (عبودية) من نوع آخر ، إما للهوى أو الشيطان كما سبق . يقول الحمد متحدثاً عن هشام : (وطافت في ذهنه تجربته الدينية العميقة حين ذهب إلى المسجد مع الفجر ، وصلى بعمق غريب ولذيذ لأول مرة في حياته ، بعد تجربته الجسدية مع رقية فقد كانت صلواته السابقة مجرد حركات جسدية لا روح فيها ، ومجاملات اجتماعية بعض الأحيان . ورغم أنه يشعر بالضالة حين يجامل في مثل هذه الأمور ، إلا أنه لا يستطيع إلا أن يجامل ، فالله غفور رحيم ، ولكن عباده لا يعرفون الرحمة والغفران ، لقد أحس بعد تلك التجربة العنيفة بتمزق لم يستطع إحتماله ، فكان بحاجة إلى أب رؤوف رؤوفي يلقي بحمله عليه ... أب ليس ككل الآباء . أب يسامح على الخطأ والخطيئة ، ويأخذ بيده إلى الراحة بعد العذاب ، والصفاء بعد القلق وذاك الوخر المؤلم في الداخل ... ولكن شتان بين حاله مع رقية ، وهذا الانقلاب العجيب في حال عدنان ... كل إنسان يبحث عن أب رحيم قادر ، وأم حنون في الأزمات والملمات ، والكل يبحث عن كتف عطوف قوي يبكي عليه ويلقي عليه بأحماله ، ولكن القليل هو من يريد أن يبقى باكياً على ذلك الكتف ، فهو لذيد حقاً ، ولكن الألد منه أن تخطئ وتصيب فاللذة في وجود نقيضها وليس في مجرد وجودها . شيء لذيد وجميل أن تجد من يكون مسؤولاً عنك طوال الوقت ، ولكن السعر باهظ جداً ... إنه الحرية ذاتها . الطفل وحده من يدفع هذا السعر بالرغم منه ، ولكن من يريد أن يبقى طفلاً طوال الوقت؟! الكل يجد الدفء في حضن الأم ، والقوة في الأب ، ولكن قلة من يريدون البقاء في ذلك الحضن وعلى الكتف ... ويبدو أن عدنان واحد من هؤلاء)²⁴³.

قلت : ومقصوده واضح لا يحتاج إلى إعمال ذهن ، وهو دليل تكبره عن عبادة ربه . كما سبق . وقد قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)²⁴⁴ .

²⁴² بين القصرين (ص 448) .

²⁴³ الشمسي (ص 70 . 71) .

²⁴⁴ سورة غافر ، الآية : 60 .

تنقصه للملائكة الكرام :

أما تنقص الحمد واستخفافه بالملائكة المكرّمين فمن ذلك قوله متحدثاً عن هشام في السجن :
(ثم نظر إلى النافذة ، وتلك النجوم التي تبدى من ورائها على استحياء ، وهو يتصور أن يأتي ملاك رحمة من هنا أو هناك فينقله على جناحيه إلى حيث نسمة هواء طليقة . ولكن حتى الملائكة اختفت في هذه اللحظة ، ويبدو أنها نفسها تخاف الدخول إلى هذا المكان ، وليس إلا الرعب والسكون والانتظار)²⁴⁵!!

قلت : كيف تخاف الملائكة الدخول في هذا المكان أو غيره ، وهي معك أينما سرت . قال تعالى عن الإنسان : (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)²⁴⁶ .
وقال سبحانه : (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ)²⁴⁷ .
وقال تعالى : (أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ)²⁴⁸ .
فالملائكة المكرمون قد خُصَّ بعضهم بأنه لا يفارق الإنسان في جميع أحواله . كما سبق . ولكن الحمد لا يفقه هذا بعد أن اعتاد لسانه على الجرأة عند حديثه عن كل شيء مقدس متأثراً بالكفرة الفجرة . ولا حول ولا قوة إلا بالله . .

تنقص الحمد القرآن :

أما سخريته بالقرآن ، وبآيات الله ، فهو أنه يضعها في غير موضعها ، بأسلوب هازل .
فمن ذلك قوله :
(حانت التفاتة من عبد الرحمن نحو الكيس الذي يحمله هشام ويشد عليه بقوة ، فقال وهو يضحك : " ما تلك بيمينك يا هشام ؟ " وابتسم هشام ...)²⁴⁹ فهو يشير إلى قوله تعالى لموسى . عليه السلام (وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى)²⁵⁰
وقوله : (وهز هشام رأسه وهو يبتسم محيياً ، فيما أخذ الآخرون يتضحكون ويتغامزون فيما بينهم ويقولون : " شَرَّفَتِ الكراديب " " وما منكم إلا واردةا ")²⁵¹ .
وهو يشير إلى قوله تعالى عن النار : (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا)²⁵² .

²⁴⁵ الكراديب (ص 19) .

²⁴⁶ سورة ق ، الآية : 18 .

²⁴⁷ سورة الرعد ، الآية ، 11 .

²⁴⁸ سورة الزخرف ، الآية : 80 .

²⁴⁹ الشمسي (ص 39) .

²⁵⁰ سورة طه ، الآية : 17 .

²⁵¹ الكراديب (ص 37) .

²⁵² سورة مريم ، الآية : 71 .

قلت : لا يجوز أن يُنزل القرآن في غير منزله الذي أراده الله له ، وأن يُستدل به بهذه السخرية

وقد سئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء عن (استعمال بعض آيات القرآن في المزاح ما بين الأصدقاء ؟) فأجبت بأنه (لا يجوز استعمال آيات القرآن في المزاح)²⁵⁴.

بغضه للقرآن :

يقول الحمد متحدثاً عن ذكريات هشام ، وصديقه عدنان : (كانا في الصف الرابع الابتدائي ، وكانت مادتي القرآن الكريم والتجويد أصعب وأبغض المواد عند التلاميذ)²⁵⁵ !!
قلت : أما (أصعب) فقد قال تعالى : (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ)²⁵⁶ .
وأما (أبغض) فهذه التي يريد الحمد ! والسؤال : لماذا كان كلام الله الذي فيه الهدى والنور أبغض المواد ؟! وكان الحب كله للكتب الفلسفية والماركسية و(المحرمة) !
وصدق الله إذ يقول : (وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا)²⁵⁷ .

تنقصه للأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - :

لقد أسرف الحمد على نفسه كثيراً واقتحم لجة من الكفر والضلال عندما تعرض لأنبياء الله تعالى . عليهم الصلاة والسلام . واصفاً إياهم بكل منقصة جرياً وراء أكاذيب اليهود والنصارى التي استولت على ذهنه عند حديثه عنهم . عليهم السلام . فقد نسخت قراءاته لكتب اليهود والنصارى كل تعظيم غرسه القرآن في صدره حول الأنبياء والرسل .

ولنستمع إلى (هرائه) مع التعليق عليه بما تيسر .

قال الحمد على لسان هشام :

(قتل قابيل هايبيل من أجل المرأة ، وخرج آدم من الجنة من أجل المرأة ، وأذنب من أجل المرأة ، وسخر سليمان الجن من أجل المرأة ، وقال رسولنا الكريم²⁵⁸ : " حُبب إليّ من دنياكم الطيب

²⁵³ للسيوطي رسالتان حول هذا الموضوع بعنوان (تنزيه الأغبياء عن تسفيه الأنبياء) و(رفع البأس وكشف الالتباس في ضرب المثل من القرآن والاقتياس) انظرها في (الحاوي)

309/1 و (344/1) . وهي في من اقتبس من القرآن جاداً لا هازلاً .

²⁵⁴ فتاوى اللجنة (4 / 56) .

²⁵⁵ الشميسي (ص 68) .

²⁵⁶ سورة القمر ، الآية : 17 .

²⁵⁷ سورة الإسراء : الآية ، 82 .

والنساء وجُعِلت الصلاة قرّة عيني " ومزامير داود كلها عن المرأة ، وسكر لوط في التوراة من أجل المرأة ، وأبطل المسيح حد اليهود من أجل مريم المجدلية ، وخاف إبراهيم من فرعون مصر من أجل المرأة ، وكانت المرأة وراء مباركة يعقوب بدلاً من عيسو ...)²⁵⁹ .

قلت : لقد تضمن هذا النص من الحمد عدة فتراءات على أنبياء الله . عليهم السلام . حيث لم يتورع . هداه الله . عن متابعة اليهود والنصارى في تليفق التهم والنقائص لخير البشر . عليهم السلام . ولتفنيد ذلك أقول :

. أما قابيل وهابيل فإنهما لم يكونا من الأنبياء هم بشر كغيرهم ، فلا شأن لنا بهما . ومع هذا تركي الحمد لم يذكر إلا قولاً واحداً في قصتهما ولم يذكر القول الثاني .

فهو ألمع إلى القول الأول الذي يفيد بأن قابيل قتل أخاه هابيل بسبب المرأة فقروا أن يتقربا إلى الله بقربان فمن تقبل منه كانت المرأة من نصيبه فتقبل من هابيل ولم يُتقبل من قابيل ، فقام قابيل بقتل هابيل .

والقول الثاني الذي لم يذكره الحمد هو أنهما قررا أن يقوما بتقديم قربان إلى الله . عز وجل . فعمد قابيل إلى أسوأ ماله فقدمه قرباناً ، وعمد هابيل إلى أحسن ماله فقدمه ، فتقبل منه ولم يتقبل من أخاه قابيل ، فحسده قابيل وقام بقتله .

وفي هذا يقول ابن جرير الطبري . رحمه الله . : (عن ابن عباس قال : كان من شأنهما أنه لم يكن مسكين يتصدق عليه وإنما كان القربان يقربه الرجل ، فبينما ابنا آدم قاعدان إذ قالوا : لو قربنا قرباناً ! وكان الرجل إذا قرب قرباناً فرضيه الله عز وجل أرسل إليه ناراً فأكلته ، وإن لم يكن رضيه خبت النار ، فقربا قرباناً . وكان أحدهما رعيّاً وكان الآخر حراثاً ، وإن صاحب الغنم قرب خير غنمه وأسمنها . وقرب الآخر أبغض زرعه ، فجاءت النار فنزلت بينهما ، فأكلت الشاة وتركت الزرع . وإن ابن آدم قال لأخيه : أتمشي في الناس وقد علموا أنك قربت قرباناً فتقبل منك ورد عليّ ؟ فلا والله لا تنظر الناس إلي وإليك وأنت خير مني فقال : لأقتلنك ! فقال أخوه : ما ذنبي ؟ إنما يتقبل الله من المتقين)²⁶⁰ .

قلت : فهذا القول الثاني لم يشر إليه الحمد هو الذي يشهد له القرآن العظيم عندما تحدث عن قصة ابني آدم حيث قال تعالى : (وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (27) لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدَيْ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (28) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (29) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (30)

²⁵⁸ لا لزوم لهذه المخادعة بعد الذي حطته عينك !

²⁵⁹ الكراديب (ص122) .

²⁶⁰ تفسير الطبري (10 / 203 شاكر) .

فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (31) ²⁶¹.

ولذا فقد قال ابن كثير . رحمه الله . بعد سياقه الأثر السابق عن ابن عباس . رضي الله عنهما . : [] فهذا الأثر يقتضي أن تقرب القربان كان لاعتن سبب ولا عن تدارى في امرأة كما تقدم عن جماعة ممن تقدم ذكرهم ، وهو ظاهر القرآن ²⁶² .

قلت : فالحمد لم يسق إلا القول الذي يتماشى مع هواه ، علماً بأن هذه الروايات جميعها لم تصح مرفوعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما هي تنقل عن أهل الكتاب الذين أمرنا بعدم تصديقهم أو تكذيبهم إلا ما عارض شرعنا فإننا نكذبهم فيه . ولا كرامة .

بل إن القرآن والسنة الصحيحة لم تذكر (قابيل وهابيل) وإنما ذكرت بأن القصة حدثت لابني آدم فقط دون تفصيلات . كما في سورة المائدة ، وكما في قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيحين : " لا تُقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كِفْلٌ من دمها ، لأنه أول من سنَّ القتل " .
- أما قول الحمد بأن آدم . عليه السلام . قد خرج من الجنة من أجل المرأة فالذي في القرآن أن (الشيطان) قد وسوس لآدم وحواء جميعاً بالأكل من الشجرة ، وفي آيات أخرى يخبر الله بأن الشيطان قد وسوس لآدم بذلك دون ذكر لحواء .

قال تعالى : وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ²⁶³ .

وقال سبحانه : (قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ (18) وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ) ²⁶⁴

وقال عز وجل : (وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (115) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى) ²⁶⁵ .

فهذه الآيات فيها أن الشيطان وسوس لهما جميعاً (فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ) (فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ) وفي سورة طه أنه وسوس لآدم أولاً (فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ) . فهي تشهد لمن قال بأن الوسوسة كانت لهما

²⁶¹ سورة المائدة ، الآيات : 27-31 .

²⁶² تفسير ابن كثير (2 / 45) .

²⁶³ سورة البقرة ، الآية 35، 36 .

²⁶⁴ سورة الأعراف ، الآية : 18-19 .

²⁶⁵ سورة طه 115 ، 116 .

جميعاً حيث أغراهما الشيطان بنيل الخلد في الجنة وأن يكونا كسائر الملائكة . ولم يذكر فيها أن حواء هي التي أغرت آدم على الأكل من الشجرة كما تقول ذلك الروايات الإسرائيلية . ولهذا قال الشيخ أحمد شاکر . رحمه الله . : (دأب الكتاب والأدباء في عصرنا هذا على فرية أن آدم عليه السلام خدعته حواء حتى أكل من الشجرة ، يصطنعون قول الكاذبين المفترين من أهل الكتاب ، بما حرفوا وكذبوا)²⁶⁶ .

قلت : ولكن من يقول بأن حواء أكلت من الشجرة قبل آدم ، أو أنها سهلت له الأكل منها يستشهد بحديث رواه البخاري في صحيحه ويحمله على هذه القصة ، وهو أنه صلى الله عليه وسلم قال : " لولا حواء لم تكن انثى زوجها " . قال الحافظ ابن حجر في شرحه لهذا الحديث : (وقوله " لم تكن انثى زوجها " فيه إشارة إلى ما وقع من حواء في تزويجها لآدم الأكل من الشجرة حتى وقع في ذلك ، فمعنى خيانتها أنها قبلت ما زين لها إبليس حتى زينته لآدم ، ولما كانت هي أم بنات آدم أشبهتها بالولادة ونزع العرق فلا تكاد امرأة تسلم من خيانة زوجها بالفعل أو بالقول وليس المراد بالخيانة هنا ارتكاب الفواحش حاشا وكلا ولكن لما مالت إلى شهوة النفس من أكل الشجرة وحسنت ذلك لآدم عد ذلك خيانة له ، وأما من جاء بعدها من النساء فخيانة كل واحدة منهن بحسبها ، وقريب من هذا الحديث " جحد آدم فجحدت ذريته " وفي الحديث إشارة إلى تسليية الرجال فيما يقع لهم من نسائهم بما وقع من أمهن الكبرى ، وأن ذلك من طبعهن فلا يفرط في لوم من وقع منها شيء من غير قصد إليه أو على سبيل الدور ، وينبغي لهن أن لا يتمكن بهذا في الاسترسال في هذا النوع بل يضبطن أنفسهن ويجاهدن هواهن ، والله المستعان)²⁶⁷ .

وقال ابن كثير . رحمه الله . : (وكانت حواء أكلت من الشجرة قبل آدم وهي التي حدثه على أكلها ، والله أعلم ، وعليه يحمل الحديث الذي رواه البخاري ...) ثم ذكر الحديث السابق²⁶⁸ .
قلت : ومع هذا فلا يحسن أن يقال بأن آدم خرج من الجنة بسبب المرأة ، وإنما يقال بأنه . عليه السلام . خرج من الجنة بسبب مخالفته لنهي الله . عز وجل . بوسوسة من الشيطان مما ترتب عليه ابتلاؤه وذريته من بعده . وكان هذا قبل أن يتوب الله عليه ، وبصطفية كأول نبي على وجه الأرض .
- أما قول الحمد بأن داود . عليه السلام . أذنب من أجل المرأة فهذا من افتراءه متابعة لأشياخه اليهود الذين افتروا على داود . عليه السلام . في توراتهم المحرفة بأنه عليه السلام قتل أحد قواده بواسطة الخدعة حيث جعله في مقدمة الجيش ، لكي يتزوج بامرأته التي أعجب بها داود . عليه السلام . بعد أن رآها عريانه !!! كما جاء في (سفر صموئيل الثاني ، الاصحاح 11) .

²⁶⁶ عمدة التفسير (1 / 136) .

²⁶⁷ فتح الباري (6 / 424) .

²⁶⁸ البداية والنهاية (1 / 78) .

قلت : وقد تسللت هذه الكذبة الشنيعة من اليهود إلى تفاسير المسلمين عبر الاسرائيليات التي أخذوها منهم دون تمحيص لها .

حيث تذكر هذه القصة المكذوبة في تفسير قوله تعالى : (وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَحَرَّ رَأْيَهُ وَأَنَابَ)²⁶⁹ .

وقد أجاد ابن كثير . رحمه الله . عندما قال عند هذه الآية : (قد ذكر المفسرون ها هنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه)²⁷⁰ ثم ضعف القصة السابقة بأن في سندها (يزيد الرقاشي) أحد الضعفاء في الحديث عند الأئمة .
وقبله قال شيخ الإسلام . رحمه الله . :

(قد عرف كلام اليهود في الأنبياء وعضهم منهم ، كما قالوا في سليمان ما قلوا ، وفي داود ما قالوا)²⁷¹ .

وقال القاضي عياض (لا تلتفت إلى ما سطره الإخباريون من أهل الكتاب ، الذين بدلوا وغيروا ، ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله تعالى على شيء من ذلك في كتابه ، ولا ورد في حديث صحيح) قال : (وليس في قصة داود وأوريا خبر ثابت)²⁷² .

وقال الشيخ محمد أبو شهبه في كتابه (الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير) : (والمحققون ذهبوا إلى ما ذهب إليه القاضي . قال الداودي : ليس في قصة داود وأوريا خبر يثبت ، ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم)²⁷³ .

وقال الدكتور البار بعد أن ذكر هذه القصة المكذوبة : (يالها من جريمة بشعة حقيرة تزعم التوراة (المحرفة) أن داود عليه السلام ارتكبها ، وهو لا يرب منها برئ)²⁷⁴ .

قلت : شتان بين هذه القصة التي تصف نبي الله داود . عليه السلام . بالقتل والمخادعة في سبيل امرأة ، وبين قول الله تعالى عنه (اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (17) إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (18) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ (19) وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضْلَ الْخِطَابِ)²⁷⁵ .

²⁶⁹ سورة ص ، الآية : 24 .

²⁷⁰ تفسير ابن كثير (4 / 34) .

²⁷¹ الفتاوى (15 / 149) .

²⁷² الشفا (2 / 158) .

²⁷³ ص 268 .

²⁷⁴ الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوراة (ص 361) .

²⁷⁵ سورة ص ، الآية : 17-20 .

فقد وصفه تعالى بالقوة في العلم والعمل وأبان ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله عنه بأنه " كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ، ولا يفتر إذا لاقى " ²⁷⁶ . وقال عنه " أحب الصلاة إلى الله صلاة داود ، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه ، وينام سدسه " ²⁷⁷

فأين هذا الوصف العالي من وصف التوراة المحرفة التي استساغ الحمد أن يتأثر بها وينقلها تشويهاً لصورة نبي الله . عليه السلام .؟! .
أما قول الحمد بأن سليمان . عليه السلام . قد سخر الجن من أجل المرأة ، فهذا من كذبه الذي يعرفه صغار المسلمين الذي يقرأون القرآن .

فلسليمان . عليه السلام . لم يسخر الجن لنفسه ، وإنما الذي سخرها الله . عز وجل . .
قال تعالى عن سليمان : (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) (35) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءً حَيْثُ أَصَابَ (36) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ (37) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (38) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (39) وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ²⁷⁸ .

وأما قصته . عليه السلام . مع (بلقيس) ملكة اليمن التي يلمح إليها الحمد فهي إن سليمان غضب منها ومن قومها عندما أرسلوا له المال والهدايا لعله يكف عنهم . فأمر من حوله من الجن والإنس بأن يحضروا له عرش بلقيس الذي لا يكاد يوجد مثله في عظمته ، فقال : (قَالَ عِفْرِيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ) ولكن سليمان لم يقنع بهذا ، فقال (الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ) وهو كاتبه آصف بن برخيا كما يروى عن ابن عباس : (أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) أي : أن تنظر مد بصرك فلا تكل إلا والعرش عندك : (فَلَمَّا رَأَهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ) أي سليمان : (هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) ²⁷⁹ .

أما سبب احضار العرش فليس لأجل المرأة كما يزعم الحمد . كذباً وافتراءً . وإنما لأجل أن يظهر سليمان عظمة ملكه لها ، وأنه نبي من عند الله ، قد سخر له الإنس والجن فتستجيب لدعوته لها إلى دين التوحيد بعد أن كانت تسجد هي وقومها للشمس .

قال ابن كثير . رحمه الله . : (إن سليمان أراد باحضار هذا السرير إظهار عظمة ما وهب الله له من الملك وما سخر له من الجنود الذي لم يعطه أحد قبله ولا يكون لأحد من بعده وليتخذ ذلك حجة

²⁷⁶ أخرجه البخاري (3419) .

²⁷⁷ أخرجه البخاري (3420) .

²⁷⁸ سورة ص ، الآيات : 35-40 .

²⁷⁹ سورة النمل ، الآيات : 39-40 .

على نبوته عند بلقيس وقومها لأن هذا فارق عظيم أن يأتي بعرشها كما هو من بلادها قبل أن يقدموا عليه
(280 .

. أما قول الحمد بأن نبينا □ قد حُِب إليه النساء ، فهذا صحيح ، وقد ورد في هذا قوله □ :
((حُب إليّ من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني الصلاة))²⁸¹ .

وليس معنى هذا ما قد يظنه الحمد أو غيره من الجهلة وهو أن هذه المحبة هي لأي امرأة ولو لم
تحل له . والعياذ بالله . وإنما هذا خاص بزوجاته وما ملكت يمينه □ ، وليس في هذا أي نقص لمرتبه .
عليه الصلاة والسلام . بل هو بيان لكمال رجولته .

قال ابن القيم . رحمه الله . : (أما محبة الزوجات فلا لوم فيها ، بل هي من كماله ، وقد امتن
سبحانه على عباده فقال : ((وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ
مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ))²⁸² . فجعل المرأة سكناً للرجل يسكن قلبه إليها ، وجعل
بينهما خالص الحب ، وهو المودة المقرونة بالرحمة) قال : (ولا ريب أن النبي □ قد حُِب إليه النساء
، كما في الصحيح عن أنس عن النبي □ : ((حُب إلي من دنياكم النساء والطيب ، وجعلت قرة عيني
في الصلاة) قال : (فمحبة النساء من كمال الإنسان ، قال ابن عباس : خير هذه الأمة أكثرها نساء)
قال : (فعشق النساء ثلاثة أقسام : قسم هو قربة وطاعة ، وهو عشق امرأته وجاريتها ، وهذا العشق عشق
نافع ، فإنه أدعى إلى المقاصد التي شرع الله لها النكاح ، وأكف للبصر والقلب عن التطلع إلى غير أهله
، ولهذا يُحمد هذا العاشق عند الله ، وعند الناس)²⁸³ .

. أما قول الحمد بأن مزامير داود . عليه السلام . كلها عن المرأة ، فهذا كذب منه ، يريد به
التحويل قال الدكتور محمد البار . حفظه الله . وهو ممن اعتنى بدراسة المزامير :

(تنسب المزامير إلى مجموعة من أنبياء بني اسرائيل وأدبائهم وشعرائهم ، وتشتمل على 150
مزموراً ، منها 73 منسوبة إلى داود عليه السلام ، والأخرى منسوبة إلى موسى وسليمان . عليهما السلام .
وإلى آساف وبني قورح وراجح وهيمان وأتيان وبدوتون) قال : (رغم أنه لم تثبت نسبة أي من هذه
المزامير الموجودة لداود أو غيره ، إلا أنها أصبحت جزء من الفولكلور الشعبي اليهودي)²⁸⁴ .
قال : (رغم أنه لم تثبت نسبة أي من هذه المزامير الموجودة لداود أو غيره ، إلا أنها أصبحت
جزءاً من الفولكلور الشعبي اليهودي)²⁸⁵ .

²⁸⁰ تفسير ابن كثير (376/3) .

²⁸¹ أخرجه أحمد والنسائي ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (3124) .

²⁸² سورة الروم ، الآية : 21 .

²⁸³ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص393-399) .

²⁸⁴ الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم (ص385) .

²⁸⁵ المصدر السابق (ص386) .

قال : (تُقسم المزامير إلى ثلاث مجموعات أساسية تندرج تحتها مجموعات أصغر . وهذه المجموعات الثلاث هي :

1 . مجموعة التسابيح .

2 . مجموعة صلوات الاستغاثة .

3 . مجموعة التعليم)²⁸⁶ .

قلت : يتضح من هذا أن المزامير كلها عن دين اليهود وتسابيحهم وصلواتهم، وليست كما يزعم الحمد بأنها (كلها عن المرأة) !!!

والذي نعتقده . كمسلمين . هو ماجاء في القرآن الكريم أن الله قد آتى داود . عليه السلام . كتاباً مقدساً هو (الزبور) قال تعالى : ((وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا))²⁸⁷ .

ونعتقد أن داود . عليه السلام . قد وهبه الله صوتاً جميلاً يترنم به عند تسبيحه الله فتردد الجبال والطير معه .

قال تعالى : ((إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ))²⁸⁸ ، وقال : ((يَا جِبَالُ أُوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ))²⁸⁹ ، وأما قوله □ لأبي موسى الأشعري . رضي الله عنه . : ((يا أبا موسى ، لقد أوتيت مزمراً من مزامير آل داود))²⁹⁰ .

فقد قال الخطابي : (قوله (آل داود) يريد داود نفسه ، لأنه لم ينقل أن أحداً من أولاد داود ولا من أقاربه كان أعطي من حسن الصوت ما أعطي)²⁹¹ وقال الحافظ ابن حجر : (المراد بالمزمارة الصوت الحسن ، وأصله الآله ، أطلق اسمه على الصوت للمشابهة)²⁹² .

. أما قول الحمد (وسكر لوط في التوراة من أجل المرأة) !!

فهذا من أقبح تشنيعاته على أنبياء الله ، والتعريض بهم بخُبيثٍ وسوء طوية ، حيث لم يُعقب على هذا الكذب بما بينه ، وإنما ساقه به متابعاً لأحفاد القردة .

ثم أعاده في موضع آخر من روايته مبيناً قصده ، حيث قال على لسان هشام . كما سيأتي .)

وزنت بنات لوط مع أبيهم) !!

²⁸⁶ المصدر السابق (ص388 . 392) .

²⁸⁷ سورة الإسراء ، الآية : 55 .

²⁸⁸ سورة ص ، الآية : 18 .

²⁸⁹ سورة سبأ ، الآية : 10 .

²⁹⁰ أخرجه البخاري (5048) .

²⁹¹ فتح الباري (711 / 8) .

²⁹² فتح الباري (712 / 8) .

وهذا الكذب الفاحش قد أخذه الحمد من التوراة (المحرّفة) حيث جاء فيها . كما في سفر التكوين ، الاصحاح 19: 30-38 . أن ابنتي لوط . عليه السلام . قامتتا بإسقائه خمراً حتى سكر ، ثم اضطجعتا معه ، فجلبتا منه !!!

وهذه الكذبة لا يُستغرب صدورها من قوم قد قال الله . تعالى . عنهم : ((أَفَكَلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ))²⁹³ فمن كذب بعض الرسل وقتل بعضهم الآخر لا يستغرب عليه أن يفترى الكذب عليهم .

قال ابن حزم . رحمه الله . بعد أن ذكر هذه القصة المفتراة (هذه فضائح الأبد ، وتوليد الزنادقة والمبالغين في الاستخفاف بالله تعالى وبرسله عليهم السلام)²⁹⁴

وقال ابن القيم رحمه الله .:

(ومن قدحهم²⁹⁵ في الأنبياء : ما نسبوه إلى نص التوراة ، أنه لما أهلك الله أمة لوط لفسادها ، ونجى لوطاً بابنتيه فقط ، ظن ابتناه أن الأرض قد خلت ممن يستبقين منه تسلاً . فقالت الصغرى للكبرى : إن أبانا شيخ ، ولم يبق في الأرض إنسان يأتينا كسيل البشر ، فهلمي نسقي أبانا خمراً ونضاجعه ، لنستبقي من أيينا نسلًا ، ففعلتا . بزعمهم . فنسبوا لوطاً النبي عليه السلام إلى أنه سكر حتى لم يعرف ابنتيه ثم وطئهما وأحبلهما وهو لا يعرفهما ...)²⁹⁶

- أما قول الحمد بأن المسيح . عليه السلام . أبطل حد اليهود من أجل مريم المجدلية ، فعله يشير إلى اتهام اليهود لمريم . رضي الله عنها . بالزنا من أجل حملها بعيسى . عليه السلام . دون زوج ، ومن ثم تكلم عيسى في المهدي ميرثاً أمه من هذه التهمة الشنيعة التي وبخ الله اليهود لأجلها بقوله . تعالى . (وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلُهُمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا)²⁹⁷ فما دخل هذه الحادثة بما يتحدث عنه الحمد !؟

- أما قول الحمد (وخاف إبراهيم من فرعون مصر من أجل المرأة) فيشير إلى ما ما أخرجه البخاري في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم متحدثاً عن إبراهيم . عليه السلام . : ((بينما هو ذات يوم وسارة إذ أتى إلى جبار من الجبابرة ، فقيل له : إن ها هنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس ، فأرسل إليه فسأله عنها فقال : من هذه ؟ قال : أختي . فأتى سارة قال : ياسارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك ، وإن هذا سألني عنك فأخبرته أنك أختي ، فلا تكذبيني . فأرسل إليها ، فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ : فقال : ادعي الله لي ولا أضرك ، فدعت الله فأطلق . ثم تناولها الثانية

²⁹³ سورة البقرة ، الآية : 87 .

²⁹⁴ الفصل في الملل والأهواء والنحل (1/ 224) .

²⁹⁵ أي اليهود عليهم لعنة الله .

²⁹⁶ إغاثة اللفهان (2/ 342-343) .

²⁹⁷ سورة النساء ، الآية : 156 .

فأخذ مثلها أو أشد ، فقال : ادعي الله لي ولا أضرك ، فدعت فأطلق . فدعا بعض حجبه فقال : إنكم لم تأتونني بإنسان ، إنما أتيتوني بشيطان ، فأخدمها هاجر . فأنته وهو قائم يصلي ، فأوماً بيده : مهيم ؟ قالت : رد كيد الكافر . أو الفاجر . في نحره ، وأخدم هاجر))²⁹⁸

قلت : وفي هذا الحديث بيان عصمة الله لابراهيم وزوجه أن تمسهما يد ظالم ، حيث كف سبحانه كيد هذا الملك عنهما .

- أما قول الحمد بأن المرأة كانت (وراء مباركة يعقوب بدلاً من عيسو) فيشير إلى ما جاء في الإسرائيليات التي دخلت علينا من أهل الكتاب وقد ذكرها المؤرخون في قصة يعقوب . عليه السلام .

قال ابن كثير . رحمه الله . في البداية والنهاية : (ذكر أهل الكتاب أن اسحق لما تزوج رفقا بنت بتواييل في حياة أبنة كان عمره أربعين سنة وأنها كانت عاقراً فدعا الله لها فحملت فولدت غلامين توأمين أولهما سموه عيصو وهو الذي تسميه العرب العيص وهو والد الروم ، والثاني خرج وهو آخذ بعقب أخيه فسموه يعقوب وهو إسرائيل الذي ينتسب إليه بنو إسرائيل .

قالوا : وكان اسحق يحب العيصو أكثر من يعقوب لأنه بكره وكانت أمهما رفقا تحب يعقوب أكثر لأنه الأصغر .

قالوا : فلما كبر اسحق وضعف بصره انتهى على ابنه العيص طعاماً وأمره أن يذهب فيصطاد له صيداً ويطحنه له ليبارك عليه ويدعو له ، وكان العيص صاحب صيد فذهب ينتغي ذلك فأمرت رفقا ابنها يعقوب أن يذبح جديين من خيار غنمه ويصنع منهما طعاماً كما اشتهاه أبوه ويأتي إليه به قبل أخيه ليدعو له ، فقامت فألبسته ثياب أخيه وجعلت على ذراعيه وعنقه من جلد الجديين لأن العيص كان أشعر الجلد ويعقوب ليس كذلك ، فلما جاء به وقربه قال : من أنت ؟ قال : ولدك . فضمه إلى وجهه وجعل يقول : أما الصوت فصوت يعقوب وأما الجس والثياب فالعيص ، فلما أكل وفرغ دعا له أن يكون أكبر إخوته قدراً وكلمته عليهم وعلى الشعوب بعده وأن يكثر رزقه وولده .

فلما خرج من عنده جاء أخوه العيص بما أمره به والده فقربه إليه فقال له ما هذا يا بني ؟ قال : هذا الطعام الذي اشتهيته فقال : أما جئتني به قبل الساعة وأكلتُ منه ودعوتُ لك ؟ فقال : لا والله . وعرف أن أخاه قد سبقه إلى ذلك)²⁹⁹

قلت : فهذه من أحاديث أهل الكتاب ، لا تصدق ولا تكذب ، وإن صحت ففيها بيان محبة الأم لابنها وحرصها على أن يكون محظياً عند والده ، ولا حرج في هذا .

تنقصات أخرى :

وقال الحمد في موضع آخر من روايته : (رحماك يارب الكون ... لماذا

²⁹⁸ أخرجه البخاري (3358) .

²⁹⁹ البداية والنهاية (1/194) .

خلقت حام طالما أن سام هو الحبيب ؟ ولماذا فضلت سام وصبيت اللعنة على حام ؟ ما ذنبه إذا سكر نوح ، وزنت بنات لوط مع أبيهم ، في كتاب يقولون أنه كلماتك وإرادتك ؟ ³⁰⁰ .

قلت : في قول الحمد مخاطباً ربه (لماذا خلقت حام ؟) سوء أدب ، ووقاحة ، وعدم تعظيم له سبحانه ، حيث وجه إليه سؤاله تعنتاً واعراضاً ، وقد قال تعالى : (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) ³⁰¹ . وهو يشير بقوله : (لماذا فضلت سام وصبيت اللعنة على حام ؟ ما ذنبه إذا سكر نوح ؟) إلى ما ورد في التوراة (المحرّفة) ³⁰² التي هي عمدة الحمد في قدحه بأنبياء الله ! من أن نوحاً . عليه السلام . شرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه ، فأبصره ابنه حام (أبو كنعان) ، وأخبر أخويه (سام ويافت) ، فأخذ (سام ويافت) الرداء وسترا عورة أبيهما دون أن ينظرا إليها ، فلما أفاق نوح وعلم بذلك لعن حاماً وابنه كنعان ، ودعا أن يكون عبداً لأخويه ، ودعا لسام بالبركة من الله .

قلت : وهذه احدى كذبات اليهود وتشويههم لصورة الأنبياء في كتبهم المحرّفة ، التي نقل منها الحمد دون تورع أو خجل ، ولكن بمكرٍ وخبث ، ومحاولة منه لا سقاط المثل والرموز . كما سبق . بأسلوب حقير يناسب طبعه وعقليته التي لا تقيم وزناً لأي شيء مقدس . كما يحاول أن يدّعي . ! قال الدكتور سعود الخلف . حفظه الله . بعد إيراد هذه القصة المكذوبة على نوح . عليه السلام . : (وهذا محض كذب وافتراء ، فإن الله عز وجل قد وصف عبده نوحاً في كتابه المهيمن بقوله : (ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا) ³⁰³) ³⁰⁴ .

. وأما قوله القبيح (وزنت بنات لوطٍ مع أبيهم) فقد بينت كذبه . فيما سبق . وأنه مُتلقًى عن أبناء القردة ، من الذين جعلهم الحمد قدوته ، واتبع آثارهم في تعريضه بأنبياء الله . عليهم السلام . دون خوف من الله . عز وجل . الذي قال عن أنبيائه . عليهم السلام . (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ) ³⁰⁵ . وقال الحمد على لسان هشام في السجن (يحس أنه هنا منذ أن حشر الإله الروح في جسد آدم . إنه يحس في داخله أنه كان معاصراً لقابيل وهو يقتل أخاه ، ولنوح وهو يصارع أمواج الطوفان ، ليونس وهو يصيح في بطن الحوت ، ولأيوب والدود ينخره ، وليوسف في الجب ،) والمسيح هو يصيح مصلوباً ، والنبي الأمي وهو يشكو) ³⁰⁶ .

³⁰⁰ الكراديب (ص137) .

³⁰¹ سورة الأنبياء ، الآية : 23 .

³⁰² (سفر التكوين . الإصحاح 9 : 20 . 27) ، وانظر (الفصل ...) لابن حزم (1 / 211) .

³⁰³ سورة الإسراء ، الآية : 3 .

³⁰⁴ دراسات في الأديان : اليهودية والنصرانية (ص94) .

³⁰⁵ سورة الأنعام ، الآية : 90 .

³⁰⁶ الكراديب (ص213) .

قلت : أما قوله (حشر الإله الروح في جسد آدم) فهو من سوء أدبه مع ربه، واعتراض خفي على خلق آدم _ عليه السلام _ وكان الأولى به أن يقول : (نفخ الإله الروح في آدم) كما أخبر القرآن : (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ(71)فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ)

307

الحمد يعتقد صلب المسيح - عليه السلام - !!

وكل هذا يهون أمام الطامة العظمى التي فاه بها الحمد ، وهي قوله : (والمسيح وهو يصيح مصلوباً) !!! فهو يخالف بقوله هذا نصوص الشريعة واجماع المسلمين من أن المسيح . عليه السلام . لم يصلب بل رفعه الله إليه وألقى شبهه على غيره ممن صلب ، قال تعالى : (وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ)³⁰⁸ .

والذي دعا الحمد إلى هذه الزلة العظيمة هو . كما سبق . متابعتة لليهود والنصارى الذين يزعمون أن المسيح . عليه السلام . قد صلب ، وقد رد الله عليهم قولهم هذا في القرآن الذي يفترض أن يكون الحمد قد قرأه وآمن به ! قال تعالى عن اليهود : (وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ)³⁰⁹ . وهذه العقيدة وهي عدم صلب المسيح . لا يخالف فيها أي مسلم ، عامياً كان او عالماً ، وإنما خلاف بعضهم في أنه هل رفع . عليه السلام . بجسده كما عليه الجمهور وهو الصحيح لأنه موافق لقوله تعالى : (بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ)³¹⁰ .

أم أنه تعالى توفاه بالنوم ثم قبض روحه كما يقبض أرواح البشر ، كما يختاره بعض العقلانيين من أمثال محمد عبده ومدرسته³¹¹ .

أما أنه عليه السلام قد صلب فهذا لم يفه به سوى المغضوب عليهم والضالين (وأذنانهم !) لأنه مصادم لما علم بالضرورة من دين الإسلام ، وهو تكذيب الله . عز وجل .

فهل يعي الحمد خطورة قوله هذا ؟! أم يتمادى في تجاوزه لكل ما هو قطعي تحت دعاوى (الحرية !) عندها نقول له : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ)³¹² .

³⁰⁷ سورة ص : الآية : 71 ، 72 .

³⁰⁸ سورة النساء ، الآية : 157 .

³⁰⁹ سورة النساء ، الآية : 157 .

³¹⁰ سورة النساء ، الآية : 158 .

³¹¹ انظر : تفسير المنار (6 / 18) .

³¹² سورة المائدة ، الآية : 41 .

تنقص آخر لأنبياء الله :

قال الحمد على لسان هشام :

(نحن نحاول أن نفهم سر ما يجري ، ولكننا ننتهي إلى صخرة سيزيف ، ويبقى السر طلسماً قاتلاً من طلاس سليمان الحكيم ، وتعويذات وزيره آصف بن برخيا العابثة ...)³¹³ .
قلت : أما صخرة سيزيف فهي أسطورة يونانية لا شأن لنا به ولا بصخرته التي يحاول الصعود بها

- أما قوله : (ويبقى السر طلسماً قاتلاً من طلاس سليمان الحكيم) ! فهو افتراء منه تابع فيه اليهود الذين اتخذهم قائده ودليله في روايته ، فالقول ما قالوا ، والرأي ما رأوا ، والرواية مارووا ، وإن كان فيها تنقص أو شتيمة لأنبياء الله ورسله ، فكل هذا لا يهم (التوراتي) تركي الحمد ! الذي شابه قلبه قلوبهم في حملها الغل على أكرم الخلق فأصبح يهذي بما يهذي به يهود .

ومن ذلك متابعتهم لهم في اتهام سليمان . عليه السلام . بأنه ساحر !!! وقد رد الله هذا الكفر بقوله تعالى مدافعاً عن نبيه سليمان : (وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا)³¹⁴ .

قال ابن كثير . رحمه الله . : (ان سحرة اليهود . فيما ذكر . كانت تزعم أن الله أنزل السحر على لسان جبريل وميكائيل إلى سليمان بن داود ، فأكذبهم الله بذلك واخبر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن جبريل وميكائيل لم ينزلا بسحر ، وبرأ سليمان . عليه السلام . مما نحلوه من السحر ، وأخبرهم أن السحر من عمل الشياطين)³¹⁵ .

- وأما قوله (وتعويذات وزيره آصف بن برخيا العابثة) ! فلا أدري ما الداعي لكلمة (العابثة) ! أم أن الحمد أصبح لا يرى في كل شيء إلا العبث ؟

والذي ورد في تفسير قوله تعالى : (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ)³¹⁶ هو أنه آصف بن برخيا وكان يعلم اسم الله الأعظم فدعا الله فاستجاب دعاءه وليس ذلك تعويذات عابثة كما يزعم (العابث) تركي الحمد .

سخرية الحمد وتنقصه شعائر الإسلام :

³¹³ الكراديب (ص 214) .

³¹⁴ سورة البقرة ، الآية : 102 .

³¹⁵ تفسير ابن كثير (1 / 141) .

³¹⁶ سورة النمل ، الآية : 40 .

أما سخريته بشعائر الدين ، وتهوينه من أمرها فمن ذلك أنه أخبر عن هشام بأنه (صلى الفجر مع خاله دون اغتسال)³¹⁷!!

وقوله مهوناً أمر الصلاة : (حتى والده لم يكن يؤدي الفروض في المسجد أكثر الأحيان ، كأكثر أهل الدمام ، بل كان يؤديها في المنزل غالباً ، وذلك على عكس أهل الرياض والقصيم ..)³¹⁸ .
وقوله : (وبقي هشام وحيداً لا يدري ما يفعل ، هل يلحق خاله إلى المسجد ، أم يواصل النوم مثل أبناء خاله .. وأخيراً عزم على مواصلة النوم ، فلا ريب أن الأبناء أدرى بحال الدار ، واستلقى على فراشه ، وأخذ النسيم البارد ورطوبة السحر يداعبان أجفانه . وعندما كان المؤذن ينادي : " الصلاة خير من النوم .. الصلاة خير من النوم " ، كان قد أغفى تماماً)³¹⁹ .

قوله : (إنه لا يحب القصيم كثيراً . ففي الدمام أصحابه والأجواء التي اعتاد عليها والبحر ، وفي القصيم لا أصدقاء ولا بحر ، وفوق كل ذلك صلاة الفجر التي لا بد أن يؤديها جماعة في المسجد مع جده . عندما يلذ للعين الرقاد)³²⁰ .

سخريته وتنقصه أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم :

وأما سخريته بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، فمن ذلك قوله على لسان وليد مخاطباً هشاماً

:

(أنت تتحدث عن الموت وكأنه كائن مجسد ، وليس حادثه أو حالاً .

وضحك هشام باقتضاب وهو يقول :

- وما أدراك أنه ليس كائناً ؟ .. ألا يقولون إن الملاك عزرائيل هو قابض الأرواح ؟ أوليس ذاك الهيكل العظمي الأسود هو الموت بعينه ؟ ألا يقولون إنه بعد انتهاء الحساب يوم القيامة يؤتى بالموت على شكل خروف فيذبح على الحدود بين الجنة والنار ؟

ثم وهو يضحك :

. لقد ذكرتني بنزار وقصائده المتوحشة .

ثم وهو يعتدل في جلسته :

³¹⁷ الشميسي (ص 44) .

³¹⁸ الشميسي (ص 136) .

³¹⁹ العدامة (ص 93) .

³²⁰ العدامة (ص 252) .

. ولكن أتدري ما يحيرني يا وليد ... هل يمكن للموت أن يموت؟ كيف يموت من هو ميت أصلاً؟ وإذا كان الموت يميتنا، فمن يميت الموت؟ ... الله؟ .. هو الحياة ذاتها فكيف يمكن للحياة أن تميت؟ .. حقاً يا لها من حيرة) ³²¹.

قلت: أما تسميته ملك الموت بعزرائيل فهو من جهله، لأنه لم تصح هذه التسمية في أي من الأحاديث الصحيحة ³²²، والله عز وجل سماه في القرآن ملك الموت ولم يذكر له اسماً غيره.

قال تعالى: (قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ) ³²³.

وأما قوله: (ألا يقولون إنه بعد انتهاء الحساب يوتى بالموت على شكل حروف... الخ) فهو من سخريته بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وإلا فإنه يعلم أنهم لا يقولون، وإنما القائل هو محمد صلى الله عليه وسلم ³²⁴، الذي قال في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم: "يجاء بالموت كأنه كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار فيقال: يا أهل الجنة! هلى تعرفون هذا؟ فيشربون وينظرون ويقولون: نعم، هذا الموت. ثم يقال: يا أهل النار! هل تعرفون هذا؟ فيشربون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت. قال: فيؤمر به فيذبح، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت" ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) ³²⁵.

أما تحيره: كيف يموت الموت؟ فقد أجاب عنه العلامة ابن القيم رحمه الله بقوله تعليقاً على الحديث السابق: (وهذا الكبش والاضجاع والذبح ومعينة الفريقين ذلك حقيقة لا خيال ولا تمثيل، كما أخطأ فيه بعض الناس خطأ قبيحاً وقال: الموت عرض والعرض لا يتجسم، فضلاً عن أن يذبح. وهذا لا يصح، فإن الله سبحانه ينشئ من الموت صورة كبش يذبح، كما ينشئ من الأعمال صوراً معينة يثاب بها ويعاقب، والله ينشئ من الأعراض أعراضاً ومن الأجسام أجساماً، فالأقسام الأربعة ممكنة مقدورة للرب تعالى، ولا يستلزم جمعاً بين النقيضين ولا شيئاً من المحال، ولا حاجة إلى تكلف من قال: إن الذبح لملك الموت! فهذا كله من الاستدراك الفاسد على الله ورسوله والتأويل الباطل الذي لا يوجب عقل ولا نقل، وسببه قلة الفهم لمراد الرسول صلى الله عليه وسلم من كلامه، فظن هذا القائل أن لفظ الحديث يدل على أن نفس العرض يذبح، وظن غالط آخر أن العرض يعدم ويزول ويصير مكانه

³²¹ الكرايب (ص 192).

³²² قال الشيخ الألباني في (أحكام الجنائز. ص 156): [أما تسميته. أي ملك الموت. بعزرائيل فمما لا أصل له، خلافاً لما هو المشهور عند الناس، ولعله من الإسرائيليات!] وقال الشيخ بكر أبو زيد في (معجم المناهي اللفظية. ص 238): [لا يصح في تسمية ملك الموت بعزرائيل حديث].

³²³ سورة السجدة، الآية: 11.

³²⁴ ومن جهله بحديث النبي ﷺ أنه يعزو إليه حديثاً لا أصل له وهو قوله: "السلام سنة ورده واجب"!!! وهذا من أقوال (بعض) الفقهاء، وليس هو من حديث النبي ﷺ

كما يتوهم الحمد!

³²⁵ سورة مريم، الآية: 39.

جسم يذبح ، ولم يهتد الفريقان إلى هذا القول الذي ذكرناه ، وأن الله سبحانه ينشئ من الأعراس أجساماً ويجعلها مادة لها ، كما في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم " تجي البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنهما غمامتان " الحديث ، فهذه هي القراءة التي ينشئها الله سبحانه غمامتين (326) .

بغض الحمد لعباد الله الصالحين :

كما أن الحمد ابغض ربه . عز وجل . وملائكته ، وأنبياءه وكتبه ، وشرائعه ، فإنه حتماً سيبغض عباده الصالحين ، وسيبغض ما يصدر عنهم من أقوال أو كتابات .
وإليك ما يشهد لهذا :

يقول الحمد متحدثاً عن هشام :

(أخذ يقلب الكتاب الذي أعطاه إياه عدنان ، " المنقذ من الضلال " للغزالي كان لا يحب هذا النوع من الكتب) (327) .

وهذا النوع من الكتب يعني به الكتب الإسلامية التي تقربه من الخير ، وتباعده من الشر فهو لا يطبقها ، ولا يحبها ، بل يهرع إلى كتب أحبابه من الفلاسفة والماركسيين الذين يجد عندهم ما يروي ظمأه ، ويوافق طبعه فالطيور على أشكالها تقع .
ويقول الحمد على لسان مهنا :

(أرجو أن لا تتحدث عن البعثيين أو القوميين العرب أو حتى الدراويش من الإخوان المسلمين ... كل هؤلاء سذج ومزيفون) (328) .

ويقول على لسان والد هشام متحدثاً مع ابنه :

(ولكن ما لقيت إلا البعثيين كي تصبح منهم ... أقطع ناس ... ولا أخطر منهم إلا الشيوعيين والإخوان) (329) !!

ويقول عن (الإخواني) لقمان :

(يا لك من منافق يالقمان ... تخدم ألف إله وإله ، ثم تقول لا إله إلا الله ... قاتل الله الحياة ، فهي النفاق بعينه قاتل الله الحياة فهي التي تجعلنا عبداً دون أن نريد ، وأسياداً ونحن نريد ولا نريد .

³²⁶ حادي الأرواح (ص344 345) .

³²⁷ الشميسي (ص66) .

وليعلم أن كتب الغزالي عليها مؤخذات كثيرة من إسراف في علم الكلام ، وترغيب في التصوف ، واستشهاد بالضعيف . وقد بين هذا العلماء المحققون ، (انظر : أبو حامد الغزالي لعبد الرحمن دمشقية ، والعقيدة السلفية في مسيرتها التاريخية للشيخ محمد المغراوي) ، والحمد لا يفرق في بغضه للكتب الإسلامية بين الغث والسمين ، فهو يعمم حكمه ذلك دون أي تفریق كما قد يفهم (البعض) .

³²⁸ العدامة (ص283) .

³²⁹ الشميسي (ص385 386) .

قاتل الله حياة تذلنا فيها لقمة ، وتأسرنا كلمة ، وتستعبدنا شهوة ، ويموت فيها الطيبون .. ثم نقول لا إله إلا الله³³⁰ .

قلت : جماعة الإخوان إحدى الجماعات الإسلامية الشهيرة التي يعرفها معظم الناس ، وهي قد نشأت في مصر ثم امتدت إلى معظم بلاد العالم . وهي جماعة عليها مؤاخذات كثيرة من عدم اهتمام بنشر العقيدة السلفية ، أو تعليم للعلم الشرعي النافع ، وإنما همها (التجميع) والوصول إلى الحكم بأي طريقة³³¹ .

ومع هذا فلا نؤيد (الماركسي) (البعثي) تركي الحمد في طعنه بها ، فشتان بين جماعة إسلامية (مقصرة) وبين جماعات ومذاهب (كافرة) عدوة للإسلام والمسلمين .

هذا عن نقده واستهزائه بجماعة الإخوان المسلمين، أما غيرهم من عباد الله (الملتزمين) فقد نالهم ما نال أولئك من سخرية لا ذعة بأسلوب مبطن . يقول الحمد عن (عدنان العلي) صديق هشام : (لم يكن عدنان يأتي إلى المقصف وحده ، فغالباً ما كان يرافقه زميلان من ذوي اللحى المتروكة وشأنها دون تهذيب ، وبعض الأحيان يزدادون إلى خمسة ، يشربون الشاي ويتحدثون بهمس لا يكاد يسمع ، وكان أكثر ما أثار استغراب هشام هو أنهم لا يتسمون أبداً ، وإذا حدث ذلك من أحدهم ، غطى فمه بطرف غترته وكأنه يعتذر ، ثم يعود إلى تلك الملامح التي لا توحى بشيء)³³² .

قلت : تأمل هذه السخرية المتكلفة التي أراد الحمد إيصالها إلى ذهن قارئه ، بأن كل من التزم بدين الله ، فهو لا شك سيكون متجهماً لا يتبسم ، وإذا ابتسم فإنه سيعتذر من ابتسامته !! ونسي أن هؤلاء الملتزمين هم أول من يعمل بحديث النبي صلى الله عليه وسلم ، " تبسمك في وجه أخيك لك صدقه " ³³³ ولا يجدون غضاضة في هذا التبسم لأنه سنة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم ، فلماذا تعتمد الحمد قلب الحقائق ، الأجل أنهم لم يتسموا في وجه (ماركسي) (بعثي)؟! أم أنه الحقد الذي يحمله في صدره على كل (ملتزم) فأراد تفرغ بعضه في روايته هذه عبر هذا الأسلوب المبطن ؟ ثم تأمل - أخي القارئ - سخريته بسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (اللحية) بهذا الأسلوب الحقيير (اللحى المتروكة وشأنها دون تهذيب) !! وهو تهويل منه ومبالغة ، لأن الجميع لا يكاد يجد مثل هذا الصنف المتخيل ، فلماذا تقليل الكثير وتكثير القليل يا تركي؟! ولم يكتف الحمد بهذه السخرية السابقة باللحية لأنها لم تشف غيظه من أهل الإسلام ، فرددها مرة أخرى عندما قال متحدثاً عن هشام :

³³⁰ الكراديب (ص184) .

³³¹ انظر للزيادة : (دعوة الإخوان المسلمين في ميزان الإسلام) لفريد الثبيت ، و وقفات مع كتاب للدعاة فقط) لمحمد العجمي و (حوار هادئ مع إخواني) لأحمد الشحي .

³³² الشميسي (ص73) .

³³³ أخرجه الترمذي (1 / 354) وصححه الألباني في الصحيحة (572) .

(ثم فتح الباب عن وجه أحد زملاء عدنان بلحيته الكثة ، ورأسه الحليقة تماماً)³³⁴ .

فزاد على سخريته باللحية اتهام الصالحين بأنهم يرون السنة حلق الرأس ، ولهذا هم يحلقون رؤسهم اتباعاً لها ، وهذا كذب عليهم وهو اتهام قديم قال به أعداء دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب . رحمه الله . عندما اتهموه وأتباع دعوته بأنهم يحلقون رؤسهم ، ويأمرون من اتبعهم بحلق رأسه ! ، ولهذا فهم من الخوارج الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم : " سيماهم التحليق " ³³⁵ ! ثم جاء الحمد مردداً هذه التهمة الباطلة متابعة منه لأعداء الدعوة التي شق بها العلمانيون والملحدون .

وهذا الاتهام باطل ، لأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعلماء الدعوة وأتباعها يتبعون في هذه المسألة أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم التي تجعل أمر الشعر من أمور العادات التي يتبع فيها المرء عادة بلده في ابقاء الشعر أو حلقه . وإنما ينهى عن القزع ، وهو حلق بعض الشعر وترك بعضه لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك .

قال الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب . رحمه الله . راداً على من ادعى بأن علماء الدعوة يكفرون من لم يحلق شعر رأسه !! : " إن هذا كذب وافتراء علينا ، ولا يفعل هذا من يؤمن بالله واليوم الآخر ، فإن الردة لا تكون إلا بإنكار ما علم بالضرورة من دين الإسلام ، وأنواع الكفر والردة من الأقوال والأفعال معلومة عند أهل العلم ، وليس عدم الحلق منها ، بل ولم نقل أن الحلق مسنون ، فضلاً عن أن يكون واجباً ، فضلاً عن أن يكون تركه ردة عن الإسلام !

والذي وردت السنة بالنهي عنه هو القزع ، وهو : حلق بعض الرأس وترك بعضه ، وهذا الذي نهينا عنه ، ونؤدب فاعله " ³³⁶ .

³³⁴ الشميسي (ص 194) .

³³⁵ أخرجه مسلم

³³⁶ الدرر السنينة (276/10) ط 5 .

مباحث أخرى

- . تنقص الحمد قبيلة النبي صلى الله عليه وسلم
- . حقه على حكومة المملكة العربية السعودية
- . محبته للرافضة .
- . المواقف الجنسية في ثلاثيته .
- . العبارات الوقحة .

تنقص الحمد قبيلة النبي صلى الله عليه وسلم :

لم تسلم قبيلة قريش . وهي أفضل القبائل . من لمز الحمد في روايته حيث قال على لسان عارف

(طز في قريش يا صاحبي ... ولماذا يجعل نزار قريشاً مثلاً أعلى؟ .. لأنها قبيلة النبي؟ ...
والنعم بأبي القاسم ولكن قريشاً لا .. لقد جعلوا كل تاريخنا تاريخاً لقريش . ألم يكن هناك غير قريش في
الساحة ؟)³³⁷ .

قلت : قبحك الله وأخزأك ! فقبيلة قريش التي تطعن فيها هي قبيلة محمد صلى الله عليه وسلم
(الذي تدعي الفخر به !!)³³⁸ هي القبيلة التي كان منها أفضل الخلق بعد الأنبياء . عليهم السلام . وهم
صحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسعد وطلحة وعبد
الرحمن والزبير ... وغيرهم . رضوان الله عليهم . وهي القبيلة التي قال فيها صلى الله عليه وسلم : " إن الله
اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني
من بني هاشم " ³³⁹ .

وأما ادعاؤك بأنهم جعلوا تاريخنا تاريخاً لقريش ، فكأنك تعرض بتوليهم أمر الأمة منذ الخلفاء
الراشدين مروراً بالدولة الأموية وانتهاء بالعباسيين ، وهذا ليس مغمزاً فيهم وإنما فخر لهم أن قادوا الأمة ،
ونشروا الإسلام . على تفاوت بينهم في ذلك . متبعين قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " إن هذا الأمر
في قريش ، لا يعاديهم إلا كبه الله على وجهه ، ما أقاموا الدين " ³⁴⁰ .

قال الامام أبو عمرو الداني حاكياً أقوال أهل السنة :

(ومن قولهم أن الإمامة في قريش مقصورة عليهم دون غيرهم من سائر العرب والعجم ، لقوله صلى الله
عليه وسلم : " الأنمة من قريش ، ولا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي في الناس اثنان " ولاجماع
المسلمين بعده صلى الله عليه وسلم على أن ولوا قريشاً) ³⁴¹ .
أي ما أقاموا الدين كما في الحديث الذي قبله .

حقد الحمد على حكومة المملكة العربية السعودية :

لم يعد خافياً على أحد أن التيارات الماركسية والشيوعية وما سار في ركبها هي جميعها حاقدة
على الدولة السعودية المسلمة ، حيث كانوا يعدونها . في زمن الشعارات . أم الدول المتخلفة الرجعية !!
لأنها لا زالت تحكم بالإسلام . فكانوا يُسَخرون كل طاقاتهم في سبيل محاربتها أو تغيير حكومتها إن
استطاعوا . ولذا فقد سخروا إعلامهم للنيل منها ، والسخرية بها وبحكامها ، وسخروا كوادرمهم لمحاولة

³³⁷ الكراديب (ص 125) .

³³⁸ ولولا الخوف لطعن فيه !!!

³³⁹ أخرجه مسلم (2276) .

³⁴⁰ أخرجه البخاري (3500) .

³⁴¹ الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة .. (ص 134) .

تجنيد عملاء لهم فيها (كهشام العابر !!) لعلهم يقومون بانقلاب فيها ويسقطون حكومتها ، كما فعلوا في بعض الدول العربية .

كل هذا فعلوه لكن الله . عز وجل . رد كيدهم في نحهم ، وأرجعهم خائبين خاسرين بفضلته تعالى ثم بفضل جهود الملك فيصل . رحمه الله . وإخوانه الذين حاربوا (شرادم) الشيوعيين والبعثيين والقوميين ، وشردوهم ، ومزقوهم شرّ ممزق ، واستماتوا في سبيل حماية دينهم وبلادهم من عبث العابثين وإن غلفوا ذلك بدعوى (التقدم) و (والتحضر) .

ثم دار الزمان دورته ، فإذا هذه الدولة (الرجعية) - أعني السعودية - تصبح أعز دولة في عالمنا ديناً ودنيا ، حيث جمعت بين الدين الصحيح وهو (الدعوة السلفية) وبين التطور الدنيوي (المتواصل)
342 .

أما تكلم الدول (التقدمية) ! فإنها حين أفاقت من سكرة الشعارات ، وجدت نفسها بلادين (صحيح) ولا دنيا (متقدمة) ، فدينها التقليد والخرافة³⁴³ ، وديناها البؤس ، والشقاء . كما هو مشاهد لكل أحد . فبدأ الذين اسأوا للسعودية يعيدون النظر في حساباتهم ويتراجعون عن مواقفهم الخاطئة معها بعد أن انقضت غشاوة الغوغاء والشعارات عنهم .

ولم يبق منهم على طريقته الأولى سوى (حزب البعث) الذي لا زال يعيش أسيراً لتلك الفترة السابقة ، ولا زال يحاول النيل بما استطاع من الدولة السعودية : (حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ)³⁴⁴ .

كل هذا أقوله مقدمة لما جاء في ثلاثية الحمد من نيل من الدولة السعودية وأمرائها ، حيث صاغ كيده بأسلوب غير مباشر لأنه يعلم أنه لا يستطيع (المواجهة!) .

يقول الحمد متحدثاً عن أحد اجتماعات (حزب البعث) في السعودية !

(ثم فجأة قال منصور بهدوء ودون أن ينظر إليه :

. ما رأيك في الحكومة يا هشام ... ؟

سؤال مباغت لم يكن يتوقعه ، مثل قبلة ألقى فجأة . لم يحر جواباً ، أحسّ بالاضطراب ، ولاذ

بالصمت . غير أن منصور عاود إلقاء قنابله ، موجهاً عينيه الثاقبتين إلى عين هشام مباشرة وهو يقول :

. لا داعي للإجابة . . . أنا أجيب عنك . . . إنها حكومة فاسدة لا هم لها إلا مصلحتها ، ونهب

خيرات الشعب الذي لا حقوق له . . . إن الشعب مجرد عبيد أو رعايا على أفضل الأحوال ليس إلا . . .

345 (.

³⁴² ونسأل الله أن يستمر هذا الجمع بين (الدين والدنيا) وهو سهل على من اتقى الله . وأن نتخلص مما يخالف شرع الله . ولو كان قليلاً . ليستمر تألقنا .

³⁴³ إلا بقية من المخلصين في تلك البلاد الذين ساروا على طريقة السلف الصالح في دينهم ، وهم الآن في ازدياد . بحمد الله .

³⁴⁴ سورة البقرة ، الآية : 109 .

قلت : لا يستطيع الحمد أن يطعن في (الحكومة السعودية) صراحة ، ولذا فقد صاغ طعنه .
بهدف إيصاله إلى القراء . على لسان منصور (البعثي) .

فحكومتنا عند الحمد (حكومة فاسدة لا هم لها إلا مصلحتها ، ونهب خيرات الشعب الذي لا
حقوق له . . إن الشعب مجرد عبيد أو رعايا على أفضل الأحوال) !
ولهذا فالمطلوب هم اسقاطها واستلام (حزب البعث) للسلطة بدلاً منها ، حيث سيقوم هذا
الحزب (العادل !) بإقامة حكومة (ديمقراطية !) تساوي بين الناس دون نظرٍ إلى (أديانهم !) ،
وتوزيع الثروة بينهم بالتساوي !!

والعراق خير شاهد على هذا !!!

وقال الحمد في روايته على لسان (الرفيق حديجان !)

(يا رفيق فهد . . لقد تحدثنا عن الأمة كثيراً ، ولكن ماذا بشأن قطرنا هذا ، كيف السبيل إلى

تحرره ؟)³⁴⁶

فالهدف هو تحرير (السعودية) واسقاط راية التوحيد ، ورفع راية (البعث) بدلاً منها ! (تلك

أمانيتهم)³⁴⁷ .

طعنه في أمراء آل سعود :

أما طعن الحمد في الأمراء من آل سعود فقد صاغه . في روايته . بأسلوب ماهر لا يكاد يُتبعه له .

حيث قال متحدثاً عن هشام في كلية التجارة :

(تساءل هشام بعفوية مصطنعة : (غريب أمر هذا المكان ! . . إنه أشبه ما يكون بقصر منه

بكلية) ، فضحك العم وردان وهو يحرك السكر في الكوب ، كاشفاً عن بعض أسنان متفرقة اختلط فيها

السواد بالصفار وبعض البياض ، وسن ذهبية كانت تبرق وتعلن عن نفسها في أحد جوانب الفم ، ثم وهو

يقدم الشاي لهشام ، قال بلهجته السودانية العجلة : ((ما هي كانت قصر يازول . .)) ، ثم وهو يستلم

ربع الريال ثمن الشاي : ((لقد كانت قصراً لواحد من علية القوم . .)) ، قال ذلك وهو يبتسم إبتسامة

ذات معنى ، ثم إضاف : ((ولكنه انتقل إلى سكن جديد ، فأجر قصر على الجامعة . . هذه هي القصة .

. . .))³⁴⁸ .

³⁴⁵ العدامة (ص23) .

³⁴⁶ العدامة (ص120) .

³⁴⁷ سورة البقرة ، الآية : 111 .

³⁴⁸ الشميسي (ص30.29) .

قلت : لا يحتاج هذا المقطع إلى تعليق ، فهو يريد توصيل رسالة إلى القارىء بأن هؤلاء الأمراء (فاسدون) (مصرفون) يتحول أحدهم من قصر منيف إلى قصر آخر أعظم منه ، ثم يقوم بتأجير قصره الأول على الدولة مقابل مبلغ خيالي !! فهم يتلاعبون بالمال كيف شاؤا ، بلا حسيب أو رقيب .
والنتيجة . التي يريد الحمد الوصول إليها . هي : استشارة الناس عليهم وزرع الحقد والكراهية فيما بين الشعب وحكومته .

محبة الحمد للرافضة :

من أغرب الأمور في ثلاثية الحمد أنه يدعي أن الشيعة (الرافضة) كانوا على الحق ! ويوافق الروافض في زعمهم أن أبا بكر وعمر عثمان . رضي الله عنهم . قد غضبوا الخلافة من علي . رضي الله عنه . !! رغم أنه . كما يقول . لا يهتم بهذه المسألة التاريخية .

يقول الحمد : (قال منصور وهو يضحك بعصبية ، ثم أضاف : على فكرة ! ما رأيك في مسألة السنة والشيعة ؟

وبدون تردد أجاب : الحقيقة لا تهمني المسألة كثيراً ، ولا حتى قليلاً ، أنا أعتقد أنها شيء من مخلفات الماضي . مالنا ولعلي وعثمان ومعاوية . نحن أبناء اليوم ، ولدينا من الهموم ما يكفي)³⁴⁹ .

ويقول في موضع آخر : (نظر إلى راشد قائلاً :

. على فكرة يا أستاذ راشد . . . هل أنت شيعي ؟

وانتفض راشد ، وكأن ماساً كهربائياً أصابه ، قائلاً بحدة :

. كلا . كلا ، لماذا ؟

. لا شيء . لا شيء . أرجو المعذرة ...

وندم على طرحه مثل هذا السؤال ، وحاول الاعتذار مرة أخرى قائلاً :

- أرجو ألا تفهمني خطأ . لا فرق عندي بين هذا المذهب أو ذاك . بل إنني لا أهتم بكل

المذاهب الدينية)³⁵⁰ .

ويقول على لسان (الشيعي) عارف :

(كان الشيعة مع الحق . كانوا مع علي بن أبي طالب ، في مواجهة عمر وأبي بكر وعبيدة ، أصحاب

المؤامرة لنزع الحق من أهله . عليك بمناقشات السقيفة وأنت تعلم أين الحق

³⁴⁹ العدامة (ص37 . 38) .

³⁵⁰ العدامة (ص 51) .

. معك حق .

قال هشام :

. معك حق من الناحية التاريخية (351 !!

فالحمد لا يهتم بمسألة الخلاف بين السنة والشيعة ، وإن تحدث فيها فإنه سيؤيد (الرافضة) !
فما أجمل أن نقول له : (الصمت حكمة) !! 352 .

وأنا لم أطل في دحض هذه المقولة من الحمد ، لأنه يكفي ذكرها للناس لبيان بطلانها ، وبيان ما
يكنه الحمد نحونا (أهل السنة) من شأن .

المواقف الجنسية :

من الأمور التي تلفت الأنظار في ثلاثية تركي الحمد هو طغيان المواقف (الجنسية) فيها ، فهي
تزكم أنف القارئ بتكرارها وتتاليها ، بل وتكلفها الواضح من قبل الحمد ، ولهذا فقد أخذت حيناً كبيراً
من الثلاثية ! فمن ذلك :

1- إبراز موقف (عبد الرحمن) ابن خال (هشام) وكأنه لا هم له في الدنيا إلا شرب الخمر والزنا
بالمومسات أو (القحاب !) وعلى رأسهن المومس (رقية) . حيث تكررت أحاديث عبد الرحمن مع
هشام حول مغامراته معهن هادفاً استدراجه إلى الوقوع في شباكه كما وقع هو ، وهذا ما حدث .

2. قيام (عبد المحسن التغيري) رفيق هشام في العزبة بالزنا بإحدى جاراته واكتشاف هشام لهذا الحدث
بعد مراقبته للعزبة حيث رأى إحدى النساء تخرج من عند عبد المحسن ، وتدخل (أحد المنازل المقابلة
(353 .

3. تصوير هشام في الرياض بعد وقوعه في المحرمات وكأنه (زير) نساء ، فهو قد زنا برقية ، ثم أتبعها
بإحدى جارات خاله وهي سارة أو سوير ! ثم مثلثاً ببنت جيرانهم في الدمام : نورة !! وهذه المواقف مع
تفاصيلها الدقيقة ! قد استهلكت صفحات كثيرة من رواية الشميسي .

³⁵¹ الكراديب (ص 125 . 126) .

³⁵² الكتب التي تحدثت عن بطلان مذهب (الرافضة) كثيرة جداً . من أبرزها كتاب (منهاج السنة) لشيخ الإسلام ، الذي فند شبهاتهم (التاريخية) المزعومة ، التي يرددها

المعاصرون منهم ومن واقفهم !

³⁵³ الشميسي (ص 34) .

4- تصوير علاقة هشام بينت خاله (موزي) بأنها علاقة إعجاب من جانبها ثم نفاجاً بأن موزي المتحجبة ، العاقلة ، الرصينة . . . الخ الصفات المثالية تقوم بحركة (غريبة) مع ابن عمته بعد أن علمت بعلاقته مع سوير ، وبعد أن قرر الذهاب إلى الدمام ، فلنستمع إلى الحمد وهو يقول متحدثاً عن موزي :

(ثم نهضت وهي تمسح عينيها بطرف غدفتها ، واتجهت إلى الباب وهي تقول : " المهم أن تعود إلينا سالمًا ... ليحفظك الله ... " ، وأسرعت في الخروج . ولكنها ما لبثت أن عادت مرة ثانية ، ووقفت عن الباب وهي تقول :

. هشام ... هل لو كشفت لك وجهي أكون قد تجاوزت حدودي ؟

. ليس بيننا حدود يا موزي ... ستبقين موزي العزيزة سواء تحجبت أو كشفت ...

وبحركة مفاجئة ، أزال موزي غدفتها كاشفة عن وجهها ، ثم تقدمت منه ، وطبعت قبلة سريعة على خده ، ونظرت إليه بعينين حمراوين مبتلتين ، وغادرت بخطوات مرتبكة)³⁵⁴ .

قلت : فحتى موزي التي صوّرت في الثلاثية وكأنها محافظة وابنة عائلة تسقط في مقدمات الرذيلة مع ابن عمته ، حيث كشفت له عن وجهها ، ثم تجرأ . (لاحظ : هي لا هو !!) بتقبيله ! ولا نعلم ماذا سيحدث لو بقي هشام ... أو تبعها !! .

5- الوصف الدقيق منه للمواقف (الجنسية) السابقة بشكل مقرر ، كما في وصفه لزنا عبد الرحمن وهشام بالمومس (رقية) في طريق خريص !

وكما في وصفه لرؤية هشام لعليان زوج سوير وهو يجامعها !

6. تصويره لأفراد شلته بأنهم أصحاب تمرس بالعلاقات النسائية ، يقول تركي عنهم (كانوا يتحدثون عن مزنة وبدرية وهيلة وعائشة وعواطف وابتسام ومنى ، وهو لا يجد ما يقول ... كان يود الحديث عن نورة وعن رقية ، وقصص عن موزي يؤلفها... ولكن شيئاً كانت يمنعه ، فكان يصمت ، ويغرق نفسه في مبادئ القانون والإقتصاد ، حتى أصبح يسمى بفأر الكتب ، أبو أربع عيون ... ورغم الوصف الذي كان يضايقه ، فقد كان محل ثقة الجميع وحبهم . كانوا يقصدونه لفهم ما استغلق عليهم فهمه من مواد ، أو في حل مشاكلهم العاطفية ، وكانوا يستشيرونه في جمال فتياتهم وهم يجلبون صورهن في الجيوب ...)³⁵⁵ .

7. وصفه لنساء شارع (الحب) في الدمام ، حيث يقول (ولفت نظرة إحداهن ، كانت تسير الهوينا وقد التفت بعباءتها ، ووضعت حجاباً رقيقاً على وجهها لا يستر شيئاً منه . لم تكن جميلة الوجه ، ولكنها

³⁵⁴ الشميسي (ص 202-203) .

³⁵⁵ الشميسي (ص 72) .

كانت ممتلئة إلى حد البدانة ، بردفين ضخمين يفرق بينهما فج واضح وعميق ، يجعلهما في حالة من التأرجح الدائم . وأثار منظر عجيزتها المترججة جوارح هشام ، وارتفعت حرارته وأخذ ينظر إليها بشيق ، وهو يدخن سيجارة بعمق ، وأحست المرأة بنظراته ، فنظرت إليه بدورها وابتسمت بإغراء ، ولكنه عدل عن مغاللتها في آخر لحظة ، وسار في طريقه على عجل . لكم غيرته الرياض ... لقد عاش في الدمام طوال حياته ، وجاء إلى شارع الحب أكثر من مرة ، ولكنه لم يلاحظ ما لا حظه اليوم ، ولم يدر في خلده ما دار³⁵⁶ .

8. قوله في وصف رؤية هشام لموضي ابنة خاله :

(وعادت موضي مرددة : " زين ... زين ... اتبعني " واخذت في صعود درجات السلم المقابل للمجلس وهو يتبعها ... لم يستطع إلا ملاحظة استدارة عجيزتها وهي تصعد الدرج أمامه ... أثاره المنظر ولكنه أشاح بوجهه عن رديها اللذين كانا في حالة اهتزاز شديد مع كل درجة تصعدنا ، فحاول تشتيت ذهنه)³⁵⁷ .

قلت : فهذه المواقف (الجنسية) الكثيرة ، مع محاولة تضخيمها وتكلفتها (أحياناً) توحى للقارئ بأحد أمرين متلازمين :

الأول : أن تركي الحمد يتكلم عن واقع عاشه أو رآه خلال حياته الماضية فانطبع في ذهنه ومخيلته فارتبط كل حديث عن الماضي بتلك الأحداث والمغامرات (الجنسية) لأن الإنسان لا يستطيع مهما فعل أن ينفصل كلياً عند ماضيه بل تبقى صور كثيرة (يراها مهمة) تتخيل بين عينيه عند كل ذكرى ماضية

فإذا قلنا بهذا الأمر فإن الحمد لم يعد يرى أثناء دراسته في الرياض سوى هذه المواقف (الجنسية) التي أثرت عليه . واستهلكت منه وقتاً (وجهداً !) .

الأمر الثاني : الذي يهدف إليه الحمد من خلال تضخيم هذه المواقف ، وإبرازها ، وتكلف بعضها . كما سبق . هو محاولة لا سقاط جميع المثل التي يعتقدها الناس ، وأن الإنسان مهما ادعى الصلاح أو المثالية فإنه مجرد حيوان يجري خلف شهواته مهما حاول اصفاء هالة الشرف والعفة على شخصيته ، وما هذه الهالات المفتعلة التي يعيشها الناس مع بعضهم إلا ستار وقناع يخفون وراءه ألواناً عديدة من الآثام والسقوط ، فلو تأملنا الثلاثية جيداً للمحنا فيها هذا الهدف الذي يسعى إليه الحمد بل تجراً فيه كثيراً .

نلمح ذلك في الآتي :

1. سقوط هشام في الإثم خلال عيشته بالرياض بعد أن كان يعيش مثاليات زائفة في الدمام بجوار والديه .

³⁵⁶ الشميسي (ص 129) .

³⁵⁷ العدامة (ص 107) .

2. سقوط سويرة زوجة عليان في الرذيلة مع هشام .
3. سقوط نورة ابنة جيرانهم في الدمام في الرذيلة معه .
4. سقوط موزي ابنة خاله في أول درجات الرذيلة .
5. عبارات كثيرة يطلقها الحمد في ثلاثيته تنبئ عن هذا الهدف ، ومن ذلك :
- أ . قول الحمد على لسان عبد الرحمن ابن خال هشام بعد أن وصف له زناه بإحدى النساء : (من قال لك إن كل من تسكن عند أهلها عذراء)³⁵⁸ .
- ب . قوله واصفاً حال هشام في الرياض : (وفي الرياض سقطت باقي المثل التي زرعها أمه في ذاته)³⁵⁹ .
- ج . قوله واصفاً مدينة الرياض على لسان عبد الرحمن : (كل شيء ممكن في الرياض)³⁶⁰ بعد أن قال هشام : (كنت أظن أن الخمر غير موجود في الرياض) .
- د . قوله . على لسان عبد الرحمن موجهاً خطابه إلى هشام : (سأجعلك تكتشف الرياض كما لم تكتشفها من قبل . ساريك رياضاً غير الرياض)³⁶¹ .
- هـ . قوله . أيضاً . : (في الرياض كل شيء ممنوع ، وكل شيء مباح)³⁶² .
- و . وقوله . أيضاً . على لسان عبد الرحمن : (ديرة عجيبة فعلاً ... كل شيء حرام وممنوع . وكل شيء مباح بشكل لا يتصور)³⁶³ .
- ز . قوله على لسان هشام متحدثاً مع نفسه : (عليك الرحمة يا ابن آدم . ظننت نفسك أكرم الكائنات ، الذي طرد من أجله عابد الأزل من الرحمة والملكوت ، فاكشفت أنك أتفه من ذبابة ، وأحقر من بعوضة)³⁶⁴ .
- ح . قوله : (لقد مات أبوك آدم ، ولم يبق إلا أبليس ذو الصولجان ، كلهم اليوم لا بليس ساجدون ، ومن أجله يسعون)³⁶⁵ .
- قلت : إذن فتركي الحمد يريد أن يقول لنا بأن جميع البشر سقطوا منحرفون فاسدون فلا نغتر بالمثاليات الزائفة والأقنعة المخترعة يخفون وراءها حقيقتهم ، فهو يريد منا أن لا نتمسك بأي فضائل أو مثاليات .

³⁵⁸ العدامة (ص 79) .

³⁵⁹ العدامة (ص 167) .

³⁶⁰ العدامة (ص 88) .

³⁶¹ العدامة (ص 100) .

³⁶² العدامة (ص 169) .

³⁶³ الشميسي (39) .

³⁶⁴ الكراديب (ص 252) .

³⁶⁵ الكراديب (ص 253) .

فهي فلسفة (معرّية) ³⁶⁶ شابه بها رهين المحبسين حينما كان يقول :

وزهدني في الخلق معرفتي بهم

وعلمي بأن العالمين هباء

فالفكرة واحدة وهي عدم الاعتزاز بأي فضيلة أو مثاليات يتنكر الناس وراءها ، لأننا إذا دققنا في الأمر لم نجد إلا شياطين وأبالسة في مسوح بشر ، مما ينتج عنه أن تسقط من أعيننا كل الصور الجميلة والمثالية والشريفة والعالية التي رسمناها في مخيلتنا عن أفضل البشر سواء كانوا من الأنبياء أو من أفضل القرون بعدهم ، أي الصحابة . رضي الله عنهم . وأخزي من أبغضهم ! .

فإذا سقطت صور الأفراد المثالية من أعيننا سقطت تبعاً لها مجتمعاتهم التي كنا نظنها فاضلة !! حتى جاء الدكتور الفيلسوف ليحذرنا من الاعتزاز بهذا الوهم ، ويبين لنا أن لا فضيلة ترجى من (بني آدم) ! فهم ما داموا من أبناء آدم فلا شك هم مخادعون منافقون يخفون حقيقتهم خلف حجاب من الفضيلة والمثالية المزيفة .

إذن : لا تطالبونا بأن نترسم خطى القرون الثلاثة المفضلة التي أثنى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نتخذعوا بمظاهر الصلاح التي يبيدها بعض الناس لكم سواء كانوا من العلماء أو الدعاة أو الصالحين ، فإنها قد تتكشف عن انحرافات ومفاسد لا تتخيلونها .

ومما يشير العجب تركيزه على إظهار مدينة (الرياض) وكأنها من مدن الفجور والفاحشة كبانكوك أو .. أو .. من المدن التي يعرفها أهل الفساد ! وكأنه يقول لنا بأن هذه المدينة التي هي قاعدة بلادنا وعاصمتها ومنبع الخير فيها بما تضمه بين جنباتها من رجال ونساء صالحين إن هي إلا مدينة كغيرها من المدن (الفاسدة) التي يعرفها الناس ويزدرونها .

فكما أسقط الحمد الرموز البشرية من أفراد ومجتمعات من مخيلتنا فهو سيتبع ذلك باسقاط مثاليات المكان ... ليخبرنا بأن لا مكان مقدس أو مطهر . ويضرب لذلك مثلاً بمدينة الرياض التي نحسن الظن فيها وفي أهلها .

قد يقول قائل بأن سياق الثلاثية هو الذي اضطر الحمد إلى ذلك ، لأن هشاماً لم يتعرف على حياة المعصية إلا في الرياض ، فهو في الدمام صغير ، وفي جدة في السجن ، فلم يبق إلا الرياض .

قلت : قد قال هذا فنعذر الحمد لو كان موقفاً واحداً أو عبارة واحدة ذم فيها الرياض . أما وهو قد كرر هذا الذم وألح عليه بشكل غريب ومفتعل فإن وراء الأكمة ما وراءها ، وحق لمدينة الرياض أن تقول له :

ولو كان سهماً واحداً لا تقيته

³⁶⁶ نسبة إلى أبي العلاء المعري أعمى القلب والبصر ! الذي ألح على هذه المسألة في أشعاره التشاؤمية .

ولكنه سهمان ثانٍ وثالث

الحاصل : أن الحمد قد هَوَّن جانب الانحراف ، والسقوط في الرذيلة ، وجعله يهيمن على أبرز شخصيات ثلاثيته ، شأنه في ذلك شأن نجيب محفوظ في ثلاثيته . كما سبق .³⁶⁷ لأنهما جميعاً يصدران من مصدر واحد هو مصدر (الماركسية !) الذي لا يقيم معتقوها أي وزن للأخلاق ، بل يسعون إلى هدمها في نفوس الناس ، حتى يتساوى . في نظرهم الزنا بالنكاح . ، والفضيلة بالرذيلة . يقول الشيخ عبد القادر شيبه الحمد : (الخُلُق الوحيد الذي آمن به الشيوعيون هو وجوب مخالفة سائر الأنظمة الأخلاقية ، ومحاربة عموم أنواع الآداب المرعية في المجتمعات الإنسانية ، وبخاصة ما كان منها نتيجة للأوامر الإلهية ، وقد قادهم هذا الشذوذ الخلقي إلى هتك الأسرة ، ومحاربة ناموس الزواج ، ورأوا أن هدم ذلك من أقوى دعائم الشيوعية فتساوى الزواج والزنا في نظامهم)³⁶⁸ .

نسأل الله العفو والعافية ، أن لا يجعلنا ممن قال فيهم : (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)³⁶⁹

العبارات الوقحة :

استخدم الحمد في ثلاثيته عبارات (وقحة) لم تتعود آذاننا على سماعها ممن تأدب بآدبنا . فمن ذلك أنه يتحدث عن مخلوقات الله . وهي الشمس . واصفاً إياها بالوقاحة ! وهو كان الأولى بهذا الوصف ، لأن الشمس خلق مسخَّر في جو السماء يسير بانتظام ويدل على عظمة الخالق . سبحانه . فكان الأحرى بالحمد أن يتفكر في خلقها ، ويستدل به على عظمة ربه ، لا أن يتفاحش بهذا الكلام البذيء .

يقول الحمد :

(عندما كانوا يهبطون طلعة ديراب على خط الحجاز ، كانت الشمس قد بدأت تبزغ على استحياء ، وعندما وصلوا إلى مرات كانت قد بدأت في ممارسة وقاحتها وإرسال تلك الأشعة النارية الرهيبة)³⁷⁰ !

ويقول :

³⁶⁷ مع فارق واحد بينهما ، هو أن محفوظاً يتعذر عن مومساته ، بأن الظروف الاقتصادية أجبرتهم على ذلك ، فلا تلوموهنَّ ، شأنه في ذلك شأن الماركسيين الأفحاح !

³⁶⁸ مقال بعنوان (الشيوعية) في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة السنة الثانية (عدد 3) .

³⁶⁹ سورة النور ، الآية : 19 .

³⁷⁰ العدامة (ص 254) .

(وأخذت الشمس في ممارسة وقاحتها ، وتتحول إلى جحيم لا يُطاق)³⁷¹!

قلت : ومن وقاحة هذا المخلوق (أعني الحمد !) أنه تحدث عن أمه (أي أم هشام !) في روايته بحديث لا يصدر عن عاقل .. فتأمله وتعجب من سخافته حين يقول : (وصب هشام ربع البيالة عرقاً ، ثم أضاف إليه الكولا ، وأخذ رشفة سريعة استطعمها في فمه ، ثم تجرع ربع البيالة تقريباً ، ولم يحس إلا وقد اشتعل حلقه بالنار انتقلت إلى جوفه ، وأخذ اللعاب ينساب بشدة في فمه ، والرغبة في التقيؤ ، ولكنه تمالك نفسه ، وازداد إفراز اللعاب في فمه ، ثم أحس ببعض الراحة في جوفه ، ودوار في غاية اللذة يغزو رأسه من الداخل . وشرب ربعاً آخر فأحس أن نهراً يجري في فمه ، لم يكن الحريق بالشدة الأولى . دفع البيالة إلى عبد الرحمن ، ولكنه رفض قائلاً : " السجائر أقصى ما يمكن أن أصل إليه " فتجرع هشام بقية البيالة ، دون أن يحس بأي حريق هذه المرة ، وأخذ ينظر إلى رقية . لقد كانت في غاية الجمال والفتنة ، بل كان كل شيء في غاية الجمال . ذهب الذنب وأحاسيسه المؤلمة ، وانتفى الخجل ، وكان وجه أمه يبدو له واضحاً ، ولكنه كان ينظر إليها ببلادة ولا مبالاة ، وكان يود لو كان قادراً على صفعها ، لكنه يشعر بمغص في الداخل ، فيزيح صورتها ويغرق في رقية)³⁷²!!

قلت : فهل يقول عاقل عن أمه . ولو كان على سبيل القصص . مثل هذا الكلام البذيء الذي يدل على تمردٍ دفين في نفس الكاتب على كل من يستحق (الطاعة) ولو كان أمه؟! نسأل الله العافية .

³⁷¹ العدامة (ص 258) .

³⁷² الشميسي (ص 42) .

أوجه التشابه بين ثلاثية تركي الحمد و ثلاثية نجيب محفوظ

عندما تطلق (الثلاثية) في الرواية العربية فإنها تنصرف حتماً إلى ثلاثية نجيب محفوظ المشهور (بين القصرين . قصر الشوق . السكرية) فقد أصبحت علماً عليها ، وهي . تقريباً . التي شهرته على مستوى العالم ، وعرفتهم به ، نظراً لتفردا وتميزها عن رواياته الأولى .

وعندما أصدر تركي الحمد ثلاثيته انصرفت الأنظار والأذهان إلى المقارنة بين الثلاثيتين لمعرفة أوجه التشابه والتمايز بينهما . وكنت أحد هؤلاء الذين اهتموا بهذا الأمر عند دراستي لفكر تركي الحمد ، فعدت إلى أوراقى القديمة التي دونت فيها الخطوط الرئيسية لثلاثية نجيب محفوظ لمقارنتها بثلاثية الحمد ، لمعرفة هل جاء بجديد عليها ، أم أنه يقول مكرراً من القول ؟

فاتضح لي بالمقارنة أن الحمد قد سار في ثلاثيته مقتفياً أثر نجيب محفوظ في أمور رئيسية وجزئية من الثلاثية ، نظراً لتشابه فكريهما . كما سيأتي . ومما أكد لي هذا أن الحمد قد أكثر من ذكر قصص نجيب محفوظ في ثلاثيته ، وجعلها جزءاً من ثقافة هشام العابر .. فمن ذلك :

1. أنه ذكر ثلاثية نجيب محفوظ نفسها في قوله عن أحلام هشام : (يأتيه صوت سي السيد أحمد عبد الجواد زاجراً وزبيدة تفهقه أمامه ، وكمال يرقص بينهما ، فيما ياسين يعض أرداف زنوبه)³⁷³ .
قلت : معلوم أن هذه الأسماء هي الشخصيات الرئيسية لثلاثية محفوظ .
- 2- قوله عن هشام : (هو الفتى المثقف الذي يقرأ لماركس وماوتسي تونغ ودوستوفيسكي ونجيب محفوظ ...)³⁷⁴ .
3. قوله عن هشام : (كان يذاكر ذات يوم هو وعدنان كعادتهما كل عام قبل الامتحانات بفترة ، ويحتلس بعض اللحظات ليقرأ فيها رواية نجيب محفوظ الجديدة " أولاد حارتنا ")³⁷⁵ .
4. قوله عن هشام عند سفره إلى الدمام : (وعندما تحرك القطار أخيراً ، كان بدأ في قراءة " الطريق " لنجيب محفوظ)³⁷⁶ .
5. قوله عن هشام في السجن : (أخذ ينظر إلى حركة الأشباح من حوله وهو يفكر ولا يفكر . وطاف بذهنه جحيم دانتي وأبي العلاء . وباربوس ، وغريب كامو ، وذباب سارتر ، وشحاذ محفوظ)³⁷⁷ .
قلت : ولكي نعرف مدى التشابه بين الثلاثيتين وكيفية استفادة الحمد من محفوظ لابد من عرض موجز لأحداث ثلاثية نجيب محفوظ ، ثم ذكر نقاط التشابه بينهما ، لكي يتضح أن الحمد قد صاغ ثلاثية محفوظ بنفس مناسب لبلادنا . كما سيأتي . .

أحداث ثلاثية نجيب محفوظ .

1. بين القصرين :

يعيش أحمد عبد الجواد في بيته بشخصية قوية متسلطة . كما سبق . أمام زوجته الضعيفة (أمينة) وأولاده ، ولكنه خارج البيت يمارس أنواع المحرمات من شرب خمر وزنا دون أن يعلم أولاده ، بحيث تبقى هيئته بينهم . يذهب أحمد عبد الجواد لدكانه الذي يشرف عليه وكيله (الحمزاوي) فيأتيه الشيخ الصوفي ! (متولي عبد الصمد) صاحب الكرامات !! يعمل الحجب والتمائم للناس ، لينصحه عن ولعه بالنساء .

. كمال يدرس ويحب درس (الديانة) الذي يشارك فيه لأنه يراجع الدروس مع أمه ، الذي يتلقي معها في حب (الحسين) .

. فهمي يحب بنت الجيران (مريم) يتفرج عليها من السطح .

³⁷³ العدامة (ص90) .

³⁷⁴ العدامة (ص106) .

³⁷⁵ العدامة (224) .

³⁷⁶ الشميسي (ص122) .

³⁷⁷ الكراديب (ص181) .

. ياسين يدور في الشوارع ويلتهم النساء بنظراته الشهوانية يتفرج على العاملة زبيدة وريبتها زنوبة ويتأمل محاسنها ويتذكر خيانة أمه لأبيه مع (الفاكهاني) !

- أحمد عبد الجواد يتأمل جسد (زبيدة) العاملة عندما جاءته إلى الدكان . يحاول استدراجها ، ثم لا يدعها تدفع (الحساب) وفي المساء ذهب لزيارتها مع رفاقه .

- أحمد عبد الجواد يخبر ابنه ياسين بأن أمه . أي أم ياسين . ستتزوج من صاحب مخبز صغير السن . يغضب ياسين ، لأنه يطمع في فلوسها ، ذهب ياسين إليها ولامها وغضب عليها .

. فهمي يريد الزواج من (مريم) لكن والده يرفض بشدة .

. عائشة تغازل أحد الضباط من النافذة فتراها خديجة ، فتطلب منها عائشة أن لا تخبر أحد .

. (حسن أفندي) ضابط الجمالية يخطب عائشة ، فيرفض الأب !

. سافر أحمد عبد الجواد إلى (بور سعيد) في مهمة عمل ، فاستغل أهل البيت الفرصة ليتمتعوا بالحرية قليلاً ، خرجوا بأمهم لزيارة (الحسين) الذي تهيم به ، صدمتها سيارة ، فعادوا بها .

. عندما عاد أحمد عبد الجواد اعترفت له زوجته بما حصل بعد أن ألح عليها فطردها من المنزل ، فذهبت لبيت أمها .

. أم مريم تقوم بزيارة العائلة لتشفع في إرجاع (أمينه) ، فيشعر أحمد عبد الجواد بأنها تهواه وتستدرجه لإقامة علاقة معها .

. حرم (شوكت) تزور أحمد عبد الجواد وتخطب عائشة لابنها ، فيوافق .

. عادت (أمينة) إلى البيت بعد أن عفا عنها زوجها .

. ياسين يقيم علاقة (غير شرعية) مع (زنوبة) فلما دخل عندها أخبرته بأن هناك رجلاً مع (زبيدة) هو أحمد عبد الجواد ! فتفاجأ ياسين لهذا الخبر ، وقد كان عهده بأبيه أنه جاد وصارم .

. ذهبت العائلة إلى بيت (آل شوكت) لزواج عائشة (جلييلة) العاملة تحضر الحفل وتسلم على أحمد عبد الجواد مع تضايقه منها خشية انكشاف علاقته السابقة بها . ياسين يخبر فهمي بحال أبيه ، فيندهش فهمي .

. ياسين يحاول اغتصاب (أم حنفي) الشغالة وهو سكران فغضب أبوه عليه ، ثم يقرر أن يزوجه .

. زواج ياسين من (زينب)

. آل شوكت يخطبون (خديجة) لابنهم (إبراهيم) فيوافق أحمد عبد الجواد .

. مات (محمد رضوان) والد (مريم) فعزاهم أحمد عبد الجواد .

. أحمد عبد الجواد يتحدث مع رفاقه في الدكان عن (سعد زغلول) زعيم الأمة ! وجهوده ضد الاحتلال .

- . ياسين يعود للخمر والنساء .
- . أم مريم تزور أحمد عبد الجواد في الدكان لتستشيريه .
- . فهمي يشارك في (المظاهرات) ضد الانجليز المحتلين لمصر .
- ياسين يقيم علاقة (غير شرعية) مع الخادمة السوداء (نور) ! التي تعمل عند زوجته . فتكتشفهما الزوجة وتغضب وتهجره .
- . أحمد عبد الجواد ينصح فهمي بعدم الاشتراك في المظاهرات ، أو توزيع المنشورات . خوفاً عليه .
- . أم ياسين تتوفى .
- . أحمد عبد الجواد يعود من بيت (أم مريم) فيوقفه جندي انجليزي فيجعله يساعد المصريين المسخرين لردم الحفر التي يحفرها المتظاهرون ، فتكون إهانة قاسية له .
- . عائشة تنجب .
- . فهمي يشارك في مظاهرة (سليمة) ، ولكنه يقتل برصاص الانجليز .
- بهذا الحدث ، وهو موت فهمي انتهت أحداث الحلقة الأولى من حلقات ثلاثية نجيب محفوظ

2. قصر الشوق³⁷⁸:

- . كمال يصاحب (فؤاد الحمزاوي) ابن وكيل والده ، مع شعوره بالاستعلاء عليه .
- . كمال يقيم علاقة غير شرعية مع (قمر) ابنة (أبو سريع) صاحب المقلبي ! مع شعوره بتأنيب الضمير .
- . أحمد عبد الجواد يعود إلى اللهو بعد موت ابنه (فهمي) ، ويقيم علاقة مع (زنوبة) التي تستعلي عليه .
- . ياسين يقرر الزواج من (مريم) .
- ياسين يقيم علاقة غير شرعية مع أم مريم !!
- . الحمزاوي ينصح أحمد عبد الجواد بعدم تبذير أمواله على اللهو .
- . كما يحب (عايدة) أخت زميله (حسين شداد) وهي من طبقة عالية متحررة ، ويغلو في حبها إلى حد العبادة !
- . ياسين يتزوج مريم .
- . (بهيجة) تتزوج (بيومي الشريتلي) ، ثم تموت بعد أسبوع !
- . خديجة تسبب مشاكل لأهل زوجها ، فيصلح بينهم أحمد عبد الجواد .
- . عائشة تنساق مع حياة زوجها المتحررة ، فتدخن .

³⁷⁸ وهو اسم الشارع الذي يسكنه ياسين بعد زواجه .

- . (عايدة) يخطبها أحد زملاء أخيها (حسين) واسمه (حسن) فيتفاجأ كمال بهذا الخبر !
- . ياسين يطلق (مريم) بعد أن اكتشفت علاقته بزنوبة .
- . زنوبة تطلب الزواج من أحمد عبد الجواد ، فيرفض أن يتزوج من عاهرة !
- . كمال يحضر حفل زواج عايدة .
- . ياسين يتزوج زنوبة ، فيطلب منه أبوه أن يطلقها .
- . كمال يغرق في الخمر والنساء .
- . أحمد عبد الجواد يحاول اقناع ياسين بطلاق زنوبة فيخبره ياسين بأنها حامل منه .
- . زوج عائشة وولدها يصيبهم المرض .
- . موت سعد زغلول .

وبهذا الحدث انتهت الحلقة الثانية من ثلاثية نجيب محفوظ .

3. السكرية³⁷⁹ :

- . كمال يحب القراءة في الفلسفة ، ومجتهد في دروسه .
- . الحمزاوي يطلب اعفائه من العمل مع أحمد عبد الجواد لأنه تعب .
- . زبيدة تدمن علماء الكوكابين ، وتفتقر بعد العز !
- . متولي عبد الصمد يصبح شيخاً رثاً وسخاً يدور على الناس .
- . فؤاد يرغب الزواج من نعيمة ابنة عائشة .
- . أحمد عبد الجواد هجر الخمر بسبب نصيحة الطبيب .
- . شداد أفلس ثم انتحر .
- . ياسين مستمر على عادته في الخمر والنساء .
- احمد ابن خديجة يعتنق الماركسية وأما أخوه عبد المنعم فهو من جماعة (الإخوان المسلمين) !
وتحصل بينهما مناقشات ومشاهدات . برغم أنهما جميعاً لا يحبان (الطغاة!) .
- . عبد المنعم (الإخواني !) يقع في الزنا بجارته !!
- . أحمد يشارك في تحرير مجلة (الإنسان الجديد) ، ويحب السكرتيرة في المجلة (سوسن حماد)
- . أحمد يتعرف على الكاتب (رياض قلدس) الذي يوافق في الميول .
- . كمال مستمر في الشهوات .
- . عبد المنعم يتزوج نعيمة ابنة عائشة .
- . حوارات فكرية وسياسية بين أحمد وخاله كمال ، لتوافقهما في الهوى !

³⁷⁹ وهو اسم الشارع الذي يسكنه آل شوكت .

- . أحمد عبد الجواد يبيع دكانه .
- . حوارات فكرية بين كمال وقلدس .
- . نعيمة تموت .
- . احمد يخطب (علوية صبري) فتطالبة بمصروف يومي ، فيرفض مشروع الخطبة .
- . رفاق أحمد عبد الجواد يموتون واحداً إثر الآخر ، وهو يتفكر في حال الدنيا .
- . موت أحمد عبد الجواد .
- . عبد المنعم يخطب كريمة ابنة ياسين مع معارضة والدته خديجة لأن كريمة تكون ابنة زنوبة .
- . زبيدة تتحول إلى شحاذة ، بعد العز !
- . أحمد يتزوج سكرتيرة المجلة (سوسن حماد) .
- . عبد المنعم يتزوج كريمة ويجعل من بيته بيتاً إسلامياً .
- . كمال يعلم بموت (عائدة) .
- . القبض على أحمد (الماركسي) ، واخوه عبد المنعم (الإخواني) ووضعهم في السجن بتهمة المعارضة .
- .
- . أمينة تصاب بالشلل فتنتظر الوفاة .
- . وبهذا الحدث انتهت الحلقة الثالثة من ثلاثية نجيب محفوظ .

* شخصيات ثلاثية نجيب محفوظ :

- 1- احمد عبد الجواد : أحد أفراد الطبقة المتوسطة يتميز بشخصية متسلطة داخل بيته ، ويد حديدية يحكم بها أسرته . مع تدين تقليدي يحافظ من خلاله على أداء الصلوات في (البيت !) ، دون أن يؤثر هذا (التدين !) على سلوكه الخارجي ، أو أن ينهى زوجته عن الانجراف وراء البدع والشركيات . كما سيأتي ..
- وهو في الجانب الآخر ، أي خارج بيته ، يتصف بصفة أوصفات أخرى تختلف عن تلك الأولى ، فهو يحب اللهو والشهوات ، والسهرة مع العواني والمومسات ، في جلسات طرب وأنس .
- ولكن هذا التناقض وإخفاء الشخصية الأخرى عن أولاده سرعان ما انكشف ، ولكنه لم يؤثر على سقوط هيئته الأولى .
- أسرة (أحمد عبد الجواد) تتكون من :

1- زوجته (أمينه) الخاضعة له ، والتي هي على النقيض من زوجها ، حيث تتميز بالسماحة والطيبة مع أولادها ، ولكنها غارقة حتى أذنيها في البدع والشركيات التي تعتقدها ديناً ! ، حيث أدمنت على زيارة قبر الحسين (المزعوم !) في القاهرة³⁸⁰ ودعائه من دون الله³⁸¹ ، بل والطواف بقبره³⁸² !!
قولها لابنتها عائشة : (تعالي معي إلى الحسين ، ضعي يدك على الضريح واتلي الفاتحة ، تتحول نارك إلى برد وسلام كنار سيدنا إبراهيم)³⁸³ !!
وكانت تلقن كل هذا ابنها الصغير (كمال) بطل الرواية .

وأما أبناؤه فهم :

1. ياسين : وهو الابن الأكبر من زوجة سابقة ، انتقل إلى العيش مع أبيه وزوجة أبيه (أمينة) ، وقد ورث عن أبيه ولعه بالملذات والشهوات ، ولكنه لم يستطع أن يكون كأبيه يعب من تلك الملذات ويحظى باحترام الناس !! مثلما كان أبوه .
 2. فهمي : الابن الأوسط لأحمد عبدالجواد ، وهو طالب بمدرسة الحقوق ، يجمع بين خصال أمه من رقة ومودة ورحمة لذويه ، إلى جانب وطنيته وثورته ، التي انتهت به إلى الموت في مظاهرة وطنية .
 3. عائشة : الابنة الصغرى لأحمد عبدالجواد ، تتميز بجمال ورقة ومودة ، مما حببها إلى ذويها . بعد زواجها انسقت مع حياة زوجها المتحررة ، وبعد وفاة زوجها وابنيها ساءت أحوالها وأصبحت تُكثر من الاعتراض على القدر .
- فمن ذلك : قولها عند وفاة ابنتها (نعيمة) : (ما هذا يا ربي ؟ ما هذا الذي تفعله ؟ لماذا ؟ لماذا ؟ أريد أن أفهم)³⁸⁴ .
- أو قولها عندما تذكرت أولادها : (الرحمة ! أين الرحمة أين ؟)³⁸⁵ .
- 4 . خديجة : الابنة الكبرى لأحمد عبدالجواد ، وكان حظها من الجمال ضئيلاً ، وقد ورثت عن أبيها سلطة لسانه وقوة شخصيته . كثيرة المتاعب مع زوجها ، وكان لأولادها نصيبهم الأكبر من أحداث الرواية .

³⁸⁰ بين القصرين (ص 36) .

³⁸¹ بين القصرين (ص 162) .

³⁸² السكرية (ص 11) .

³⁸³ السكرية (ص 197) .

³⁸⁴ السكرية (ص 159) .

³⁸⁵ السكرية (ص 197) .

5. كمال : وهو (بطل الثلاثية) ، الابن الأصغر لأحمد عبد الجواد ، عاش في أحضان أمه ، التي لقتته البدع والخرافات والشركيات منذ صغره ، حيث لم يتعرف على الدين إلا من خلال أحاديثها وقصصها ، فانطبع الدين في ذهنه بتلكم الخرافات .

فهو . مثلاً . يقول عن ضريح الحسن : (كم وقف حيال الضريح حالماً مفكراً ، ويود لو ينفذ بصره إلى الأعماق ليطلع على الوجه الجميل الذي أكدت له أمه أنه قاوم غير الدهر بسره الإلهي ، فاحتفظ بنضارته ورونقه ، حيث يضيء ظلمة المشوى بنور غرته ، ولما يجد إلى تحقيق أمنيته سبيلاً قنع بمناجاته في وقفات طويلة ، مفصلاً عن حبه ، شاكياً إليه متاعبه الناشئة من تصوراته عن العفاريث وخوفه من تهديد أبيه ، مستنجداً به على الامتحانات التي تلاحقه كل ثلاثة أشهر ، ثم خاتماً مناجاته عادة بالتوسل إليه أن يكرمه بالزيارة في منامه)³⁸⁶ !!

نشأ كمال متحيراً كثيراً الاضطراب الفكري ، لم يستقر على قرار ثابت ، كان وفدياً³⁸⁷ ثم ما لبث أن مال ميلاً شديداً إلى (الماركسية) التي تقتلع الطبقات التي أبغضها عندما أحب (عايدة) التي تنتمي إلى طبقة عليا .

تكثرت في أحاديثه الشكوك والظن في الدين وعبارات الإلحاد والادعاء بأن (العلم) سوف يحل مشاكلنا جميعاً . ولهذا كان من أقرب الناس إلى ابن أخته (أحمد) الذي كان (ماركسياً) متحمساً . فمن أقواله . على سبيل المثال . :

- (إن مطلبى الأول الحقيقة : ما الله ؟ ما الإنسان ؟ ما الروح ؟ ما المادة ؟ الفلسفة هي التي تجمع كل أولئك في وحدة منطقية مضيئة كما عرفت أخيراً)³⁸⁸ .

قوله : (لفه شعور بأنه ضحية اعتداء منكر تأمر به عليه القدر وقانون الوراثة ونظام الطبقات)³⁸⁹ .

(طالما نازعت النفس إلى النقيضين وكر الشهوات والتصوف ، ولكنه لم يكن ليطلق حياة خالصة للدعة والشهوات ، ومن ناحية أخرى كان ثمة شيء ، في أعماقه ينفر من فكرة السلبية والهروب)³⁹⁰ .

6. عبد المنعم ابن خديجة :

³⁸⁶ بين القصرين (ص 49) .

³⁸⁷ حزب الوفد الذي أنشأه سعد زغلول ، حزب علماني لا يقوم على الإسلام ، يدعو إلى مساواة المسلم بالكافر ، والدعوة إلى انسياق البلاد الإسلامية نحو تقليد الغرب الكافر

(في كل شيء) ، وخاصة في مجال (تحرير المرأة) ، انظر (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة) للندوة العالمية للشباب الإسلامي (1 / 454) .

³⁸⁸ قصر الشوق (ص 242) .

³⁸⁹ قصر الشوق (ص 369) .

³⁹⁰ السكرية (ص 194) .

من جماعة الإخوان المسلمين ، يحمل أفكارهم ويفتح عنها أمام أخيه أحمد (الماركسي) ولكنه يتسم بالعنف في الجدل !! وهكذا أراد له نجيب محفوظ أن يكون !! فمن ذلك أنه قال لأخيه : (صه يازنديق)³⁹¹ !! وقال له أيضاً (يا عدو الله)³⁹² .

ولكنه برغم هذا (الإيمان) و (الحماس) يقيم . كما سبق علاقة غير شرعية مع بنت الجيران !! وهذا من التناقض المفتعل لتشويه جماعة الإخوان المسلمين من نجيب محفوظ . هداه الله . .
7. أحمد ابن خديجة :

شاب متحمس للماركسية ، يدخل مع أخوه (الإخواني) عبد المنعم في مجادلات متتالية دون نتيجة .

من أقواله التي تدل على توجهه :

. أنه بعد أن تزوج سأله خاله كمال هازناً : (هل تزوجت على سنة الله ورسوله ؟) قال : (طبعاً ، الزواج والدفن على سنن ديننا القديم ، أما الحياة فعلى دين ماركس)³⁹³ !!

. قوله في التحقيق : (إني اشتراكي)³⁹⁴ .

أوجه التشابه بين الثلاثيتين :

1. أن الثلاثيتين كليهما تتكونان من ثلاث أجزاء أو حلقات بأسماء مختلفة (بين القصرين . قصر الشوق بالسكرية) ، (العدامة . الشميسي . الكرايب) .

2. أن البطل في الثلاثية شخص واحد تدور الأحداث من حوله . ففي ثلاثية محفوظ تدور الأحداث حول (كمال وفي ثلاثية الحمد تدور حول (هشام) .

3. أن (كمال عبد الجواد) هو نفسه مؤلف الثلاثية ، أي هو نجيب محفوظ ، وهذا أمر لا ينكره نجيب محفوظ ، الذي يردد دائماً : [أنا كمال عبد الجواد في الثلاثية]³⁹⁵ ويقول : [الأزمة الخاصة بكمال هي أزمتي]³⁹⁶ .

أما تركي الحمد فقد اعترف بهذا في مقابلة له مع جريدة اليوم³⁹⁷ عندما قال عن ثلاثيته بأنها " فيها الكثير مني ... فالبطل أنا من صنعه وأنا من وضع له العواطف والتجارب " .

³⁹¹ السكرية (ص 32) .

³⁹² السكرية (ص 76) .

³⁹³ السكرية (ص 271) .

³⁹⁴ السكرية (ص 320) .

³⁹⁵ المنتمي ، للنصراني ! غالي شكري (ص 17) .

³⁹⁶ أتحدث إليكم ، نجيب محفوظ (ص 34) .

³⁹⁷ بتاريخ 8 / 8 / 1419 هـ .

وقد أكد الدكتور غازي القصيبي أستاذ الحمد في الجامعة ! هذه الحقيقة . فقال في كتابه (حياة في الإدارة) : (كان المفكر السعودي البارز !! الدكتور تركي الحمد أحد طلبتي . وعلى الذين يرغبون أن يعرفوا رأي الطلبة في أن يعودوا إلى رواية تركي (الشميسي) (لندن : دار الساقى ، 1997م) ، ماكتبه عن (الدكتور محارب الخيزراني))³⁹⁸

قلت: فهذا تأكيد من غازي أن هشام العابر لم يكن إلا تركي الحمد .

وليس معنى أن كمال عبد الجواد هو نجيب محفوظ وأن هشام العابر هو تركي الحمد أن يكون كلاً منهما قد نقل (جميع) تفاصيل حياته بجميع أشخاصها إلى القراء دون نقص أو زيادة ، فهذا مالا يقوله عاقل ، بل المقصود أن كلاً منهما كان يحكي عن ماضيه ، وتفكيره ، وتطلعاته ، وآماله ، وآلامه ، وبعضاً ممن عاصروه في اختلاف توجهاتهم . ولكن تبقى الفكرة الرئيسية التي تدور حولها الثلاثية هي ما كانت تقلق بال مؤلفها في فترة مضت ، أولاً زالت ! ، كالحيرة والاضطراب ، أو اعلاء شأن الماركسية ، هكذا .

4. أن كلاً من (كمال عبد الجواد) و (هشام العابر) ماركسي التوجه ، أو يميل إليها على أقل تقدير . .

5. أن كلاً منهما . برغم هذا الميل . متردد ، متحير ، مذبذب يقول رياض قلدي أحد أصدقاء كمال في الثلاثية عن كمال بأنه : (الذي دار حول نفسه كثيراً حتى أصابه الدوار)³⁹⁹ .

ويقول هشام العابر عن نفسه بعد أن ذكر توجهات زملاء السجن : (أما هشام فلم يعد يدري ما هو)⁴⁰⁰ .

6 . تكثر الطعون في الله . عز وجل . وملائكته وكتبه ورسوله وعباده الصالحين في كلا الثلاثيتين ولعل للتوجه الماركسي لصاحبها دور في ذلك ، حيث لا ترى الماركسية في الأديان والمقدسات إلا أفيوناً للشعوب يجب أن يهدم ، وإن لم نستطع الهدم فلا أقل من اللمز والسخرية وإسقاط هيئة الدين ومحتوياته (أي الإسلام !) من نفوس الناس . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

أما طعون الحمد فقد قرأناها سابقاً ، وأما طعون نجيب محفوظ ، إليك شيئاً منها بالأرقام ، لكي لا أطيل ولكي لا أتهم بالتجني عليه : (بين القصرين : ص 122 ، 227) (قصر الشوق : 90 ، 91 ، 119 ، 153 ، 216 ، 229 ، 236 ، 260 ، 294 ، 314 ، 428 ، 434) (السكرية : 88 ، 253 ، 260 ، 275 ، 280) .

7. تكثر في الثلاثيتين نغمة الاعتراض على القدر ، واتهام الحياة والموت والقدر بالعبث .

³⁹⁸ ص (53) من الطبعة الثانية : وعند عودتنا لكلام تركي في (محارب) وجدناه يكيل له المدح ، فعلما سر هذه الاحالة !

³⁹⁹ السكرية (ص 191) .

⁴⁰⁰ الكراديب (ص 180) .

أما في ثلاثية الحمد فقد علمنا ذلك سابقاً ، وأما في ثلاثية نجيب محفوظ ، فهذه بعض المواقف والعبارات تؤكد هذا :

. اعتراض خديجة على زواج عائشة قبلها ، وتقول : (إنني أحافظ على الصلاة أما هي فلم تُطق المحافظة عليها ...)⁴⁰¹ أي : لماذا تتزوج قبلي ؟
. اعتراض عائشة على وفاة زوجها وأبنائها . وقولها . مثلاً . : (ما هذا يا ربي ؟ ما هذا الذي تفعله ؟)⁴⁰²
. قوله كمال عن نفسه : (لفه شعور بأنه ضحية اعتداء منكر تأمر به عليه القدر)⁴⁰³ .
. قوله : (هذا الموت عبث)⁴⁰⁴ .

8. تكثر في الثلاثيتين المواقف الجنسية بكافة أنواعها ! أما الحمد فقد علمنا شيئاً من مواقفه (البطولية !!) .

أما نجيب محفوظ فيكفينا من ثلاثيته شخصية أحمد عبد الجود ، والغواني ، وشخصية ياسين .
وهنا ملاحظة : وهي أن تركي الحمد اقتصر في مواقفه الجنسية على (الزنا) وتوابعه ، أما نجيب محفوظ فقد تجاوز ذلك إلى (اللواط) !!

كما في علاقة (رضوان بن ياسين) مع عبد الرحمن باشا عيسى⁴⁰⁵ .
وسبب ذلك . الله أعلم . أن محفوظاً تميز في ثلاثيته بالجرأة أكثر من الحمد ، الذي لا زال يحمل بقية من الحياة !

9. أن الملتزمين بالإسلام في الثلاثيتين :
إما مخرف ساذج ، أو من الاخوان المسلمين ، ولا ثالث لها .
فالدين عند محفوظ : إما أن يتمثل في شخصية (متولي عبد الصمد) الصوفي ، المخرف ،
الوسخ ! ، صاحب البدع والشركيات ، أو في شخصية (عبد المنعم) الاخواني .
والدين عن الحمد :

إما أن يتمثل في شخصية خال هشام المتدين الساذج الذي يقول عنه ابنه :
(خالك لا يشك بوجود الخمر أصلاً في هذا البلد ، فكيف في بيته وابنه .. حتى لو رأي حمد مترنحاً فهو لن يشك بمثل هذه الأمور)⁴⁰⁶ .

ويقول عنه هشام : (ياله من رجل طيب تخدعه المظاهر)⁴⁰⁷ .

⁴⁰¹ بين القصرين (ص 230) .

⁴⁰² السكرية (ص 159) .

⁴⁰³ قصر الشوق (ص 369) .

⁴⁰⁴ قصر الشوق (ص 485) .

⁴⁰⁵ السكرية (ص 66) .

⁴⁰⁶ العدامة (ص 99) .

ولم يجعله الحمد مخرفاً كمتولي عبدالصمد لأنه يعلم أن لا مكان للخرافة في بلاد التوحيد . والله الحمد . .

أو في شخصية (لقمان) الإخواني ⁴⁰⁸ .

فإن كان محفوظ معذوراً في تجسيد شخصية (الإخواني) التي كان يعج بها مجتمع مصر تلك الأيام ، فكانت آراؤهم مطروحة في الساحة المصرية ، ولم تكن خافية على أحد .
فالحمد لا يعذر في تجسيده لهذه الشخصية الغربية على مجتمعنا ، إلا أن تكون . وهو ما أراه .
تقليداً لمحفوظ ، كما تعودنا من الحمد !

قد تقول : ولكن الإخوان موجودون في السعودية ، وقد وفدوها بعد اضطرارهم في دولهم .
فأقول : نعم هم موجودون ، وقد يكون قلائل من السعوديين تأثروا بهم ، ولكن هذا لا يجيز للحمد أن يصور بلادنا بهذه الصورة الحزبية التي عرفتها مصر وغيرها من الدول العربية .
ثم يجعل (الإخوان) هم الممثلون للتيار الإسلامي ! وكأننا في بلد علماني النزعة لا يمثلنا فيه سوى الإخوان !!

فهل نسي الحمد أننا . بحمد الله . نعيش في دولة إسلامية سلفية منذ نشأتها ⁴⁰⁹ ، لم تعرف الأحزاب يوماً ما ؟ وهل من العقل أن يجعل أفراد قلائل مستخفون هم الممثلون للتيار الإسلامي ؟!
ونسى الكثرة الغالبة من أهل البلاد الذين لا يعرفون سوى الإسلام ديناً لهم ، على تفاوت بينهم في الالتزام به .

أقول إن كان محفوظ معذوراً ، فالحمد لا يعذر في هذا ، لأنه صغر المكبر وكبر المصغر .
وأنا لا أقول هذا بنحساً لجهود جماعة الإخوان المسلمين في العالم العربي والإسلامي ، فهي جماعة قد اجتهدت في الدعوة إلى الإسلام ، ولكن شاب جهودها شيء من الأخطاء ، منها :
1. أنها جماعة تعنى بالتجميع كيفما كان ، فتجد فيها البدعي والسني جنباً إلى جنب .
2. وهي جماعة لا تحرص على نشر عقيدة السلف الصالح بل تجد من أفرادها الكثير ممن يعتقد عقيدة الأشاعرة ، ويزعم انها عقيدة السلف !
3. وهي جماعة حرصت على الدولة أكثر من حرصها على التربية والدعوة .
4. وهي جماعة يقل فيها الالتزام بالسنن النبوية الظاهرة .
5. وهي جماعة لا تراجع نفسها ، بل ظلت مأسورة في شخصية (حسن البنا) . رحمه الله . الذي كانت شخصيته تطغى على غيره من الإخوان ، ولا زالت !

⁴⁰⁷ الشمسي (ص 51) .

⁴⁰⁸ وزاد الحمد نوعية ثالثة للملتزمين وهي شخصية أصدقاء زميله عدنان ، حيث اللحى غير المسرحة والروس المخلوطة!!

⁴⁰⁹ والكمال لله وحده ، وكل تقصير يزول بالتناصح .

6. أخيراً : هي جماعة لا مبرر لقيامها في بلادنا (السعودية) لأننا . والله الحمد . مسلمون قبل قيامها ، فالذي نحتاجه هو الجد في نشر الدعوة ، والالتزام الصادق بالإسلام⁴¹⁰ .

إذن : أخطأ الحمد خطأً فاحشاً عندما لم ير في الملتزمين بالإسلام سوى :

1. الرجل الساذج .

2. الاخواني .

3. المتشدد .

وبقي صنف رابع لم يذكره ، أو لم يرد أن يذكره ! ، وهو الشاب المسلم الملتزم بدينه ، صاحب العقيدة السلفية ، والخلق الحسن في التعامل ، والمبرز في دراسته الشرعية أو العلمية ، قاصداً خدمة بلاده الإسلامية ورفعتها من هذا التخلف الذي تعيش فيه .

فبالعقيدة السلفية نرفع التخلف (الديني) - بدع وشركيات . الذي يعج في أوطاننا ، ويفرق بيننا ويضيع كثيراً من طاقاتنا .

وبالعلم الديني النافع نرفع من شأن بلاد الإسلام ونجعلها تنافس الآخرين ، بل تفوقهم ، وما ذلك على الله بعزيز .

كنت أود للحمد لكي يكون عادلاً أن يذكر هذا الصنف في ثلاثيته ، ولكن (وَلَكُلِّ وَجْهَةٌ هُوَ مُؤَلِّيَهَا)⁴¹¹ .

10 . يبرز في الثلاثيتين جانب محاولة إفحام الدين ، أو التشكيك في بعض مسائله بأسلوب ماهر ، كما في تحير هشام في مسألة : كيف يموت الموت ؟

أما نجيب محفوظ فقد صاغ تشكيكه وتحيره على هيئة سؤال وجهه كمال إلى مدرسه ، حيث يقول عن الجن (وسألت الشيخ : هل يدخل المسلمون منهم الجنة ؟ فقال : نعم . فسألته مرة أخرى : كيف يدخلونها بأجسام من نار !! فأجابني بحدة قائلاً : أن الله قادر على كل شيء)⁴¹² ولا حظ قوله (بحدة)! تفهم مقصده . مع أن جواب شيخه مقلع ، وهو أن الذي خلقهم . سبحانه . قادر على أن يجعل مسلميهم يدخلون الجنة ، إما بطبيعتهم أو بطبيعة أخرى ، كما أنه سبحانه قد أخبر عن النار بأن فيها شجرة الزقوم ، فهل يقول : كيف لا تحرقها النار ؟ فهل هذا إلا سؤال متعنت ، يحاكم ربه بعقله القاصر . كما كان مشركو الجاهلية يفعلون مع محمد صلى الله عليه وسلم .

⁴¹⁰ انظر لبيان هذا : (الدعوة إلى الله في جزيرة العرب) للشيخ الحصين و (حكم الانتماء) للشيخ بكر أبو زيد .

⁴¹¹ سورة البقرة ، الآية : 148 .

⁴¹² بين القصرين (ص 64) .

ولهذا جعل الله . سبحانه . الإيمان بالغيب أحد الصفات الرئيسية للمؤمنين فقال : (الم1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ⁴¹³ .
لأنه سبحانه يعلم أن مسائل الغيب قد لا يستوعبها عقل الإنسان في الدنيا ، فلهذا جعل الفارق بين المؤمنين والمذنبين المرتابين هو الإيمان بالغيب ، ولهذا فعلى المسلم إذا ثبت الدليل من القرآن أو السنة الصحيحة بأمر من أمور الغيب أن يؤمن ويسلم دون اعتراض أو تشكيك كما فعل (تركي) أو (نجيب) !

11. يكثر الحلف بغير الله في الروايتين ، أما في ثلاثية تركي فقد مضي التدليل عليه . وأما ثلاثية محفوظ فأليك المثال :

. (ورسول الله) (بين القصرين ص 253) .

. (ورأس أمي) (بين قصرين ص 257) .

. (حلفتك بالحسين) (بين القصرين ص 257) .

. (وحياة أمك) (بين قصرين ص 268) .

. (وحياتك) (بين القصرين ص 435) .

. (والنبى) (بين القصرين ص 439) .

أخيراً : ما سبق هو أبرز المتشابهات في ثلاثيتي (محفوظ والحمد) وهي تبين أن الحمد قد بنى ثلاثيته على أعمدة سابقة كان قد أقامها نجيب محفوظ ، فلم يكن له في ثلاثيته سوى صياغتها لتناسب طبيعة وظروف الشاب السعودي بدلاً من المصري .

والإفانهما قد اجتمعا على :

. الماركسية .

. والاجتراء على الله . عز وجل . وملائكته وكتبه ورسوله وعباده الصالحين .

. والاعتراض على القدر ، وتصويره في صورة العدو المتربص أو العابث .

. والنظر إلى الحياة والموت بنظرة عبثة .

. والإغراق في الجنس .

. والشك والحيرة والاضطراب .

فكلاهما . ثلاثية محفوظ والحمد . مجرد رواية (هدم) لا (بناء) و (تشكيك) لا (يقين) ، فمن قرأها ثم فرغ منها لم يحصل سوى الحيرة التي لا تقود إلى ثبات واطمئنان .

⁴¹³ سورة البقرة ، الآية : 1-3.

ثم يكتشف أن راويها لم يقدم له أي بديل لما قد تم هدمه في هذه الثلاثية . فهي شبيهة بأدب الحدائين الذين حملوا معاولهم لهدم الإسلام والمعاني السامية دون أن يقدموا لها بديلاً سوى الحيرة والشكوك والبؤس والشقاء ، زاعمين أنهم سوف يقدمون لبني قومهم كل جميل ، كل مبهج ، ولكن بعد أن يفرغوا من هدمهم !

قال تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) ⁴¹⁴ ، وقال سبحانه : (وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا) ⁴¹⁵ .

وقد أصلح الله بلادنا بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب . رحمه الله . التي ناصرها آل سعود ، فلا مستقر فيها لكل مفسد هادم مهما غلّف هدمه ذاك بشعارات (التطور) و (التحضر) و (التقدم) ... الخ زخارف الشيطان :

وليتق الله ربه وليتب من (هدمه) ، وليشارك إخوانه في (البناء) فإن خير الخطائين التوابون .
(يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) ⁴¹⁶ .

وإنه مما يستغرب بعد هذا أن يأتي كاتب (مسلم) كالأستاذ فهد السلطان . وفقه الله للخير . فيثني على هذه الثلاثية على صفحات جريدة الرياض ⁴¹⁷ ويعدها من " أعمالنا الإبداعية المحلية " ويقول " وجدتها في صف الإبداع الحقيقي " ! ويصف صاحبها بأنه " المفكر والروائي والمبدع ... " ⁴¹⁸ !!

ألا يخشى السلطان ربه وهو يثني هذا البناء على رواية قد ملئت أسطرها بعبارات (الكفر) و (الردة) و (السخرية بالإسلام وأهله)؟! فهل هذا إلا رضى بالكفر

⁴¹⁹

وأهله ، والعباد بالله . والله يقول : (هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَاءْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا) .

⁴¹⁴ سورة البقرة ، الآية 11 .

⁴¹⁵ سورة الأعراف ، الآية : 56 .

⁴¹⁶ سورة التوبة ، الآية : 119 .

⁴¹⁷ بتاريخ 29 / 2 / 1418 هـ ؛ مقالة بعنوان " العدامة ولصوص الامتطاء "

⁴¹⁸ ولا عذر له بأن يقول هذه رواية فنية يحق للمرء أن يقول فيها ما يريد! ولو كان كفرة! فهذا عذر أبيض من ذنب ؛ لأن المسلم مسؤول عن قوله وما تخطه يمينه ، ولم يرد العفو من

الله إلا في حديث النفس وينتهي الإنسان عنه .

⁴¹⁹ سورة النساء ، الآية : 109 .

خاتمة موجزة

بعد هذه الجولة العجلى في أبرز مؤلفات تركي الحمد وفي ثلاثيته يتبين لنا :

- 1 . أن الحمد يدعو إلى " الشك " و " الريبة " في كل شيء ، ولو كان نصاً من الكتاب أو النسبة الصحيحة⁴²⁰ ، وهو لم يبين لقرائه ما هو الميزان الذي سيحتكم إليه بعد أن " يشك " و " يرتاب " ليقضي لنا بصحة القضية المطروحة أو بطلانها ، هل هو " عقله " ام " عقلي " أم " عقل فلان من البشر " أم ماذا ؟ كما سبق .
- 2- أنه عندما " شك " و " ارتاب " ودعا المسلمين إلى هذا ، لم يقدم لهم أي بديل واقعي (واضح) يأخذون به بعد أن يهدموا (كل شيء حولهم) بالشك والريب . ففكر الحمد (هدمي) ليس (بنائياً) - كما سبق . لأنه يهدم ويهدم ويهدم تحت دعوى (الشك) و (الارتياب) الذي يدعو إليه ، دون أن نجد عنده ما يبنى أو يشيد لنفع أمته⁴²¹ .
- 3 أن الحمد يتظاهر في كتبه (بالعقلانية) التي تخفي وراءها نفساً طافحة بالشهوات الحقيرة . كما رأينا ذلك في ثلاثيته التي تعبر عن شخصه⁴²² .

⁴²⁰ وهو لا يستطيع التصريح بهذا (بحرفية) كما قد يتوهم حسنو النية ، فكتابات الماضية خير شاهد لهذا عند عقلاء الناس .

⁴²¹ بل لنفع نفسه التي أشرفت على الرحيل

⁴²² وهكذا غيره ممن يدعون (المثالية) و (الفلسفة) فإذا نكشفت الغطاء عن حياتهم الشخصية رأيت أنفساً حيوانية تجري وراء شهواتها التي تحاول نيلها من وراء (الفكر) و (العقلنة) .

4. أن شخصية الحمد . كما يظهر من مؤلفاته وثلاثيته . شخصية قلقة مضطربة لا تريد أن تركز إلى شيء يسندها في هذه الحياة ، وهي شخصية (شاقة) (مرتابه) تحقد على كل من لم يكن مثلها في شكها وحيرتها وارتيابها ، كما قد رأينا في حقه وحمله الظغينة على رسل الله . عليهم السلام . وعباده الصالحين ، وبلاد التوحيد (السعودية) . . . الخ .
5. أن الحمد يدعو إلى عدم ثبات الحق ، فما كان بالأمس حقاً قد يصبح اليوم باطلاً، وما يحمله فلان من الحق قد ينقلب باطلاً في حق فلان . . . في دائرة لا تنتهي ، تهرباً من قيام الحجّة عليه ، أو توهمه أنه بهذه الدعوى يُفهم أهل الحق .
6. أن الحمد يدعو إلى مساواة (الإسلام) بغير من الأديان والثقافات الأخرى ، بل هو يُفضلها عليه . والعياذ بالله . وهذا من أعظم (الكفر) الذي يُستتاب صاحبه ، فإن تاب وإلا ضُربت عنقه⁴²³ .
- 7 . أنه من دعاة (تحرير)⁴²⁴ المرأة في بلادنا ، وذلك بدعوته إلى سفرها ، واختلاطها بالرجال في الدراسة والعمل ، وقيادتها للسيارة وما يترتب عليه من مفاصد لا تخفى إلا على من أتبع هواه . . . الخ جزئيات هذه الدعوة التي تجرعت مرارتها المجتمعات الإسلامية الأخرى ، فنبتت عندنا نابتة . من ضمنهم الحمد . يرددون في بلادنا ما رده شياطين هذه الفكرة الغربية في البلاد الأخرى في مقالات وكلمات متكررة بين الحين والآخر من دعاة وداعيات (الشهوة) و(نبذ حكم الإسلام) .
- فنسأل الله أن يقضي على هذه الفتنة في مهدها ، كما قد قضى على غيرها ، وأن يسلط ولاية أمر هذه البلاد لا جثث عروق الفساد من وسائل إعلامنا لكي لا تتجذر هذه الدعوة المفسدة في بلاد التوحيد .
- 8 . أنه عدو لدود للحكم السعودي الذي قام على تحكيم شرع الله ، والدفاع عنه ضد أعدائه من أصحاب التيارات (الكافرة) من ديمقراطيين وشيوعيين ومنحليين . وقد سبق نقل ما يُكنه صدره ضد ولاية أمرنا .
- 9 . أنه يسرق جُلّ أفكاره من كتابات وجهود الآخرين عرباً كانوا أم عجماً . كما في ثلاثيته بناها على ثلاثية نجيب محفوظ ، وكما في (عقلايته) التي اكتسب أفكارها من الجابري والعروي .
10. أنه بعد هذا البيان عن الفكر (الهدمي) للدين والدولة من هذا الرجل ؛ فإنه لا يجوز شرعاً لوسائل إعلامنا أن تحتفي به ، أو أن تُسهل له مهمة بث هذا الهدم بين المسلمين ، عبر مقالات أو برامج مسموعة أو مرئية ؛ لأن الشريعة قد جاءت بالحجر على السفهاء فكيف بمن يكيدون لدين الله وللفضائل ولهذه الدولة المسلمة !؟

⁴²³ كما نص على ذلك علماء الإسلام فيمن لم يكفر الكافر أو شك في كفره أو فضل دينه على دين الإسلام انظر : مجلة البحوث .

⁴²⁴ بل تدمير المرأة ، وقد صحَّ بذلك . على حذر . في مقابلته مع قناة (اقرأ) .

ختاماً : أسأل الله أن يحمي بلادنا من شرور الحاسدين والحاقدين الذين لا يرتضون لها أن ترفع راية لا إله إلا الله محمد رسول الله في هذا الزمان ، والذين يتربصون بها الدوائر ممن ارتضوا ما في زبالات الغرب بديلاً للهدى والنور الذي جاءهم به خير الرسل محمد صلى الله عليه وسلم وأسأله تعالى أن يُعجل بكتبهم وتشريدهم وتمزيقهم كل ممزق ، وأن يوفق ولاية أمرنا للقضاء عليهم كما هو دأب حكام المسلمين على مرّ الأزمان⁴²⁵ ، فإن الله قال في هذه الشذمة من رجال ونساء (هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ

426)

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

⁴²⁵ اقرأ إن شئت سيرة من رفع الله ذكرهم من حكام المسلمين ؛ كهارون الرشيد أو المعتصم أو المتوكل أو محمود بن سبكتكين أو يوسف بن تاشفين وابنه أو المهدي العباسي الذي جعل رجلاً مسؤولاً عن أمر الزنادقة يتبعهم ويقوم بتنفيذ حكم الله فيهم ، تعظيماً لشرع الله ، وحفاظاً على وحدة المسلمين و((أمنهم الفكري)) . . . لتعلم كيف كانت سيرة ولاية الأمور مع (الزنادقة) و (مبغضي) شرع الله .

⁴²⁶ سورة المنافقون ، الآية : 4 .